

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

فهرس العدد

صفحة	الموضوع	المؤلف
1	النفس اللوامة	
	دراسات إسلامية :	
3	الدعوة إلى الإسلام	الأستاذ عبد الله كنون
6	سنن الله الكونية	الأستاذ محمد الطنجي
10	التصور الإسلامي للإنسان	الأستاذ محمد العربي الناصر
18	قيم خالدة في تاريخ الإسلام	الأستاذ محمد بن عبد الملك الكتاني
23	القرآن الكريم وخصوبة الجزيرة العربية	الأستاذ علي الخطيب
26	في مواجهة أخطر التحديات في عصرنا الحاضر - تحرير العقيدة	الأستاذ أنور الجندي
29	لا ... ليس مجددا .... ولا إماما	الأستاذ محمد مصطفى رمضان
34	هذا الإسلام	الأستاذ محمد ابراهيم [illegible]
39	الغزو الإعلامي للعالم الإسلامي	الأستاذ عبد القادر الإدريسي
42	المجاهد العظيم : مالك بن الحارث : الأشتر النخعي	الدكتور أحمد الشرباصي
48	الأسرة في الشريعة الإسلامية : الزواج الإسلامي	الأستاذ العربي القباني
53	في ذكرى مولد الرسول الأعظم (ص)	الأستاذ محمد [illegible]
57	المسلمون بحاجة إلى	الدكتور إبراهيم علي أبو الخشب
60	الاستشراق وقضايا الإسلام والثقافة	الأستاذ محمد المنتصر الريسوني
65	خصائص العقود وأسس الجنايات في الإسلام	الأستاذ عثمان بن خضراء
68	الدين نافذة مفتوحة على العالم	الأستاذ علي إبراهيم [illegible]
	أبحاث ودراسات :	
70	رابعة العدوية	الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي
75	المعاني الأدبية والروحية في الشعر العربي	الدكتور جعفر الكتاني
78	صرامة الواجب في الفكر الأخلاقي	الأستاذ محمد [illegible]
82	الدكتور زكي مبارك في ذمة الله	الأستاذ عبد الله كنون
85	العبقرية والمسؤولية	الأستاذ سليم [illegible]
89	معالم أساسية في تاريخ الصحة العقلية	الأستاذ العربي [illegible]
92	العوامل الداخلية في انحراف الأحداث	الأستاذ محمد شمس الدين
95	الوجدانيات	الأستاذ عبد القادر زمامة
	ديوان المجلة :	
99	[illegible]	الشاعر مفدي زكريا
101	[illegible]	الشاعر مولاي عبد الملك [illegible]
103	الأرض وحزن الفضاء	الشاعر [illegible]
106	يا خير من [illegible]	الشاعر مصطفى النجار
	دراسات مغربية :	
109	التاريخ الذي لم يكتب	الأستاذ محمد بن علي الكتاني
112	دراسة علم التاريخ بالمغرب	المرحوم الأستاذ الحاج محمد بنونة
115	مظاهر الثقافة في عهد الأدارسة : فاس مدينة العلم والعلماء	الأستاذ عبد الكريم التواتي
121	سفارة فرنسية لدى جلالة الحسن الأول	الدكتور عبد الله العمراني
127	الحسبة في عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن : [illegible]	الأستاذ الحاج أحمد معنينو
134	[illegible]	الأستاذ محمد العلمي حمدان
143	وحدات جيش قصبة سلوان في عهد المولى إسماعيل	الأستاذ [illegible] عبد القادر
	قصة العدد :	
146	قلب وراء [illegible]	الأستاذ محمد أحمد [illegible]
151	[illegible]	تأليف فيديريكو غارسيا لوركا، ترجمة حسن الوراكلي
154	انتحار	الأستاذ محمد المجذوب
158	من أنباء العالم الإسلامي	

العدد الثالث – السنة الخامسة عشرة
ربيع الثاني 1392 – ماي 1972

ثمن العدد : درهم واحد

تصدرها : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

العدد الثالث
السنة الخامسة عشرة
ربيع الثاني 1392
مـاي 1972
ثمن العدد: درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التحرير ــ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ــ المغرب . الهاتف 10 ــ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حسـاب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ــ 485 ــ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط ــ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ــ قسم التوزيع ــ وزارة عموم الاوقاف ــ الرباط
تليفـون 10-308 ــ 03-327 ــ الرباط

كلمة العدد

النفس اللوامة

اذا رأيت اخوانك المنتسبين مثلك الى الاسلام وقت صلاة الجمعة يهرعون الى المسجد لاداء الصلاة ..! والتسابق الى الصفوف الاولى ..! والامعان فى الدعاء والاستغفار .. والتماس الرضا والرضوان من الرحيم الرحمان ..! فاعلم ان وراء كل واحد منهم ضميرا دينيا حيا لا يقبل عذرا . ولا يعرف مبررا . ولا ينتحل مسوغا، فى التخلف عن حضور تلك الساعة ، التى أشرقت أنوارها ، وفاح أريجها وعم فضلها فخشعت عندها القلوب ، وأطرقت الرؤوس ، وتسابقت اليها الجماعات ..! لاداء الفريضة ، واقامة الشريعة ، وارضاء النفس اللوامة ..!

والنفس اللوامة ـ ان كنت لا تعرفها ـ هي ما نقصده بكلمة ـ الضمير ـ والفرق بينهما أن الاول تعبير قرآني . والثاني تعبير انساني ..!

فالتعبير القرآني أحاط بأبعاد الكلمة ، وخصائصها . اما التعبير الانساني فهو تعبير تنكب المقاصد ، واستهدف المظاهر ..! ولا شك ان نعمة النفس اللوامة، التى يملكها قوم زكت نفوسهم ، هي التى ترسم الخط الفاصل بين انسان وانسان ، ومجتمع آخر .. وقد قامت العبادات فى الاسلام من صلاة فى وقتها ، وصوم فى شهره وحج فى أيامه ، وزكاة بشروطها ، على اساس تربية النفس اللوامة ، فى الصغار ، والكبار ، والرجال ، والنساء ، والاغنياء ، والفقراء ..!

فاذا كانت هذه النفس اللوامة قد رباها الاسلام فى نفوسنا بمزاولة العبادات، فانه طالبنا باستعمالها فى المعاملات على اختلاف انواعها ، وتباين أهدافها ، ومقاصدها ، وتلك احدى ثمار التماسك الذى نعرفه فى مقاصد الشريعة ومكارمها، بين شؤون الدنيا والدين ..!

فأمانة الموظف ، وعفة الاجير ، وشهامة الفتى ، وطهارة الفتاة ، لا يحققها ، ولا يرعاها الا تلك النفس اللوامة، التي تحول بين هـؤلاء وبين الانزلاق والانحراف والتردي في حماة الدنس ..! والغواية ..! والضلال ..!

ولعل أكبر مصيبة أصيب بها المجتمع البشري على اختلاف ملله ونحله، هي مصيبة انعدام النفس اللوامة بين الناس . ففدا كل شيء يحتـاج الى حمايـة الحديـد والنار ..! وشرطة السر والعلن ..! حتى صارت الحياة – في بعض مظاهرها – وكانها جحيم لا يطاق .

فواجب المدرسة المسلمة ، والمجتمع المسـلم ، والاسرة المسلمـة ، هو أولا وقبل كل شيء ، غرس فضيلة النفس اللوامة ، في الصغار والكبـار ، ليتعـود المسلمون في جميع المعاملات والافعال أن يكونوا تحت تاثير الخلق النبيل ، المنبعث من عفة النفس اللوامة ، وأمانتها، وشهامتها .. لا تحت تأثير أمر قاهر أو عرض زائل ، او مصلحة مؤقتة ... او رقيب يعمى او يتعامى ..!

وانه لرصيد عظيم الشان واسع الامكانيات . ذلك الرصيد الذى تملكه الامة ، في نفوس لوامة ، في صدور بناتها ، وابنائها وخاصتها ، وعامتها ، واغنيائهـا وفقرائهـا ..

وانها لخسارة عظمى ، وطامة كبرى ، أن ينضب معينها ، فتنعدم الثقة وتعم الحيرة . ويتطلب الانسان الحماية من الانسان بكل ما يمكـن وما لا يمكـن ...! وكان الاجدر بهما أن يوفرا على أنفسهما عناء ذلك بالوقوف عند الحد الذى يقف عنده اولئك الذين أنعم الله عليهم بنعمة النفس اللوامة ..!



806

الدّعوة الى الاسلام

للأستاذ عبد الله كنون

الدعوة الى الاسلام واجب اكيد ، على المسلمين ان يضطلعوا به ، ليعرفوا غيرهم من الامم بمحاسن هذا الدين ، وينقذوهم من ظلمة الشك والحيرة والضلال . ولكن قبل القيام بالدعوة ، يجب عليهم ان يهتدوا بهديه ، ويسيروا على نهجه ، ويطبقوا تعاليمه في اعمالهم اليومية ، وحياتهم الفردية والجماعية ، ولا يعطوا اسوا الامثلة بمخالفتهم لاحكامه، ونهجهم سبيلا غير سبيله في السلوك والمعاملة ، فيكذبوا انفسهم ويكونوا ضدا على الدعوة .

وكذلك فعل النبي (ص) بانه انما وجه الدعوة الى الخارج ، بعد صلح الحديبية ، لما تمهد امر الاسلام ، وتقررت اصوله وفروعه ، وظهر العمل به في المدينة المنورة وانحاء كثيرة من بلاد العرب ، فكتب الى كسرى وقيصر بمن دونهما من الملوك والامراء ، يدعوهم الى الدخول في الاسلام ، وضمن كتابه الآية الكريمة (يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون)

وارسل النبي (ص) والخلفاء الراشدون بعده البعوث والجيوش القاتلة الى البلدان المتاخمة لارض الحجاز ، داعية الى الاسلام ، محاربة في سبيل اعلاء كلمة الله ، فكان اول ما تعرض على اهلها النطق بكلمة التوحيد والدخول في الاسلام ، فان ابت فاعطاء الجزية ، فان ابت فالحرب . وقلما اجاب بلد من البلدان الى الاسلام او الى الجزية ، من اول وهلة ، وانما هي الحرب في غالب الاحوال . وهكذا فتحت الشام والعراق ومصر وغيرها من البلدان .

ومن الثابت تاريخيا ان احدا من اهل هذه البلدان لم يحمل على الاسلام حملا ، وان من كان يسلم منهم بعد الفتح وفرض الجزية ، عدد قليل جدا . ولكن كيف أصبحت هذه البلدان كلها ارض اسلام ، واهلها من المسلمين الذين يتجندون في سبيله والدفاع عنه ، وينشرونه في اقصى المغرب والمشرق، ولم يمر على زمن الفتح الا بضع ستين ؟

ذلك هو الله الذي تنبغي معرفته ، والذي غاب عن كثير من الباحثين حتى صاروا يعتقدون ان الاسلام انما انتشر بالسيف ، ومنهم بعض المسلمين مع الاسف .

في خبر صغير أورده البلاذري في كتابه فتوح البلدان ، ما يكشف لنا عن هذا السر الخطير ، وهو هذا بالنص والحرف ، قال :

وحدثني ابو حفص الدمشقي قال حدثني سعيد ابن عبد العزيز، قال بلغني انه لما جمع هرقل للمسلمين الجموع وبلغ المسلمين اقبالهم اليهم، لوقعة اليرموك، ردوا على اهل حمص ماكانوا اخذوا منهم من الخراج، وقالوا قد شغلنا عن نصرتكم والدفع عنكم فانتم على امركم ، فقال اهل حمص : لولايتكم وعدلكم احب الينا مما كنا فيه من الظلم والغشم ، ولندفعن جند هرقل عن المدينة مع عاملكم . ونهض اليهود فقالوا : والتوراة لا يدخل عامل هرقل مدينة حمص الا ان نغلب ونجهد ، فاغلقوا الابواب وحرسوها . وكذلك فعل اهل المدن التي صولحت من النصارى واليهود، وقالوا ان ظهر الروم واتباعهم على المسلمين صرنا الى ما كنا عليه . والا فانا على امرنا ما بقي للمسلمين عدد .

فلما هزم الله الكفرة واظهر المسلمين فتحوا مدنهم واخرجوا المقاسين (1) . فلعبوا وادوا الخراج.

هذا الانطباع الذي تركه المسلمون في نفوس السكان من نصارى ويهود ، وحرب الفتوح ما تزال قائمة ، وهو الذي جعل اهل تلك البلدان ، يدخلون في دين الله افواجا ، وجعل ارضهم تتحول شيئا فشيئا من دار حرب الى دار اسلام .. فما ان استقرت الاحوال بالمسلمين ورأى الناس استقامة امورهم وعدلهم وانصافهم ، وصحة عقيدة الاسلام وسمو مبادئه وتعاليمه ، حتى عرفوا الحق وانكروا الباطل ، واقبلوا على الدين الحنيف يعتنقونه في حماس شديد ، وينتصرون له ، ويرتسمون في جنده المدافع عنه والمحارب من اجله .

وراع ولاة الاقاليم تهافت السكان على الدخول في الاسلام ، ونقصان الجزية التي يدفعها غير المسلمين ، فكتبوا الى الخليفة يعلمونه بالامر ، ويستشيرونه في منع الناس من الاسلام توفيرا للجزية ، فكان جواب الخليفة ، وهو عمر بن عبد العزيز : انالله بعث محمدا هاديا ، ولم يبعثه جابيا ، فدعوا الناس وما هداهم الله اليه من الايمان، ولو لم تحصلوا درهما واحدا .

ان العدل والاستقامة والسيرة المثلى التي كان عليها المسلمون ، هي التي رغبت سكان البلدان المفتوحة في الاسلام ، بالاضافة الى يسر هذا الدين وسماحته ،و توفيقه بين مطالب الروح والجسد ، فطبيعة الاسلام كدين منسجم مع العقل والفطرة الانسانية ، وحرص اهله على تبليغ رسالته بالتطبيق والعمل ، هما اللذان كان لهما اعظم الاثر في انتشاره بتلك السرعة المدهشة ، وبين اكبر عدد من الشعوب والامم ثبت في التاريخ أنه اعتنق جماعيا ، دينا سماويا بدون ضغط ولا اكراه ، بعدما كان على اديان كبيرة ، منها ما له اصل سماوي كذلك .

على ان الامر وان لم يكن له شاهد من التاريخ ، فان العقل يستبعد جدا ان تكون القوة هي التي دفعت هذه الامم والشعوب بكاملها الى اعتناق الاسلام ، ونبذ الاديان التي كانت تعتقدها من يهودية ونصرانية ومجوسية وغيرها ، وهي اديان لها اصل اصيل من وحي السماء او فلسفة العقل البشري .!

ولا نشك في ان ما حصل هو من معجزات الاسلام التي اقام الله بها الحجة على البلاد في مختلف الازمنة والامكنة ، فان اكتساح الاسلام لهذه الاديان في مواطنها وبطريق الاقتناع، لهو اعظم دليل على صدق رسالته وعمومها ونسخها للرسالات السابقة، وهو في الوقت نفسه دعوة لاتباع هذه الاديان في جميع انحاء الارض ، الى التفكير الجدي في قضية الايمان والبحث عن العقيدة الصحيحة، ليخلصوا انفسهم من الشك والحيرة ، ويهتدوا الى الدين الحق والصراط المستقيم ، كما فعل اسلافهم من قبل ، فانهم ليسوا باهدى منهم ولا اكثر تمسكا بما وجدوا عليه ءاباءهم .

كما ان هذا الحاصل هو مما يقيم الحجة على المسلمين في العصور المتاخرة ، وفي العصر الحاضر بالخصوص ، فانهم بانحرافهم عن الجادة ، وتعطيلهم لاحكام الشرع الاسلامي ، وفشو البدع والاهواء فيهم ، حتى اصبحت هي الاطار العام للدين ، قد دفعوا الاسلام بما ينفر الاجانب منه ، وحجبوا محاسنه عن الناس ، ففتحوا باب القيل والقال فيه للخصوم ، واتاحوا الفرصة للمشي بين المسيحيين في افريقيا وآسيا لنشر المسيحية بين الشعوب الوثنية بل بين جهلة المسلمين انفسهم ، ضاربين الامثال لهم بما عليه المسلمون من التاخر والانحطاط ، وما عليه المسيحيون من الرقي والتقدم .

وما دام المسلمون على هذه الحال ، فان كل دعوة الى الاسلام لا تصيب النجاح المطلوب ، ولا يمكن ان تكون نتائجها مثل النتائج الباهرة التي حصلت في العصور الاولى للاسلام، حين كانت الدعوة بالقدرة والعمل ، اكثر منها بالقول والكلام .

حقا ان كثيرا من الاجانب يدخلون في الاسلام ، على فترات متلاحقة ، ولكنهم على كل حال قلة ، ومن الدارسين الذين يبحثون عن الحقيقة حتى يهتدوا اليها ، وليس كل الناس في استطاعتهم ذلك .

وفي الشعوب الوثنية بافريقيا وآسيا، يسلم ايضا كثير من الناس، بدعوة من بعض المسلمين الذين انتدبوا لذالك ، وبالمقارنة بين حالتهم المزرية

(1) المغنين والضاربين بالدف فرحا وابتهاجا .

وحال المسلمين التي هي كيفما كان الامر، احسن مما هم عليه .

والدعوة كان من الممكن ان تقوم بدور هام في نشر الاسلام على نطاق واسع جدا ، في البلاد الراقية بين قارتي اروبا وامريكا ، وفي اليابان وغيرها ، لو ان المسلمين كانوا ملتزمين بالاسلام مثل سلفهم الصالح، متحلين باخلاقه الفاضلة ، مقيمين لشريعته السمحة ، مؤدين لعباداته وشعائره على وجهها ، غير مكتفين منها بالمظاهر التي لا تنهى عن فحشاء ولا منكر ، متحققين بعقيدة التوحيد كما جاء الاسلام ، بريئة من الشرك الظاهر والخفي ، بعيدة عن تهويمات الدروشة والشعوذة التي اذلت المسلمين وجعلتهم لعبة في ايدي الدجاجلة ، واصحاب الدعاوي الباطلة .

ولا يضر المسلمين انهم ليسوا اصحاب علوم وتقنيات ، فان اسلافهم كانوا كذلك ، وكانت الشعوب والامم التي دخلت في دينهم ارقى منهم في هذا المجال، بل لا نسبة بينها وبينهم في ذلك ، ومع هذا القوا اليهم بالمقاليد ، وتتلمذوا لهم في الناحية الروحية ، ولقنوهم ما عندهم من معارف وفنون .

ومن غير شك ان عودة المسلمين الى الدين الصحيح وتمسكهم بهدي نبيهم وسيرة سلفهم . سيحيل ما بهم من ضعف الى قوة ، ومن جهل الى علم ، ومن تأخر الى تقدم ، وبذلك يكسبون المعركتين معا ، معركة مقاومة التخلف ، ومعركة الدعوة الى الاسلام .

والمهم هو تقرير ان الدعوة وحدها لا تكفي ، ما دام المسلمون بواقع حالهم ضدا على الاسلام ، فانهم اذا ادعوا انه دين التوحيد ، كذبهم ما يتعلقون به من احجار واشجار ورسم ، ناقضين بذلك عقد التوحيد ، مشركين مع الله غيره ، غير مخالفين لعباد الاصنام الا بالادعاء ، واذا قالوا بان عباداته تهذب النفوس وتزكي الارواح وتنعكس آثارها على السلوك والاخلاق ، لم يصدق قولهم مع تفشي الرذائل في المجتمعات الاسلامية على ما هو مشاهد ، واذا وصفوا شريعته بانها اسمى الشرائع وانها تحقق العدالة الاجتماعية على اكمل وجه ، وتصون حقوق الافراد والجماعات بقوانين لا تطال في العدل والانصاف ، لم يطابق الوصف ما يتخبط فيه المسلمون من فقر ومرض وجهل وظلم ، واذا تحدثوا بانه دين العزة والكرامة والوحدة والقوة والمنعة ، كان حاضر المسلمين وما هم عليه من ذلة وهوان وفرقة واختلاف وخضوع للحكم الاجنبي ، لا يتوافق وما يتحدثون به .

والخلاصة أن المسلمين بتنكرهم لدينهم وعدم تمسكهم بتعاليمه، يحولون بينه وبين الناس ، ويقفون في وجه الدعوة اليه فلا تؤتي الا قليلا من النتيجة، ولذلك قال الشيخ محمد عبده رحمة الله عليه : « ان الاسلام محجوب بالمسلمين » ولعلهم بحالهم هذه قد صاروا ممن تشملهم الآية الكريمة التي تقول : (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله) فاني توجهت بنظرك تجد حجابا كثيفا مسدولا على محاسن الاسلام من انحراف المسلمين .

والمسلمون بذلك يعرقلون الدعوة ويتحملون اثما كبيرا في الصد عن سبيل الله .. فلقد جاء في حديث المعراج ان النبي (ص) اتى على خشبة في الطريق لا يمر بها ثوب الا شقته ، ولا شيء الا خرقته — وذلك فيما رأى من آيات الله ليلة المعراج — فقال: ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا مثل اقوام يقعدون على الطريق فيقطعونه ، ثم تلا (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله) وبالعكس لو كان المسلمون على هدى من ربهم ، واقامة لما جاء به نبيهم ، وتمثل لقيم الاسلام العليا ، وعمل برسالته الخالدة ، لكان كل واحد منهم داعيا الى الله ، ومبشرا بكلمته الحق ، ومستحقا للثواب الجزيل الذي جعله الله للدعاة الهداة ، على ما جاء في الحديث الصحيح « لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس » .

ولسنا نقلل من فائدة الدعوة ، او نصرف الداعين عن مهمتهم المقدسة ، وانما نريد ان يكون للدعوة مفعولها وتأثيرها العظيم في الدلالة على الله والتبشير بدينه ، وذلك باستقامة المسلمين على الطريقة ، واعطاء المثل الصالح من انفسهم على هداية الاسلام ، وبالاحرى نريد أن ندعو المسلمين اولا الى الاسلام والتمسك بعروته الوثقى ، ثم نتوجه بعد ذلك الى دعوة غير المسلمين ، فان النتيجة حينئذ ستكون اعظم من كل تقدير ، وكما كانت في البدء عند ظهور الاسلام .

طنجة — عبد الله كنون

سنن الله الكونية

للأستاذ محمد الطنجي

وجه سماحة مفتي الديار اللبنانية استدعاء الى وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية بالمملكة المغربية للحضور فى اقامة مهرجان اسلامي كبير فى عاصمة لبنان الشقيق بمناسبة عيد المولد النبي العظيم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ..

واجابة لدعوة سماحة المفتي الكريمة با لمشاركة في القاء كلمة باسم وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية فقد بعثت الوزارة كلمة فى موضوع « سنن الله الكونية » بهذا المهرجان العظيم احتفاء بعيد رسول الانسانية عليه الصلاة والسلام .

ايها السادة الافاضل ، السلام عليكم ورحمة الله .

لا يخفى عليكم معشر المسلمين اننا فى عصر طغت فيه الماديات على الروحيات حتى اصبح الايمان بالمادة يكاد يعدل الايمان بالروحيات عند الكثير من الناس لذلك كان من اللازم لاتمام الافادة على من يريد بيان فضل رسل الله عليهم السلام على البشرية أن يقدم بين يديه الكلام على وجود الخالق العظيم ، واستحقاقه للعبادة والتقديس والتعظيم، لان التيارات الالحادية غزت كثيرا من المجتمعات حتى شككت ضعفاء الايمان فى عقيدة الربوبية وصار بعض الماديين يقولون كما قال اخوانهم فى الجاهلية ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر .

ولكن رد الله الكافرين بغيظهم لم ينالوا خيرا ، حيث كشف لعباده عن بعض الاسرار من بديع صنعه ، فبهرت آياته العقول والافكار حتى رجع ذوو البصائر الى الايمان بوجود الله تعالى وعظمته ، وبالغ حكمته، فكان ذلك مصداقا لما جاء به الوحي الى خاتم انبيائه « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق » ، وقد ظهر فى العصر الحديث كتاب بعنوان « الله يتجلى فى عصر العلم » ، اشتمل على عدد مهم من اجوبة علماء امريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعة الارض بلغت تلك الاجوبة ثلاثين من اكبر العلماء المختصين فى الطبيعيات وكلها تثبت بالبراهين العلمية وجود الله وباهر حكمته ، وتقر بالعجز عن ادراك كنه عظمته وحقيقة ذاته ، ونقتطف فقرات فقط من بعضها للاشارة لجليل المباحث التى تضمنتها، فهذا استاذ علم الاحياء والحشرات ورئيس قسم فى جامعة سانفرا سيسكو ادوار لوثر كيسيل يقول : لقد عمت امريكا فى السنوات الاخيرة موجة من العودة الى الدين ولم تتخط هذه الموجة معاهد العلم لدينا ، ولا شك ان الكشوف العلمية الحديثة التى تشير الى ضرورة وجود الاه لهذا الكون قد لعبت دورا كبيرا فى هذه العودة الى رحاب الله والاتجاه اليه ، ويعود فيستدرك بالحض للجميع على

الاستفادة مما اظهره العلم فيقول في فقرة اخرى : (لقد من الخالق على جيلنا فبارك جهودنا العلمية بكشف كثير من الامور حول الطبيعة ، وصار من الواجب على كل انسان سواء كان من المشتغلين بالعلوم او من غير المشتغلين بها ان يستفيد من هذه الكشوف العلمية في تدعيم ايمانه بالله) انتهى .

واننا نجد بكل فخر واعتزاز ان القرآن قد دعى قبل اربعة عشر قرنا الى التامل في الابداع والخلق الذي يجعل العقلاء يقرون بحكمة الله في خلقه كما قال تعالى في طبيعة الارض ونفوس اهلها « وفي الارض آيات للموقنين، وفي أنفسكم، افلا تبصرون » صدق الله العظيم . ولا بأس ان نثبت هنا فقرة هامة للدكتور بول كلارنس ابرسول في نفس الكتاب المشار اليه سابقا ، فقد نقل اولا قول الفيلسوف الانجليزي فرانسيس بيكون : «ان قليلا من الفلسفة يقرب الانسان من الالحاد اما التعمق في الفلسفة فيرده الى الدين » ثم قال الدكتور بول كلارنس: والناس على اختلاف اديانهم واجناسهم وأوطانهم قد عرفوا منذ القدم بصورة تكاد تكون عامة مبلغ قصور الانسان عن ادراك كنه هذا الكون المتسع كما عجزوا عن ادراك سر الحياة وطبيعتها في هذا الوجود .

وزاد فقال : وقد لمس الناس عامة ، سواء بطريقة فلسفية عقلية او روحانية ان هناك قوة فكرية هائلة ونظاما معجزا في هذا الكون يفوق ما يمكن تفسيره على اسس المصادفة أو الحوادث العشوائية التي تظهر احيانا بين الاشياء غير الحية التي تتحرك او تسير على غير هدى . ثم يقول : « فهناك ما لا يحصى من الادلة المادية على وجوده تعالى وتدل اياديه في خلقه على انه العليم الذي لا نهاية لعلمه الحكيم الذي لا حدود لحكمته القوي الى اقصى حدود القوة » .

وفي نهاية هذا الكتاب القيم يقول الدكتور محمد الفندي الذي راجع الكتاب وعلق عليه : وفي هذا العصر عصر الاعجاز العلمي نرى القرآن يصف بعض حقائق الوجود المادية بل ويتنبأ بما سيجيء منها في المستقبل بدقة علمية وسلامة لفظية لا مثيل لهما في كتاب من الكتب ، انظر الى قوله تعالى على سبيل المثال لا الحصر : « الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله » ويثبت علم الارصاد أن الاصل في اثارة السحب ونزول المطر منها هو ارسال الرياح لتتجمع في صعيد واحد وتلك حقيقة لا جدال فيها .

« يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء » .

والمعروف بالتجربة بعد أن طار الانسان وحلق في هذا العصر على ارتفاعات مختلفة ان الصعود في الجو والتعرض لطبقاته العليا يصحبه حتما ضيق الصدر حتى تصل الحال الى درجة الاختناق على ابعاد تقل فيها كمية الاوكسجين بل يقل فيها الهواء الجوي عموما الخ ...

وهكذا ساق الدكتور الفندي بضع آيات تتناول ظواهر طبيعية ثم قال :

وانا عندما اسوق هذه الآيات لا ادعي ان القرآن مرجع علمي بالمعنى المعروف ولكني احب ان اتساءل : كيف استطاع رجل منذ اكثر من 1300 سنة ان ياتي بمثل هذه الحقائق العلمية الرائعة ، فهل كان صاحب تلك الرسالة ذلك النبي الامي عالما من علماء الفلك او استاذا من اساطين الطبيعة الحق ، انه لا سبيل الى الجدال وليس امامنا الا التسليم بانه وحي من عند الخالق العظيم انتهى .

وانني اذ اتعرض في هذه الكلمة لبعض الحقائق التي اقرها العلماء المختصون في علوم الماديات ، ارجو ان تكون باعثة للجيل الصاعد وللمتشككين الحيارى في حقيقة هذا الوجود المادي على تجديد النظر في البحوث العلمية التي اقرها علماء بعد تجارب علمية استغرقت عشرات السنين ، ثم رجعوا الى الحق الذي دعا اليه الرسل الذين ارسلهم الله سبحانه هداة للانسانية في ازمان عريقة في القدم لم تبلغ البشرية فيها ما بلغته الآن فكانوا خير اطباء لعلاج النفس الحائرة في مبدا هذا الوجود وغايته وانه من صنع الاله القادر على كل شيء فآمن الناس بربهم واتبعوا شرائعه في سلوكهم العملية وعاشوا بشريعة المحبة والعدل والاحسان ، وعبادة ربهم مخلصين له الدين عيشة راضية وللآخرة خير وابقى .

وبعد ، فاننا في خير ذكرى لولادة اعظم رسول عرفته الانسانية وخاتم انبياء الله الذي أرسله الله رحمة للعالمين ، وانزل عليه كتابا حكيما لا زالت عجائبه تبهر العقول سواء في آيات الخلق والاكوان او في مجال التشريع الذي يضمن الحياة الطيبة لبني

الانسان ، او في مكارم الاخلاق والآداب الصالحة لكل زمان ومكان .

وقد وقع التحدي بالاتيان بمثله لجميع الخلق منذ عهد الرسول المنزل عليه من ربه حتى الآن للعرب والناس كافة ، فلم يقع جواب لهذا التحدي العام بغير العجز التام ، ففي الآية الكريمة : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » .

ومن معجزات هذا الكتاب فيما يتعلق بمستقبله في قضية حفظه من التغيير والتبديل والنسيان قول الله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر ، وانا له لحافظون » وها نحن نرى ونشاهد ان القرآن لا زال كما انزل بلغته الاصلية يتلى فيجميع البلاد الاسلامية حتى في البلاد التي لا تتكلم باللغة العربية من غير ان يحرف فيه حرف واحد ويروى بالتواتر خلفا عن سلف الى يومنا هذا والى ما شاء الله ، فما هو اثر هذا الكتاب الكريم ؟!

ان هذا الكتاب هو كما قال الله فيه : « ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المومنين» ومن اجل هذه الغاية الخاصة التي جعلها الله فيه احدث انقلابا في المجتمعات البشرية بوجه عام لا في خصوص المومنين به انقلابا اصلاحيا في العقائد وفي الاخلاق وفي المعاملات وفي السلوك العام وفي التشريع على اختلاف انواعه كما تكونت في ظله الدول والحضارات واستبحار العمران مع الاستمرار في الازدياد مما يثبته الواقع التاريخي باحرفه الكبرى في كثير من العصور حتى الآن وبعد الآن ، وهذا ما يحقق رجاء الرسول الاكرم عليه السلام في كثرة اتباعه المسلمين كما ثبت في صحيح البخاري وغيره من قوله : ما من الانبياء نبي الا اعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله الي ، فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة .

وهذا الحديث يظهر ان الوحي المقروء سيستمر حتى يومن به من الاجيال الآتية العدد الكثير مومنين باعجازه من الوجوه المختلفة التي يكرع منها كل صنف من الناس حسب مشربه وعلمه واتجاهه في الحياة بخلاف المعجزات التي يشاهدها من حضر في عصر اي نبي ثم تصير في خبر كان .

وبعد فما هي الحالة التي كان عليها العصر الذي بعث الله سبحانه فيه رسول الاسلام سيدنا محمدا عليه السلام بهذا الوحي المعجز الخالد الذي هو هداية عامة للبشرية قاطبة ، جاء النبي العربي الى هذا المجتمع العربي فوجد دولتين عظيمتين في العالم القديم يتنازعان السيادة والغلبة بينهما ، والنفوذ والسيطرة على من جاورهما من الامم دولة الفرس ودولة الروم وفيما يتعلق بالعقائد كانت دولة الفرس مجوسية تعبد النار كما كانت دولة الروم ومن يدور في فلكها تعبد الاصنام والاحجار وتقول او تعتقد ان الخالق هو ثالث ثلاثة ، وكانت الحالة الاجتماعية في كلتي الدولتين ومعنوياتهما فاسدة منهارة تحتاج الى اصلاحات جذرية في شتى نواحيها .

اما الامة العربية حجازها ونجدها ويمنها فغارقة في جاهلية جهلاء اصنام معبودة ، ومحافل الخمر والميسر مشهودة ، وارحام مقطوعة غير موصولة وتنازع على الرئاسات القبلية تجعل الحروب على اتفه الاسباب صارمة ومفاخرات عنصرية دائمة ، ومشاحنات بين العشائر دائمة وجهل وامية غالبة عارمة ، وظلم الاقوياء للضعفاء قد عم وبله وطم سيله، وشريعة اب الانبياء سيدنا ابراهيم عليه السلام في توحيد الله وعبادته لم يبق منها غير الاسم في افواه بعض الاقوام ، وبالجملة قد انهار تماسك كثير من المجتمعات واستفحل داؤها وعز دواؤها فكانت في اشد الحاجة الى من يجبر الكسر ، ويرأب الصدع ويحيي في النفوس المستعدة لقبول الهداية حب الخير وعمله من الايمان بتوحيد الخالق والاعتراف بربوبيته للعالمين وعبادته وتقديسه وحل لغز مبدا الحياة على اساس اسناد الامور كلها للخالق المدبر الحكيم الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا .

وازدادت حاجة البشرية بعد معرفة الخالق سبحانه الى شريعة عملية عادلة واخلاق تقوم السلوك تامة كاملة ، وهناك في ارض بقيت فيها شهامة وعزة وحمية وانفة ، وان كانت جاهلية حيث كانت منعزلة في شبه استقلال من الله على عباده باعظم رسول عرفته الانسانية رحمة منه وفضلا كما خاطبه الله في القرآن بقوله : «وما ارسلناك الا رحمة للعالمين» فوجد الرسول صلى الله عليه وسلم وجهة العباد الى ربهم ، ورفع نفس نفوسهم من ضعة الجهل الى نور العلم ومن سرتع الضلال والوثنية الى عقيدة توحيد الالوهية والربوبية ، ومن التحاكم الى الطاغوت واعراف الجاهلية الى الرضى والاطمئنان الى حكم الشريعة الفاضلة المحمدية وتلك غاية سامية بعث الله نبيه ورسوله سيدنا محمدا لها كما اخبر الله عنها

فى قوله تعالى : « هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم . وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ».

وكما صارت قضية توحيد الاله تعرف الآن بهذه الاكتشافات العلمية التى لها اهمية خاصة فى هذا الزمان ، فصدق العلماء المختصون الحقيقة التى دعا اليها الرسل الذي ارسلهم الله لبيان هذه العقيدة كانت فى الزمن القديم معرفة النبوءات تثبت وتحقق للناس بالشرائع التى اتى بها الرسل الى الناس وقد اوضح ابن رشد الفيلسوف فى كتابه **« مناهج الادلة »** فضيلة الشريعة الاسلامية التى تحقق السعادة لبني الانسان بما لا مزيد عليه فيلنظره من اراد ذلك كما تثبت النبوءة بالامور التى لم تقع فتاتي وفق ما اخبر به الرسول.

وفى هذا المعنى تجد القرآن ياتي بالخوارق ، ففى قضية الروح يقول القرآن : « ويسئلونك عن الروح ، قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا » . فتمضي على قول القرآن مدة اربعة عشر قرنا ولم تعرف حقيقة الروح حتى الآن .

وغلبت فارس الروم فاخبر القرآن بان الروم ستغلب فارسا فى بضع سنين والبضع من الثلاثة الى العشرة فتقع تلك الغلبة كما اخبر القرآن فى قوله « غلبت الروم فى أدنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين » ، ويقع صلح الحديبية بين الرسول وقريش وفى نفس رجوع الرسول بين مكة والمدينة ينزل الله على رسوله سورة « انا فتحنا لك فتحا مبينا » وتاتي البشارة بفتح مكة على هذا الشكل « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا » .

وكان المومنون مستضعفين خائفين فجاء وعد الله لهم بالامن والاستخلاف فى الارض والتمكين للدين فى قوله تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ، يعبدونني لا يشركون بي شيئا » .. فتحقق الوعد الالهي الصادق ، وكان للخلافة الاسلامية من العظمة والمجد والازدهار والظهور فى ميدان الحضارة والمدنية والعمران ما لا تزال آثاره ظاهرة للعيان ، ومن تتميم هذه الخلافة بالنسبة للدولتين اللتين كانتا تتنازعان الغلبة والسيادة فى العالم القديم واللتين خلفتهما الخلافة الاسلامية فى نفس الاقطار التى كانت تحت سيطرتهما جاء قول الرسول عليه السلام مبشرا للصحابة رضوان الله عليهم ، اذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، واذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، ولتنفقن كنوزهما فى سبيل الله فما عدا التاريخ ما اخبر به الرسول .

وبالجملة فقد ثبتت عقيدة توحيد الاله والرب بطريق الاكتشافات العلمية فى العصر الحديث كما ثبتت نبوءة الانبياء منذوي البصائر بالشرائع التى أتوا بها ، وبالخوارق التى ظهرت على أيديهم كما ثبتت رسالة خاتم الانبياء بمعجزة القرآن الخالد التى لا زالت آياته تنير طرق الخير للبشرية وكانت شريعته احسن نظام ثبتت صلاحيته وسعادة المؤمنين به فى حياتهم واستقرار احوالهم واطمئنان نفوسهم حيث جاءت بالمقومات الحقيقية لتكوين الامم والدول .

من وحدة اللغة .
ووحدة الامة .
ووحدة الدين .

واقامة الدولة على اساس الشورى والعدل والمساواة فى الاحكام بين جميع الطبقات وعلى اساس احترام حقوق سائر الناس مخالفين فى الدين او موافقين ، وعلى اساس ابطال العنصريات والطبقيات وبناء التفاضل على طيبوبة النفوس وتقوى الله وعلى الترغيب فى عمارة الارض بما تحتاج الى ذلك من فلاحة وصناعة وتجارة فى حدود الحق والفضيلة وعلى اساس الفضائل الاخلاقية التى يدعو القرآن الى التمسك بها والتى كانت كما قالت ام المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن اخلاق الرسول عليه السلام ، كان خلقه القرآن ، وما ضل ولا غوى من رضي الله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا رسولا ، وفق الله المسلمين ملوكا ورؤساء وشعوبا الى تجديد ايمانهم وسلوكهم ومعاملاتهم وفق عقيدة الاسلام واخلاقه وشريعته والله ولي التوفيق .

الرباط ـ محمد الطنجي

التصور الإسلامي للإنسان

للأستاذ محمد العربي الناصر

الفلسفة كلها تساؤل للانسان عن الانسان . وما يثيره البشر من موضوعات حول الانسان لا يكاد يعدو اسئلة ثلاثة : ما الذى يمكنني ان اعرفه ؟ وما الذى ينبغي لي أن اعمله ؟ وما الذى استطيع أن آمله ؟.. وهذه الاسئلة الثلاثة تتلخص فى سؤال واحد **ما هو الانسان ؟** (1)

ففي ذهن الانسان (ماضيا وحاضرا) نبتت اسئلة اجاب عليها بعقله الذى يحمله حملا ، ويفكر به تفكيرا .. فأبدع وافتن فى الاجابة حتى خرج من اطار الفلسفة الى اطار العلم ، فدرست بعناية اعضاء الانسان ، لحمه وعظامه ، انسجته ونخاعه ، مخه واعصابه ، ونشأت علوم مختلفة متنوعة تحوم حوله. ورغم هذا وذاك ظل السؤال قائما ثابتا فى عقول الناس سواء فى الفلسفة حيث كل عقل يريد أن يرضي تساؤله او فى العلم الذى جهله مطبق . فاغلب الاسئلة التى يلقيها على انفسهم اولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب لان هناك مناطق غير محدودة فى دنيانا الباطنية ما زالت غير معروفة . (2)

الا ان الانسان **المشكلة** عند الفلاسفة **المجهول** عند العلماء ، له صورة وتفسير فى اذهان الناس قد يكون اكثر اهمية واعمق اثرا فى الحياة . فانسان الاغريق ، هو الانسان المصارع للآلهة السارق لنار المعرفة ، المعذب بحقد الآلهة ووحشيتهم !

وانسان الرومان ، هو الانسان الغارق فى بحر الملاهي والملذات ، المنغمس فى الشهوات ، الذى نسي الآلهة واعرض عنها ، واماتها فى نفسه ومجتمعه ولم تعد الا تماثيل وصور لا اقل ولا اكثر!!

وانسان المسيحية الوثنية هو انسان الخطيئة ، انسان الذل والهوان ، انسان الاثم والرهبنة (3) .

وانسان النهضة، هو انسان العقل الاله، انسان الثورة على الاله المسيحي الوثني .

وانسان الحضارة الغربية ، هو انسان التفاهة والضآلة ، انسان العودة الى الحيوانية المتمردة على الله والبيئة ، انسان العبث والقتل والجريمة ، انسان المنفعة والرياء ..

هذه هي التصورات التى انطبعت فى اذهان الناس حول الانسان عبر التاريخ الجاهلي ، ومارسوها عمليا فى مجتمعاتهم فأصبحت علما لهم ، وميزة يمتازون بها عن بعضهم البعض . وهي تفسيرات انسانية .

---

(1) مشكلة الانسان . زكريا ابراهيم – ص : 6 – 5 .
(2) الانسان ذلك المجهول – الكسيس كاريل .
(3) الاسلام ومشكلات الحضارة – سيد قطب .

التفسيرات الانسانية المعاصرة للانسان :

التفسير الانساني للانسان ، تفسيرات انسانية جاهلة (غير اسلامية) تنطلق من الايمان بالانسان ولا غير الانسان ، تلحد وتتمرد ، تكفر وتعبث ، وغايتها التمتع بمتاع الدنياوالتيه فى نعمائها ، وهي فى حقيقتها تعبر عن واقع نفسيتها وظروفها وطبائعها التى كونتها فى الحياة ، فكونت لنفسها قاسما مشتركا يجمع شملها وان تفرقت مذاهب شتى تجعل الراي يتساءل اي التفسيرات اصح ؟ وايها يعبر عن الحقيقة الكلية للانسان ؟. (4)

التفسير الحيواني للانسان :

قال تعالى فى سورة الانفال : 55 .

« ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون » ..

ينطلق التفسير الحيواني للانسان من شعور الجاهلية بحيوانيتها ، وهو شعور طبيعي ملائم لحالتها النفسية ، وصادق فى وصف نفسه ، فالانسان فى الجاهلية حيوان بأصله ونسبه – داروين – وحيوان بمشاعره وأفكاره – فرويد – وحيوان بتاريخه وتطوره يسعى وراء لقمة مهما كلفه الثمن دون الاعتداد بالفضائل والقيم الانسانية والنزعات الخيرة – ماركس – (5) .

وفى نظر البيولوجيا حيوان كسائر الحيوانات، ونوع من انواعها التى تدب على الارض ، فهو ليس الا نتاجا للطبيعة يتغذى ويتمثل ويتناسل كسائر الحيوانات انه خاضع لنفس الضرورات (التى تخضع لها هذه الحيوانات) ومحكوم بنفس القوانين (6) .

قال تعالى فى سورة الاعراف : 179

« لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم اعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، اولئك كالانعام بل هم اضل ، اولئك هم الغافلون » .

التفسير الالحادي للانسان ..

قال تعالى فى سورة يس : 77

« اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » .

الاصل فى التفسير الاحادي ان لا يكتفي بالخصومة والعداء لله سبحانه وتعالى بل يتطاول فى الارض على الوهية الله سبحانه كما قال : (انا ربكم الاعلى) على لسان فرعون. او كما قال زكريا ابراهيم فى كتابه مشكلة الانسان ص : 91 « ان الوجود البشري ليس مجرد انتقال من الحيوان الى الانسان وانما هو أيضا انتقال من الانسان الى الله . وسنرى فيما بعد انه لا بد لنا من أن نصير آلهة والا حقت علينا لعنة الآلهة » .

فغاية الالحاد ليست باي حال انكار وجود الله عقليا، والتماهي فى الاساس التحكم فى ملكوت الارض. وفى هذا يقول نيتشه : لقد صرنا بشرا ولهذا فاننا لا نريد الا ملكوت الارض » . ويقول : « اين مضى الله ساقول لكم اين مضى ! لقد قتلناه انتم وانا . أجل نحن الذين قتلناه فنحن جميعا قاتلون ! الا تشمون رائحة العفن الالهي ؟ ان الآلهة ايضا تتعفن ! لقدمات الله وسيظل ميتا » (7)

التفسير العبثي للانسان ..

نزلت الفلسفة من عليائها كما يقال ، واصبح الانسان الثورة والسوبرمانية بجانب الانسان الحيوان ، يمرح فى تناقض منسجم متكامل مع نفسه . فرغم هذا التناقض القائم فان عملية ابداع

---

(4) استعمل الاستاذان محمد قطب وسيد قطب مصطلح التفسير الانساني للانسان ليدلا على القيمة الاخلاقية فيه مقابل التفسير الحيواني للانسان . فى حين اني لم اقصد بكلمة الانساني المعنى الاخلاقي على الاطلاق . فالتفسير الحيواني تفسير انساني . كما ان التفسيرات الاخرى التى انطلقت من الانسان ولم تنطلق من دين الاسلام هي تفسيرات انسانية .

(5) قيس القرطاس مجلة الشهاب العدد 18 السنة الخامسة ص : 11

(6) الانسان لجان روستان منشورات عويدات . ص : 16 .

(7) مشكلة الانسان ص : 250 .

الحياة عملية مستمرة .. فالحيوان السوبرمان انطلق من عقاله وجرب ما يريد ، وتحرر كما توهم ، ونفذ ما خطط ، وكلما امعن فى الحيوانية وتطلع الى السوبرمانية شعر بالعبثية تسري في جسده ونفسه وعقله . وهكذا انفجر العبث مدمرا عند الوجوديين فقال سارتر :

ان الانسان هو الموجود الذى يشعر بانه قد وجد جزافا اعني يدرك ذاته بوصفه عبثا لا طائل تحته ويعرف دائما انه زائد عن الحاجة » . (8)

وقال تعالى فى سورة المؤمنون : 115

« افحسبتم انما خلقناكم عبثا » .

وقال البير كامو : ان يحيا الانسان هو ان يحيي العبث (9)

وقال تعالى فى سورة الحديد : 20

« اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما » .

فالعبثية ليست بعيدة عن الفكر الغربي الجاهلي بل هي جزء منه ومن صميمه تعكس واقعه النفسي الحقيقي الذى يعيشه هو فى ذاته .. انها عبثية حقيقية . ولكن هذا ليس معناه انهم خلقوا عبثا وانما هم الذين يقضون حياتهم يعبثون .

قال تعالى فى سورة الشعراء : 128

« اتبنون بكل ريع آية تعبثون » .

التفسير المنفعي للانسان ..

قال تعالى فى سورة العاديات : 6 ـ 8

« ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد »

فسر العلماء حب الخير بحب المال . وفى الحضارة المعاصرة تقفز الاقتصاد الى قمة الاهتمامات، وبرهن العالم على حبه للخير وارتباطه به ، مما جعل الماركسية تعطي تفسيرا اقتصاديا للانسان . وجعل الراسمالية تعطيه عمليا نفعيا (برجماتيا) . والك اذا ما تخطيت الاطار الاقتصادي للمنفعة فى الربح والاحتكارات والربا والامتدادات الاستعمارية والتطلعات الامبريالية شرقاوغربا تجد التفسير النفعي او المنفعي ينطلق الى الفلسفة عند (وليم جيمس) والى التربية عند (ديوي) والى الاخلاق عند (ستيوارت مل) والى السياسة عند (لينين) . فالمنافع والمصالح تدفع الانسان الجاهلي دفعا وعلى أساسها يتصرف ويتحرك . فيتصارع ويتحارك ويخلق مناطق نفوذ وازمات عالمية فى كل مكان يستشعر فيه المصلحة والمنفعة .

وقد صور القرآن نفسية الانسان النفعي فى آيات عدة . فهو يسير مع مصلحته ومنفعته التى تخصه ذاتيا ، فاذا فاضت عليه النعم فرح وافتخر بنفسه واعرض عن الله ونأى بجانبه ، وطغى ، واقتر لما فى نفسه من حب المال ، وافتتان بزينة الدنيا . اما اذا مسه الشر ، وضاق به الرزق يئس ، وجزع ، وكفر ، واعتبر ذلك اهانة له . وهكذا تتجاذب نفسه بين السراء والضراء تبعا لما يصيبه من خير او ضر .. (10)

التفسير الاسلامي للانسان ..

فى كتاب مشكلة الانسان ، ذهب زكريا ابراهيم الى تجزئة الانسان وكيانه الى ابعاد ثلاثة : البعد الداخلي ، والبعد الخارجي ، والبعد الفوقي . ووضع أمامنا ـ بذلك ـ الانسان المشكلة (!!) بدل الانسان الخليفة .. وهذا التقسيم ، تقسيم كيان الانسان وتجزئته ، خطأ وخطر .. وقد نتجا فعلا . فانت تراهم يقسمون الانسان الى روح وجسد . فاذا ما تحدثوا عن الروح وآثارها انغمسوا فى الاشواق ، والمشاعر الرفيعة ، وابتعدوا عن زينة الدنيا وطيباتها المرتبطين بالبدن والمتسقتين بالمادة والجسم .. وتراهم يخلطون خلطا عجيبا بين النفس والعقل والروح . ويقابلون كل ذلك بالعمل الحسي المنسوب الى البدن والمادة .. ويا ليت ذلك ظل فى محيط الفهم والفلسفة ، بل تراه تخطى الحدود

---

(8) مشكلة الانسان ص : 8

(9) عن كتاب كامو والتمرد . تأليف روبيه . ص 18 .

(10) سورة هود : 9ـ10 ـ العلق : 6ـ7 ـ الاسراء : 100 ـ الفجر : 15ـ16 .

واوقع شخصية الانسان نفسها فى انفصام نكد .. واوقع الفرقة بين الدين والواقع ، فالذى يسير فى الشارع لا يعي ان خطواته اسلامية ، والذى يصنع ما يصنع فى صناعته لا يفهم ان صنعه وصناعته اسلاميتان ، والذى دق عمله او ضخم ، كثر او قل ، لا يشعر من قريب او بعيد ان عمله ذاك عمل اسلامي.

وحقيقة الامر أن هذا الانسان الذى يعيش على الارض فى هذا الكون الهائل .. هو انسان ما بعد النفخ .. انسان ابعاد تتجمع فى بوتقة واحدة لا تنفصم ، وتنطلق من مجموع الانسان الكلي من خلال خلق علاقاته بالكون والخالق الذي خلقه . فالانسان فى اطار فعاليته فى الكون يرتبط بالعلم والعمل لانجاز ما يريد ، وفى اطار فعاليته امام الله يرتبط بالعلم والعمل والاسلام . ومن المعلوم ان فعالية الانسان فى الكون تنطلق من النية التى ينويها والقصد الذى يهاجر اليه . (انما الاعمال بالنيات . حديث) ومن هذه الحقيقة حقيقة النية والهجرة نشأت التفاسير الانسانية للانسان ، وانطبقت على واقعها انطباقا صادقا رغم انها فى اختراع الانسان ورايه المنكب على الواقع الجزئي لا يرفع راسه عنه .

البعد الاسلامي ..

ان القاسم المشترك بين التفسيرات الانسانية للانسان هو أن هذا الانسان لم يخلق لغاية وهدف . اما التفسير الاسلامي فينص على ان الله لم يخلق الانسان عبثا بل اختاره (11) ليكون خليفته فى الارض (12) ولهذا فان الانسان هو حامل الامانة (13) التى عليه اداؤها (14). وان ذلك لا يمكن ان يقوم الا على اساس مفهوم الفطرة فى الاسلام وهى الاستسلام والعبودية لله .

فكل شيء فى هذا الوجود خاضع بالضرورة لسنة الله تعالى ، وبالتالي خاضع لله . فمن ناحية ترى ان كل شيء فى الوجود آية تنطق بقدرة الخالق وحكمته ورحمته ومن ناحية اخرى نرى ان هذا الشيء ذاته لا يمكن ان يوجد ولا يمكن ان يكون على ما هو عليه الا فى اطار سنة الله وبالتالي لله تعالى . واذن فكل انسان كموجود فى هذا العالم يكون مسلما بالضرورة حسب هذا المعنى فالانسان قد يكون مؤمنا او كافرا ولكنه بالضرورة مسلم لسنة الوجود أي مسلم لله .. (15)

علاقة الانسان بالكون ..

والعلاقة الحقيقية التى تجمع بين الانسان والطبيعة فى التصور الاسلامي هي علاقة اسلام لا علاقة صراع حيث تجعل الجاهلية الكون عدو الانسان . وتصور القوة الكونية مضادة لوجوده وحركته ، وتصور الانسان فى معركة مع هذه القوة – بجهده وجده – وتصور كل تعرف الى النواميس الكونية وكل تسخير لها « قهر للطبيعة » فى المعركة بينها وبين الجنس البشري! (16)

فالاسلام هو الوحدة العميقة التى تجعل الانسان اثناء عمله فى الطبيعة وتسخيرها ، **مسلما وخليفة** ، وتجعل الطبيعة اثناء طواعيتها لفعالية الانسان **اسلامية** . وهكذا يلتقي الكون والانسان فى اسلامهما امام الله فى وحدة متناسقة متكاملة . وما قد تتوهمه الجاهلية من صراع بين الانسان والطبيعة ليس الا خروجا عن الوحدة الاسلامية التى تربط الانسان بالطبيعة (الكون) وتجعلهما مستسلمين لله وحده .

وهكذا يبرز التفسير الاسلامي للانسان ، الذى ينطلق من الاستسلام والعبودية لله وحده . فعبودية الانسان الفطرية لله ، جزء من عبودية الكون باسره لله ، لانها عبودية تعتمد على المحيط الحيوي الذى يعيش فيه الانسان بارضه ونباته ، هوائه ومائه ، خيراته وجماده ، كموجودات أولية للوجود الانساني مما يجعل عبودية الانسان الفطرية عبودية فى النشأة والحيط الحيوي والسبيل والموت والبعث والخلود ..

(11) طه : 115
(12) البقرة : 30 .
(13) الاحزاب : 72
(14) الانسان عند الغزالي للدكتور عيسى عثمان ص 20 .
(15) الانسان عند الغزالي ص : 16 . وكتاب مبادىء الاسلام للمودودي .
(16) فى ظلال القرآن ص : 134 الجزء الثامن دار احياء التراث العربي .

قال تعالى فى سورة عبس : 17 ـ 23

« قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فأقبره، ثم اذا شاء انشره ، كلا لما يقض ما امره » .

اسلام فطري فى النشأة ...

خلق الله الانسان من تراب الارض وانبته منها نباتا واخرجه اخراجا . وقد سواه من طينها وحمئها المسنون ونفخ فيه من روحه وجعله من سلالة من من ماء مهين فى احسن تقويم وكرمه وفضله على كثير ممن خلق (17)

اسلام فطري فى المحيط الحيوي ..

عندما يولد الانسان تبدأ حياته الطبيعية ومعها عبوديته واسلامه لله . فاول ما يتلقى الانسان من المحيط الحيوي فى هذه الدنيا ، الهواء الذى يملأ به رئتيه فتبدأ دورته الدموية تلقائيا ذاتيا ، منفصلة عن دورة الام . وثاني ما يتلقاه الانسان من المحيط الحيوي الضوء الذى يصطدم مع عدسة العين فيحاول ان يبتعد بعينيه عنه لما تعود فى رحم امه من ظلام . وثالث ما يتلقاه الانسان من المحيط الحيوي الغذاء الذى تستمر به حياته . فالله خلق للانسان المحيط الحيوي الذي يحيط به (وهو الذى خلق لكم ما فى الارض جميعا) ، خلق له الشجر والثمر والزروع والنبات ، وانزل له الماء من السماء بقدر ، وسخر له المناخ بسحابه ورياحه وامطاره ، وجعل له الارض مستقرا ومتاعا الى حين (18) .

اسلام فطري فى السبيل ..

السبيل هو طريق الانسان فى الحياة . فالله سبحانه هداه النجدين ، والهم نفسه الفجور والتقوى ، وجعله يدعو بالشر دعاءه بالخير ، وأمده بالعطاء فى أي وجهة وجه نفسه اليها (19) .

وبهذا التقى السبيلان فى عبوديتهما لله واختلفا فى معطياتهما بعد ما قدم الله للانسان القدرة والامكانات ليسير بكل قواه فى سبيل الخير ويعمل الصالحات ، او يسير فى سبيل الشر ويعمل السيئات وكل ذلك باختياره ورغبته .

ولم يترك الله سبحانه عباده بدون هداية . فبعث فيهم الرسل يبينون لهم طريق الحق وطريق الضلال ويدعون الناس الى عبادة الله . فكان دعاؤهم واحد ، شعارهم واحد (ان الدين عند الله الاسلام) .

وقال تعالى فى سورة النساء : 125

(ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا) .

وقال تعالى فى سورة البقرة : 112

(بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) .

وقال تعالى فى سورة آل عمران : 85

(ومن يبتغ غير الاسلام دينا فان يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين) .

وقال تعالى فى سورة آل عمران : 83

(أفغير دين الله تبغون وله اسلم من فى السماوات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون) .

وقال تعالى فى سورة الاعراف : 158

---

(17) سورة آل عمران : 59 ـ نوح : 45 ـ طه : 71 ـ السجدة 7ـ9 ـ التين : 3ـ6 ـ الاسراء : 70 ـ مريم : 67 ـ الطور : 33ـ35 ـ الفرقان : 54 ـ المرسلات : 20ـ24 ـ الطارق : 5ـ10 ـ العلق : 1ـ2 ـ المؤمنون : 12ـ14 ـ الحج : 4ـ5 ـ آل عمران : 6 ـ التغابن 3 ـ الانفطار : 6ـ8 ـ الكهف : 36 ـ الزمر : 6ـ7 ـ الحجرات : 13 ـ الحجر : 26ـ29 ـ غافر : 67 .

(18) الانعام : 141 ـ الانعام 99 ـ الرعد : 4 ـ عبس : 24ـ32 ـ ق : 8 ـ فاطر : 27ـ28 ـ النحل : 10ـ11 ـ المؤمنون : 17ـ20 ـ الزمر : 21 ـ الحج : 63 ـ النور : 42 ـ فاطر : 9 ـ الاعراف : 57 ـ النبا : 14ـ16 الرعد : 12 الروم : 24 ـ البقرة 36 ـ البقرة : 29 ـ الرحمن : 7ـ13 ـ نوح : 15ـ20 ـ يس : 71ـ73 ـ غافر : 79 ـ النحل : 5ـ8 ـ النحل : 66 .

(19) البلد : 10 ـ الشمس : 7ـ10 ـ الاسراء : 11 ـ الاسراء 20ـ21 ـ آل عمران : 178 .

(قل يا أيهـا النـاس اني رسول اللـه اليكم جميعا الذى له ملك السماوات والارض، لا اله الا هو، يحيي ويميت ، فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي الذى يؤمن بالله وكلماته ، واتبعوه لعلكم تهتدون) .

اسلام فطري فى الموت والبعث والخلود ...

قال تعالى فى سورة آل عمران : 185 — 145 — 168

(كل نفـس ذائقة الموت) .

(وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله ، كتابـا مؤجلا)

(قل فادراوا عن انفسـكم المـوت ان كنتـم صادقين) .

وقال تعالى فى سورة البقرة : 201

(واتقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون) .
وقال تعالى فى سورة الاسراء : 49 — 51

(وقالوا اذا كنا عظاما ورفاتا انا لمبعوثون خلقا جديدا ، قل كونوا حجارة او حديدا او خلقا مما يكبر فى صدوركم ، فسيقولون من يعيدنـا ، قل الـذى فطركم أول مرة) .

وقال تعالى فى سورة هود : 103 — 108

(ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الاخرة ، ذلك يوم مجموع له النـاس ، وذلك يوم مشهـود ، وما نؤخر الا لاجل معدود ، يوم يأتي لا تكـلم نفـس الا باذنه ، فمنهم شقي وسعيد . فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك . ان ربك فعال لما يريد . وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك ، عطـاء غير مجذوذ) .

البعـــد العلمـــي ..

خلق الله الانســان وعلمه الاسماء والبيان، وجعله لا يتعامل مع الكون الخارج عن كيانه او يتفاعل معه الا بالعلم . فحواسـه وفؤاده يجعلانه دائما متفتحا على المعرفة والتعلم شاء ذلك ام ابى، شعر اولم يشعر، استفاد او لم يستفد ، كثر علمه او قل .. فرؤيتـه ونظره ، تبصره وتدبره ، تعقلـه وتفكـره فقهـه ويقينه ، كلها مدلولات تحـوم حول معنـى واحـد وشيء واحد بطرق مختلفـة متباينـة فى الوسائـل والنتائج ، وفى الكيفية والكمية .

فالعلم بذلك بعد اساسي للانسان يستطيع بـه ان يدرك عبودية الكون والانسان لله واسلافهما له . .

« فكلمة العلم فى القرآن الكريم وردت بمعنى المعرفة المطلقة التى لا تتقيد بعـلم دون آخر . قـال تعالى : « وفوق كل ذي علم عليم » وقال تعالى : « ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئا » وقد يقتصر المعنى على المعارف الدنيوية كما ورد على لسان قارون قال تعالى : « انما اوتيته على علم عندي » ويكون معناها — وهو الاغلب — المعرفـة الاخلاقية التى تهدي وتصلح .. قال تعالى : « ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذى جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير » ويمكننا ان نقول أن كلمـة العلم وردت فى شمولها بثـلاث معـاني هي قـوام الحياة : العلم النظري والعلم العملي والعلم الروحي، وان فى حث المسلـم على التفكيـر فى عالم النفس والتفكير فى عالم الطبيعة ما يجمع المعاني الثلاثة وذلك كما جاء فى قوله تعالى : « اولم يتفكروا فى انفسهم، ما خلق الله السماوات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى » . والقرآن الكريـم حافـل بالآيـات الكريمة التى تدعو الى معرفة الكون بما فيه ومعرفـة نفس الانسان : « سنريهم آياتنـا فى الآفـاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق، اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » . « فلينظر الانسـان مم خلق » . « أفـلم ينظـروا الـى السـمـاء فوقهـم كـيـف بنيناها وزيناها وما لها من فروج » . « وكأيـن من آية فى السماوات والارض يمـرون عليها وهم عنها معرضـون » . « ويتفكـرون فى خـلق السمـاوات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا » . وهكذا نـرى القرآن الكريم يستعمل الالفاظ المؤدية الى نفس المعنى الواحد وهو طلب العلم : (اولم ينظروا — انظروا — افلا تبصـرون — افلا يتدبرون — يعقلون — يتفكرون — يعلمون — يوقنون — يفقهون)

وبهذا يسقط كل ادعاء يبعد العلم عن الانسان. فالانسان مفطور على العلـم والتعـلم ، وما تطرحـه الجاهلية المعاصرة من شبهات التعارض بين الاسلام والعلم كما فعل صاحب نقد الفكر الديني . ليس الا تغاضيا عن هذه الحقيقة وهذا البعد الاصيل فى الانسان . فموقف المسلم بذلك لا ينطلـق بحال من

التوفيق بين الاسلام والعلم ، بل المسلم يتخطاه ويتجاوزه . فموقفه ـ منذ ان كان ـ هو ان يقرا وان يتعلم (اقرا باسم ربك ـ وقل ربي زدني علما) . والمسلم لن يتقدم ، ولن يخطو خطوات الى الامام الا بهذا البعد الاساسي الذي نشأ معه ، ولن يكون انسانا الا به .

ومن اخطر ما الشبهات قبل تجاوز امكانية قيام **علم اسلامي** وتعارض الاسلام مع العلم والمعرفة قلبا وقالبا روحا ونصا (20) ، ان الدين يفتح باب الخرافات واعتناق ما هو غير علمي ؛ اي ما ليس تجريبيا ومحسوسا ملاحظا لاعتماده المطلق على نصوص دينية خالصة لا تمس العلم في شيء حسب قولهم . وهذه الشبهة اصبحت سائرة اليوم فهم يقولون مثلا: اذا ما اعتقدت في اسطورة ابليس فما عليك الا ان تعتقد في العنقاء والغيلان .. وان تنازلت عنها فما عليك الا التنازل عن كل المعتقدات الاخرى التي تتبعها من جنة ونار وغير ذلك .. وهذه شبهة مردودة لان عقلية المسلم عقلية علمية ـ انطلاقا من البعد العلمي ـ لا عقلية خراقية . فان سقطت في الخرافة عقلية ما ، فاعلم انها ابتعدت عن بعدها الاسلامي والعلمي في آن .. فعقلية المسلم تنطلق من اساس تجريبي سليم ..

(ولا تقف ما ليس لك به علم ، ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا)

وكل ما يتعلق بالغيب الذي لا علاقة له بالوحي المنزل ، او ما هو دون الحجة والبرهان ، وما هو ظن ليس الا ، يلفظ لفظ النواة (21) .

وخطا هؤلاء يقع حيث انهم يوجهون اتهاماتهم على لا علمية الدين لانه يؤمن بنصوص دينية بطريقة غير علمية !! في حين ان العلم والتعلم لا يوجه الى النصوص فحسب وانما الى الكون والانسان وهذا لا يكون الا بالتجربة والملاحظة . اما الايمان بالنصوص الدينية فهو ايمان واقعي لانه انطلق من رسول عاش واقعيا وبلغ للناس الامر واقعيا . ونحن عندما نقرأ الآية (لا تقف) نجد فيها الدعوة الى العلم عن حجة وبرهان يقوم على الحواس والفؤاد .. فأية غضاضة بعد ذلك ان نؤمن بالنص وننطلق منه والعلم لم يات باكثر من ذلك !؟

وشبهة اخرى تطرحها الجاهلية المعاصرة تقول: ان المعلومات التي يقدمها الدين عن الكون والانسان تناقض المعلومات العلمية وتتعارض معها مما يجعل الدين يتناقض مع العلم .. والحقيقة اننا اذا فهمنا العلم انه استعداد لاقامة معلومات على اساس تصور ديني شيوعيا كان أو ليبراليا أو اسلاميا ، فالمسألة هينة ، ولكن هؤلاء يطرحون العلم في اضيق معانيه ، يطرحونه على انه تلك المعلومات والنظريات التي انتجتها اوربا بالذات في فترة معينة من الزمان حيث كانت الايديولوجيات المادية مسيطرة تماما على العلم . وعلى هذا الاساس **فالمشكلة** التي تتحدانا ليست شبهات هؤلاء الناس ، وليست المشكلة كيف التوفيق بين الدين ومعلومات الغرب وانما الذي يتحدانا الآن هو اقامة **علم اسلامي** خالص من شوائب الجاهلية. والمؤمن في هذا ان يكون للكفر علم ؛ فالجاهلية علمها ، ولكنه علم له اطاره ، وله نظرياته. بينما العلم الاسلامي ممكن الوجود ، ممكن ان يقوم على مبادىء اسلامية . وهذا ما يجب ان يعيه المسلم اليوم : يجب قيام **علم اسلامي** في كل فرع من فروع العلم الممكنة ، التي قامت والتي لم تقم بعد ، والمسلم عندما يعتقد هذا ويعمل من اجله يكون قد التصق بمنهج ربه وانتبه الى بعد من ابعاده الاساسية الا وهو البعد العلمي . وعندما يخلق المسلمون هذا العلم الاسلامي كما خلقه المسلمون الاولون يحسم الكلام وتخرس الالسنة وتكمم افواه الشبهات .

البعـــد العلمـــي ..

قال تعالى في سورة التوبة : 105

(وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون) .

العمل بعد ثالث من ابعاد الانسان . فيه ينفجر اسلامه وعلمه متفاعلا مع الكون على اساس من الامداد غير المحظور الذي امده الله به . فالعمل هو المحك الذي يتفرع منه السبيلان اللذان هدى الله الانسان اليهما ، فهو اما عمل صالح واما عمل سيىء .

---

(20) هذه الشبهات اخذت من كتاب نقد الفكر الديني ـ صادق جلال العظم .

(21) سورة الانعام : 148 ـ 149 غافر : 35 ـ غافر : 56 ـ يونس : 36 ـ آل عمران : 66 .

والقرآن الكريم يعبر عن هذا البعد باسماء مختلفة كلها تدل على فعالية الانسان العملية وما يجنيه منها . فنجد فى القرآن العمل والكسب والصناعة والفعل ... (كلا ، بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) . (وما التناهم من عملهم من شيء، كل امريء بما كسب رهين) . (جزاء بما كانوا يعملون) . فالعمل فى هذا المعنى الذى أتى به القرآن الكريم بعد شامل لفعالية الانسان فى الارض، لا فرق بين عقيدته او سلوكه ، شعوره او حركته ، فكره أو عمله ، فهو ليس الا تعبيرا عن خلافة الانسان فى الارض ومحك النظر والاختبار والابتلاء .. (قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم **ويستخلفكم** فى الارض فينظر كيف **تعملون**) (22) .

فالشبهة التى تنطلق من حناجر الجاهلية المعاصرة وتقيم سياجا محكما على البعد العملي فى الانسان المسلم ، وتجعل الاسلام دين كسل وخمول او زهد واعتزال عن معترك الحياة ، وتنسب الى الاسلام التاخر والتحجر الذى لا يستطيع ان يخلق حضارة ويبدعها .. هذه الشبهة ليست الا اختلاقا واهيا كمقدمة للاندماج فى الحضارة الغربية ومحو الشخصية الاسلامية . فمما لا شك فيه ان العمل فى الاسلام هو خالق الحضارات ، وقنطرة لعمارة الارض وتسخير خيراتها .

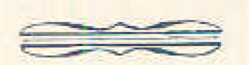
ولكن من العبث ان نتكلم عن ريادة المسلمين للعالم وعن حاجة الانسانية الى قيادة الاسلام لها ونحن لم نخلق هذه الريادة عمليا .. من العبث ان نتكلم عن ذلك ونحن قد انفصلنا عن اهم ابعاد كينتنا فى الكون . فالتحدث عن التقدم المادي فى الغرب والامكانات الروحية فى الاسلام ليس كافيا لخلق عمل حضاري يقود البشرية . فالفصل بين الماديات والروحيات فى العمل حسب ما هو متداول عند بعض الاسلاميين لهو من أخطر الافكار على البعد العملي للانسان . فالعمل وحدة تكاثفت فيها كينونة الانسان وكتلته البشرية فى تفاعلها مع الكون على اساس من الابعاد الثلاثة : الاسلام والعلم والعمل . والفصل بينها لمن اخطر ما توهمناه ونتوهمه فى الرقي الروحي والصفاء الروحي وما الى ذلك من كلمات شفافة رهيفة رقيقة المشاعر .. فالاعمال اذا كانت بالنيات وان لكل امريء ما سعى فان المسلم مطالب ان يعمل صالحا وان ينتشر فى الارض ويمشي فى مناكبها ويبتغي من فضل الله ويأكل من رزقه حلالا طيبا ، وان يتسابق الى الخيرات .

قال تعالى فى سورة الانعام : 135

(قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل ، فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار ، انه لا يفلح الظالمون) .

الرباط ـ محمد العربي الناصر

(22) الاعراف : 129 ـ الحديد : 7 ـ ص : 26 ـ الانعام 165 ـ البقرة : 30 .



قيم غالية في تاريخ الاسلام

للأستاذ : محمد بن عبد الملك الكتاني

التاريخ بالنسبة لاي امة اكثر من سجل للحوادث والمنشآت ، انه مسيرة حية مبدعة ، متطورة ، بابراز المسيرات البشرية الاخرى ، انه نهر كنهر هراقلطيس ، ما من لحظة هو هو . انه يتجدد ويندفع ويتطور ، لكن فى خط معين ، اي فى اتجاه يربط دائما بين الينبوع والمصب ، او بين المبادىء والغايات .

وحركة التاريخ بهذا المفهوم ليست حركة يغيب طرفاها وراء حدود الميتافيزيقا ، حيث يلعب القضاء والقدر دوره الحاسم ، فذلك امر لا نحب ان نناقشه الآن، لان ما يهم الانسان اليوم من تاريخه ان يجد فيه دوره هو ، ويجد فيه ايضا تفسير الماضي وبذور المستقبل . ومن الممكن ان يكون التاريخ خاضعا لحركة جدلية بين الطبقات الاجتماعية فى علاقاتها بالمعادلات الاقتصادية (1) ، او يكون حركة يوجهها فكر مطلق يسعى لتحقيق ذاته (2) او مجرد حركة تطورية تخطط لها العبقريات الانسانية عبر الزمان(3)، او غير هذا او ذاك مما تقدمه لنا الفلسفات الغربية. وفى جميع الاحوال يظل التاريخ حركة لها عللها وحتمياتها . ويظل تاريخ الاسلام مسؤولا عن تحديد دوافع حركته ، مسؤولا عن تحديد الخط الحضاري الذي يسير فيه، والشعارات او المبادىء التى يقيس بها او اليها شؤون الازدهار والتدهور ، والثبات والتطور .

انه تساؤل يلح علينا عند كل مطلع سنة هجرية. فلماذا السنة الهجرية بالذات ؟

لان حركة الاسلام التاريخية تبدا من هنا . اي من تخطيها لمهبط الوحي البعثي فى مكة الى مهبط الوحي التشريعي فى المدينة المنورة ، بحثا عن بيئة جديدة ، وبحثا عن مناخ وتربة ملائمين للبذور الجديدة . وهنا ناخذ الدرس الاول من تاريخنا . وخلاصته ان البيئة الصالحة للثورة ، اجتماعية او سياسية عامل اساسي فى نجاح تلك الثورة .

والتساؤل الملح علينا كما حددناه من قبل انما ياخذ عمقه من وعينا للتاريخ الاسلامي .

والمؤسف هو ان هذا الوعي يزداد ركودا وضحالة فى هذا العصر ، ونحن فى نهاية القرن الرابع عشر للهجرة . ان الواقع يؤكد اليوم جهل المسلمين لحقائق تاريخهم ، ولخط المسيرة التاريخية للاسلام . وينعكس ذلك على واقعنا فى العالم الاسلامي ، فهذا العالم كما يبدو اليوم يعيش مرحلة التيه والضياع بين المسيرات البشرية الاخرى ، تتجاذبه الايديولوجيات والتكتلات والشعارات .

---

(1) وهو التفسير الماركسي للتاريخ : خلاصة راس المال ص 16

(2) وهو تفسير هيجل للتاريخ . هيجل لاندري كرسون ص 113 .

(3) وذلك هو تفسير الفيلسوف كارليل .

والامر يتجلى بصورة أوضح عندما نضع سؤالا كهذا : لاي حركة تاريخية ينتمي المسلمون اليوم ، وما الافكار الاساسية التى تحركهم ؟ ونعتقد ان الامر ادهى من ذلك ، فالمسلمون اليوم مفترقون مختلفون ، لا تجمعهم وحدة او فكرة او منهاج عمل . وللخروج من هذا الضياع ينبغي أولا ان نعود الى التجاوب مع تاريخنا ، اي ان نكتنه حقيقة تاريخنا ، ونفقه فلسفته ونتعاطف معه . ولما كنا نجهل هذا التاريخ ولا نفقه قواه المحركة ، فضلا عن ان نستنتج منه فلسفة ، فاننا لا ندري لحد الآن ماذا ينبغي ان نفعل .

وهنا نؤكد حقيقة اساسية ، وهي اننا لا نعني بالتاريخ مجرد احداث متراكمة عبر الزمان ، من دول وامارات ، وغزوات وحروب ، وآثار تشيد وتبلى وهزائم وانتصارات تترى فى دوامة دائرية لا يدرى طرفاها . فالتاريخ بهذا المعنى لا معنى له ؛ ولا معنى ايضا لان ننتمي اليه او لا ننتمي ، لاننا جزء منه ، وحركة من حركاته وفصل من فصوله ، أحببنا ام كرهنا . وانما نعني بالتاريخ هنا حركة انسانية ذات مضمون عقائدي وحضاري تنطلق من مبادىء موضوعية تتجلى فى احداث ، وتسعى لاهداف وغايات . وينشأ الصراع حولها حين ينشأ من أجل قيم واضحة ومثل اخلاقية نابعة من نفس المبادىء والاهداف وينتهي هذا الصراع او يتجدد على اساس من معنى الانتصار والهزيمة اللذين يكتبان لمرحلة من مراحل انتضال فى سبيل تحقيق تلك القيم والمثل . وبهذا المعنى نفهم معنى معركة بدر او حروب الردة او معركة صفين او معركة حطين . باعتبارها جميعا حلقات ينتظمها خيط معين، لا احداث مرتجلة، أو معارك اشخاص لهم مغانمها وعليهم تبعاتها .

ان وراء تاريخنا الاسلامي منهج للحياة يجب تحقيقه . وهذا المنهج هو الذى يجعل حركة الاسلام احدى قوى التاريخ الكبرى ، وهو الذى ابدع تلك الحركة الثقافية والحضارية التى نعرفها ، وهو الذى يعبيء له المسلمون طاقاتهم ، ويكرسون له قواهم ، وهو الذى يجعل الموت فى سبيله شهادة لا انتحارا ولا اعتباطا . وهو المنهج الذى ارتضاه خالق الانسان للانسان . وطالما آمن به انسان سيظل التاريخ الاسلامي حركة على وجه الارض .

—) ◆ (—

ان كل تاريخ لابد ان يخضع لدورات من الازدهار والتدهور حسب قانون يجتهد الفلاسفة فى تأويله . وتاريخ الاسلام قد عرف احوال الازدهار واحوال التدهور حسب هذا القانون او ذاك . والمؤكد انه لا ينبغي ان نياس اليوم ونحن نقع الآن فى طرف من حركة التاريخ ، هي وان كانت فى نهاية الانحدار الا انها تؤذن بصعود جديد ، « وتلك الايام نداولها بين الناس » وايماننا بهذه المداولة للايام بين الامم فى تواريخها معناه الايمان بسنة كونيه ، لا تتخلف . تترجمها فلسفات المؤرخين حسب ما يتراءى لهم . ولكن علينا ان نعي معنى الحركة التى تحقق هذه السنة الكونية . فهناك من يرى ان العالم الاسلامي وقع فى تصدع اثر انطلاقته الاولى بين انجذابه لروح القرآن وبين انجذابه من جهة اخرى الى الروح الجاهلية . وقد حصل ذلك فى وقعة صفين فى العقد الرابع من تاريخ دولة الاسلام . واستطاع الاسلام كدولة — رغم هذا التصدع — أن يتماسك بفضل الروح القرآنية التى كانت تهيمن على قادة الفكر وربما بعض رجال السياسة والحكم ، الذين كانوا يحافظون على التوازن بين المادي وبين الروحي ولو الى حين . وقد كان هذا التوازن مبعث ازدهار فكري وحضاري ، غير ان حركة التاريخ الاسلامي اخذت فى التدهور عندما فقد الجانب الروحي فعاليته — ولم تستطع الدول الاسلامية المتاخرة — بما فى ذلك الخلافة العثمانية — ان تصنع شيئا ينقذ المجتمعات الاسلامية من الهبوط . وما بقي من حرارة ذلك الايمان ووهج العقيدة هو الذى غير اتجاه الهبوط فى العصر الحديث ، بالنسبة للشعوب الاسلامية . ومن المعلوم ان هذه الشعوب بلغت نهاية ضعفها فى اول القرن التاسع عشر للميلاد ، وابتليت بازمات واوضاع فاسدة كان بعضها كافيا للقضاء على دول وشعوب عظيمة قبلها . وجاء العصر الحديث والعالم الاسلامي كله هدف لحملات التبشير والاستغلال والاستعمار . وتوقع الناس يومئذ انتهاء هذا التاريخ الى مداه الذى لن يتعداه . ولكنهم فوجئوا ، فالاستعمار يتراجع او ينسحب عن بلاد الاسلام . والاسلام يزداد انتشارا فى قلب افريقيا وآسيا . وتبرز له دولتان عظيمتان هما دولة اندونيسيا ودولة الباكستان . ولم يكن ذلك اتفاقا ومصادفة يصعب تعليلها بالنسبة لحركة التاريخ الاسلامي ، بل كان امرا طبيعيا ينسجم مع قانون هذه الحركة فى تصاعدها وامتدادها . وهذا هو الدرس الثاني الذى

نستخلصه من هذا التاريخ ، وهو ان للاسلام فعالية متحركة تنبع من عقيدته الكونية الصامدة تجعل مسيرة تاريخه مسيرة متحركة تزيدها عناصر التحدي والمقاومة صمودا وثباتا ، وتجدد فيها روح العزم وقوة الثبات .

—(◆)—

ويعن لنا ان نرد بهذه المناسبة على راي للفيلسوف الالماني هيجل . وذلك بصدد تفسيره للتاريخ ولقوانين حركته . حيث قال : « ان التاريخ العام يمثل الروح وهي تجاهد للارتقاء الى معرفة الشيء في ذاته ، والشرقيون لا يعرفون ان الروح او الانسان من حيث هو انسان انه حر ، وبما انهم يجهلون هذه الحقيقة فهم ليسوا احرارا . وان الادراك الواعي الحرية قد تفتح عند الاغريق اول مرة، ولذلك كان هؤلاء احرارا ، ولكن الاغريق والرومان كانوا يدركون ان الحرية ليست من نصيب كل انسان من حيث هو انسان ، وانما هي من نصيب بعض الافراد (1) . ويمضي هذا الفيلسوف الى استنتاجه الاخير وهو : ان الامم الجرمانية اول من ارتقى الى ادراك الحقيقة ، وهي ان الانسان من حيث انه انسان هو كائن حر .

وواضح ان هيجل يعني بشعوب الشرق فيما يعني الهنود والصينيين والفرس، ولكن هل كان يعني العرب ايضا ؟ اذا كان يعنيهم فهو يجهل التاريخ ، واذا كان لا يعنيهم فهل يجهل حركة من اقوى حركات التاريخ في الشرق . ولا عذر له في الجهل بالامرين او بأحدهما على السواء .

ونحب ان نرد عليه بان الاسلام جاء ليؤكد فيما يؤكد من مبادىء مبدا الحرية الانسانية ، ولسنا بصدد استعراض امثلة تدل على ايمان العربي بالحرية في الجاهلية الى درجة وعي المتلمس (2) لهذه الحرية في قوله :

الم تر ان المرء رهن منية
صريع لعافي الطير او سوف يرمس

فلا تقبلن ضيما مخافة ميتة
وموتن بها حرا وجلدك أملس

وما الناس الا ما راوا وتحدثوا
وما العجز الا ان يموتوا فيجلسوا (2)

فقد قيل بان هذه الحرية هي حرية واقعية ، « لا تعني مفهوما انسانيا عاليا ، فهي كالحرية التى تتمتع بها الاوابد في الخلاء ، او تتمتع بها الطير في الهواء . وعلتها انها حرية مصدرها قلة المنازعة عليها لا قوة المبادىء التى تدعمها وتحميها » (3). لقد جاء الاسلام ليرفع من مستوى شعور الانسان بحريته الواقعية الى مستوى شعوره بالحرية الحقوقية والفكرية والفلسفية ، ودليلنا على ذلك امران نجتزيء بهما عن امور . والاول ان الاسلام حدد المسؤولية الفردية في المجتمع نظير ما اعطاه من حرية التصرف والسلوك ، وبذلك ابطل محاسبة انسان بعمل انسان آخر ، وابطل افضلية انسان على انسان بغير العمل الصالح ، وحدد المساواة المطلقة بين الافراد . واما الامر الثاني فهو سلوك الخلفاء الراشدين اثناء مزاولتهم حكم الدولة الاسلامية ، انطلاقا من المفاهيم التى آمنوا بها اقتداء بالرسول ، واجتهادا في تحقيق المثل الاعلى الذى لقنوه منه .

فهذا عمر بن الخطاب يستفهم استفهام الانكار احد ولاته المشتطين في معاملة الناس : « متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا ؟ » اما علي بن أبي طالب فيقول للناس كافة ، اي لمطلق الانسان : « لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا ».

وهذه مفاهيم ومسالك في الحكم جديدة على التاريخ الانساني والفكر الانساني ، فيما نعلم . والجديد فيها حقا انها لم تكن نظريات طوباوية كتلك التى نقرؤها في « جمهورية افلاطون » ، بل انها مبادىء سلوك سياسي لاثنين من ائمة المسلمين وخلفائهم في الصدر الاول من تاريخ الاسلام ، ومن الذين جمعوا بين السلطتين الدينية والسياسية بيد واحدة . فالحرية في التاريخ العربي والاسلامي مبدا من المبادىء المقررة ، وان كانت كسلوك ظلت قاصرة

---

(1) هيجل ــ اندريه كريسون . ص 120 .
(2) المتلمس : جرير بن عبد المسيح شاعر جاهلي من منادمي عمرو بن هند ملك الحيرة في الجاهلية).
(3) الديمقراطية في الاسلام ــ عباس العقاد . ص 27

على الآحاد من الخلفاء ورجال الحكم والفكر . والمهم انه لم يبق للجرمان الفضل في ادراك حقيقة الحرية كما يزعم فيلسوف الجرمان ، فعلي بن أبي طالب قد عبر عن وجود الوعي بمدلول الحرية كحق من حقوق الانسان قبل ذلك بعشرة قرون .

وهناك امر جدير بالملاحظة ، وهو : ان بين عبارتي عمر وعلي تفاوت في الدلالة والعمق يشير الى تطور مفهوم الحرية بين الرجلين في فترة لا تتعدى عقدا من السنين . ونترك بيان هذا الفرق في الدلالة والعمق لاحد الكتاب المسيحيين ، لانه ادل من سواه في انصاف الخصم . يقول جورج جرداق : « لا بد من الاشارة الى امر ذي خطر في نطاق هذا البحث . فلو استعرض المرء لفظة الحرية في ذلك العصر لما وجد لها مدلولها الواسع العام الا في نهج الامام علي . فان كلمة الحرية ومشتقاتها جميعا ، لم يكن لها من المداول في عصر الامام الا ما يقوم منها في معارضة الرق . فالحرية ضد العبودية، والحر ضد العبد أو الرقيق . فلو نظرنا في المدلول الصحيح لكلمة عمر بن الخطاب المشهورة : (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتم احرارا) لراينا ان صيغة هذه العبارة ، والظرف الذى قيلت فيه ، والدوافع التى اهابت بابن الخطاب الى قولها ، تتفق جميعا على ان عمر لا يعني بالاحرار الا اولئك الذين ليسوا عبيدا يباعون ويشترون .

اما لفظة الاحرار التى تعني اصحاب الحق في القول الحر والعمل الحر، فليست تلك التى يوردها ابن الخطاب في عبارته هذه . نضيف الى ذلك دليلا آخر ، هو أن عمر توجه بقوله هذا الى الذين يستعبدون الناس فيامرهم بالا يسترقوا من ولدتهم امهاتهم أحرارا .

وهو لم يتوجه بقوله هذا الى الارقاء انفسهم فيامرهم بان يثوروا على مستبديهم شراء وبيعا . اذن ، فالامر منوط بارادة الاسياد في كلمة عمر ، والنصيحة موجهة اليهم وحدهم والافضل الا يسترقوا المستضعفين من الناس .

اما عند علي بن ابي طالب فالامر غير ذلك . ومفهوم الحرية اوسع واعم . تستدل على ذلك بنص صريح له ، اولا ، ثم بما نستنبطه من دستوره العام الذى نرى منه وجوها في معظم اقواله وعهوده ووصاياه . فازاء كلمة عمر التى اشرنا اليها ، يقول علي نصا : (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا). فانظر كيف توجه علي بقوله الى من يريده أن يشق بنفسه ويستشعر روح الحرية ومعناها ، فالقى في نفسه ما يوقظه الى أصل من اصول وجوده ، وهو ان طبيعة الكون جعلته حرا لا يتمرد ولا يطيع ولا يعمل ولا يقول الا على اساس من هذا الحق الطبيعي. وهو بذلك انما يلقي في نفسه بذور الثورة على كل ما من شانه أن يضيق عليه، ويسلبه حقه في ان يكون حرا (1) .

—) ◆ (—

وقد قلنا من قبل باننا اصبحنا نجهل تاريخنا ، بحيث اصبح غيرنا ينبهنا الى قيم هذا التاريخ ، ويوقفنا على معالمه ومناقبه ، وهو امر يؤكد انفصالنا عن مسيرتنا التاريخية . والذى نعنيه من هذا الانفصال هو ما نلاحظه من انحراف عن جوهر الرسالة الاسلامية الخالدة ، والوقوف بموقف الاختيار من جديد بين اتجاهات متناقضة . وتلك بعض مظاهر الغزو الفكري الذى يحيط بنا . وهذا الغزو الفكري ، هو الذي زلزل ثقتنا في الماضي وشككنا في ثقافتنا الوطنية وقيمنا الروحية ، وذلك ضمن مخطط رهيب يرمي الى عزلنا عن المدار الحقيقي الذى يجب ان نسير فيه . فالشخص المسلم اليوم يتعاطى ثقافة جديدة ، ويتجاوب مع حضارتها ، وينفعل بتاريخها معصوب العينين في الوقت الذى لا يعرف فيه ثقافته بالمعنى الصحيح ، ولا يقرا عن تاريخها الا من خلال كتب الاجانب والقساوسة المتنكرين امثال لامنس ورينان . الشخص المسلم في هذا الاطار من الثقافة المجلوبة والحضارة المستهلكة يعيش في استمرارية تاريخية تنطلق من اوروبا ، وتقاس مراحلها بمقاييس الفكر الغربي ، وهو ليس منها في شيء ، وبفعل هذا الاستلاب تحول الى كائن مستهلك ومقلد ، يحفظ الاحداث ويحتج للمفكرين وينصاع للاراء من كل ما هو اجنبي ، ولا يحتفظ في ذاكرته بازاء ذلك باي فضل او حادثة او راي مما يحفل به تاريخه . وهكذا يطمس تاريخه برمته ، ويلقى في زوايا القرون الوسطى لانها عصور ظلام ،

---

(1) علي وحقوق الانسان : جورج جرداق ص 174 .

دون ان يتنبه ان هذه العصور الوسطى هي عصور اوروبا وحدها .

قد يقول القائل : اننا فعلنا كل ذلك وانتمينا الى الحضارة الحديثة واندمجنا في مسيرتها لنلتحق بما هو كوني شامل ، لان الحضارة الحديثة حضارة عالمية لا تختص بطائفة او امة او صقع من اصقاع الدنيا ، فلم البقاء في مسيرتنا الاقليمية الضيقة ، او في اطارنا التقليدي ، خصوصا وان معطيات هذه الحضارة معطيات ينتفع بها كل انسان يسعى للتطور ؟!

ونحن نرى ان هذه الكونية الشاملة غاية كل حضارة ، وغاية كل تاريخ ، ولقد كان التاريخ الاسلامي نفسه يستهدف الكونية والشمول ، وقد حقق ذلك بالفعل يوم كان الخلفاء الاولون من المسلمين يحكمون العالم القديم باسره ، وكانت الجامعات الاسلامية جامعات الأمم كلها من مسلمين ويهود ومسيحيين ، وكانت العربية وآدابها لغة العالم المتمدن وآدابه ، ورسالة الاسلام نفسها تعلن كونيتها وشموليتها ، وتنادي أهل الاديان السماوية جميعا الى كلمة سواء . وحضارة الاسلام حضارة ساهم فيها العربي والفارسي والهندي والتركي والقبطي والبربري والقوطي .

فتاريخ الاسلام تاريخ كوني ايضا ، وحضارته حضارة عالمية . والحضارات جميعها اشكال متعاقبة تحقق سعي الانسان المشترك لتحقيق عيش افضل وحياة ارقى ، وبهذا المعنى تتوارث الحضارات وتتواصل وكل منها يهيمن على حقبة من احقاب التاريخ . الا ان انتماءنا للحضارة الحديثة لا يفرض بالضرورة انفصالنا عن تاريخنا ، لاننا نميز في الحضارة بين امرين : الجانب المادي للحضارة من تنظيم وتجهيز وعلوم وفنون . والجانب الروحي او الفكري من فلسفات وآداب وثقافات .

ولا نعتقد أن أحدا يتصور أن الانسان اليوم يجب ان ينسلخ من كل ثقافة وطنية ، ومن كل عقيدة موروثة لكي يندمج في حضارة القرن العشرين ، بل لا نعتقد ان ارباب هذه الحضارة وبناتها يشترطون على جميع الامم في آسيا وافريقيا ان يتخلوا عن تواريخهم وآدابهم ولغاتهم ليكونوا مقبولين في هذه الحضارة الجديدة . فالحضارة الحديثة حضارة تعايش بين الامم واخاء بين الشعوب ان صدقت النيات وخلصت العزائم . على ان في هذه الحضارة من دواعي الخلل والانحراف من نزعات استعمارية واهواء ضالة وانحلال اخلاقي مما يتصل بجانبها الروحي والاخلاقي ما يدعو للاحتراس منها والحذر من كثير من مظاهرها . ومع ذلك نستطيع ان نميز فيها بين ما هو من نتاج العقل وثمرة الاخلاص الانساني والجهد العلمي ، وما هو من ثمرة الحقد والاثرة والخداع والعنصرية . وهنا تختلف مسيرتنا التاريخية عن المسيرة التاريخية الغربية .

ان الانسانية امة واحدة بحكم اهدافها المشتركة العليا غير ان كل امة من امم العالم تسعى باسلوبها الخاص لتحقيق هذه الاهداف ، وتاريخنا الاسلامي ينطوي على رسالة جاءت لتحرير الانسان وتنظيم حياته وتحقيق التوازن بين مطالبه ، ولا نعتقد ان تاريخنا يستهدف هذه الغايات لا يستحق مواصلة المسيرة في نفس الاتجاه ، بعد ازاحة العوائق وتنظيم الطاقات لكي يبرهن كذي قبل على صفاء الضمير وعمق الاخلاص للانسان الكوني .

فاس ـ محمد الكتاني



القرآن الكريم وخصوبة الجزيرة العربية

للأستاذ علي الخطيب

القرآن الكريم كتاب الله ذو الآيات البينات لهداية البشر فيما ينفعهم دينا ونظاما وسلوكا في حياتهم .. في انفسهم ومع جيرانهم ومن يعرفون . ويضمن للسالكين هداه حياة آمنة مطمئنة في دنياهم ونعيما مقيما في آخرتهم .

والقرآن الكريم له ــ بجانب ذلك ــ لمحات في شتى مناحي العلم ، نظريا ــ كان ذلك العلم ــ ام طبيعيا ــ وهي من آيات اعجازه التي لا يقع عليها الا المتخصصون ، فتفتح لهم طريق اليقين فيما سدت سبله امامهم ، او عسر عليهم ، او فقدوا في تجاربهم بعض حلقاته ، وقد افاد ذلك المؤرخ والزراعي والجيولوجي وغيرهم كل في نطاق تخصصه ومنهج فنه .

ومن لمحات القرآن الكريم هذه ما يرد الى الجزيرة العربية حقائق خفيت على الكثير حتى حسب البعض ان هذه الجزيرة بطبيعتها قاحلة ، ولا يمكن الا أن تكون كذلك !، واذا القرآن الكريم تحدثنا بعض آياته عن خصوبتها حديثا لا يمكن ان نستنتج منه الا ان الانسان نفسه كان مسئولا الى حد كبير عن نعمة تضاءل رصيدها او قحل في بعض المناطق، وآية ذلك ان الانسان نفسه ــ في عصرها الحاضر ، حين عني بامرها ــ بدات تخضر بعض اراضيها وتعطي ثمرها باذن الله .

وليس يشك احد في خصوبة الجزيرة في الاحقاب الاولى ، وبخاصة في العصر الجيولوجي السابق مباشرة عصرنا الجيولوجي الحالي ، ومن نعم الله على هذه الجزيرة انها كانت في العصر الجليدي مروجا خضرا آهلة بالسكان ، وقد حالت جبال آسيا الصغرى الشاهقة بينها وبين الجليد الذي غطى المعمورة آنئذ ، وقد كانت الجزيرة العربية جزءا من الارض التي درج عليها البشر أول ما خلق الله الانسان ، ويرى الاستاذ الدكتور محمد عوض محمد اننا اذا انكرنا هذه الحقيقة لصعب علينا ، ان لم يكن مستحيلا ، تفسير انتشار الانسان وسكناه تلك المعمورة شرقا وغربا (1)

واذا كان هناك خلاف بين « الجيولوجيين والجغرافيين » ــ كل في طائفته ــ عن « فترة العصور التاريخية ــ وهي فترة يمكن تعميمها في نحو 4 000 سنة من قبل الميلاد : اكانت الجزيرة خلالها جافة ام بدات تجف ، فاننا ــ هنا ــ ننظر في منهج القرآن الكريم رجاء ان يظهر لنا شيئا ذا اهمية ينير لنا الطريق فيكشف عن الفترة المسكوت عنها تاريخيا ، وهي الفترة التي تقع قبل العصر التاريخي (2) ، وتمتد في القدم الى حيث يعلم الله وحده ، وهذه الفترة بالذات لا يصدقنا عنها الا الوحي واقواه ما ورد في الكتاب العزيز حيث القصص الحق والقول الفصل .

وحديث القرآن الكريم عن الجزيرة يشير الى خصوبة كبيرة كانت فيها في تلك العصور البائدة ، ويمتد الى الحديث عن خصوبة كانت وفيرة في العصر التاريخي .

---

(1) انظر الدكتور محمد عوض محمد الفصل الاول من كتابه « سكان هذا الكوكب » ، وانظر الدكتور فيليب حتى ــ تاريخ العرب مطول 1 / 15 دار الكشاف بيروت 1958 .

(2) العصر التاريخي لاي امة هو العصر الذي يمكنها فيه ان تسجل اخبارها وتدون آثارها بطريق ما ، وهو عصر لم يتكون للانسانية دفعة واحدة ، ولا يعني العصر التاريخي لامة من الامم انفصالها عن ماض كئيب او بدائي همجي وانما يعني ــ فقط ــ أنها استطاعت ان تترك للبشر اخبارا او آثارا تتحدث عنها وتتعلق بشؤونها « الكاتب » .

جاء فى القرآن الكريم حديث عن انبياء كرام ثلاثة ، هم : هود ، وصالح ، وشعيب ، على نبينا وعليهم افضل الصلاة والسلام ، بعثوا فى اجزاء شتى من جزيرة العرب ، وكانت دعوتهم موجهة لاقوام كل منهم فيها ، فمنهم من آمن بتلك الدعوة فنجا مع نبيه ، ومنهم من كفر فهلك مع الهالكين .

واقدم هؤلاء جميعا نبي الله هود ــ عليه الصلاة والسلام ــ وقد ارسل الى قومه بالاحقاف داخل النصف الجنوبي من الجزيرة . والاحقاف هذه يحدها من الشرق على وجه التقريب عمان ، ويقع « الربع الخالي » فى شمالها ، وتقع « حضرموت » فى جنوبها .

فى هذا المكان بعث الله نبيه هودا الى قبيلة « عاد » التى كانت تستقل هذا الجزء ، وهنا تبدو لمحات القرآن الكريم التى تفيد المؤرخ والجيولوجي وعالم الآثار جميعا ، اذ جاء فى دعوة هود لقومه قوله : « فاتقوا الله واطيعون . واتقوا الذى امدكم بما تعلمون . امدكم بانعام وبنين . وجنات وعيون » (3) .

واذا وقفنا عند هذه الكلمات : «انعام، وجنات، وعيون» لكنا امام الثروة الزراعية كاملة فالمياه وفيرة ومنبثقة عن عيون كثيرة بغزارة لا تستدعي جهدا كبيرا ان لم تطلبه على الاطلاق الا فى مجال تنظيم مسارها على وجه الارض بين الاراضي الكثيرة الخصبة المرعة التى بلغت وفرتها وكثرة نتاجها واتيانها ثمرها المختلف كل حين ان اشبهت الجنات ، وان لفظ جنات لكاف وحده بالايحاء الدقيق عن كيفية الخصوبة التى غمرت المنطقة فى هذا العصر القديم ، فلا غرو ان يتمتع القوم فى ظلال هذه الخصوبة بكل متعة وان ينساقوا مع كل ترف وان يكون اهم المال والبنون ، ويحكي القرآن الكريم قول هود لهم : « وزادكم فى الخلق بسطة » (4) .

والى الجنوب من هذه البقعة اراض لا تزال خصبة الى اليوم ، فالمناطق الزراعية موجودة فى اليمن ، وهي قابلة للاتساع والامتداد اذا توفر الجهد واتصل العمل .

ولنترك « عادا » فى الجنوب لنطرق الشمال فى هذا العهد العتيق لنجد ثمود اكبر قوة خلفت عادا ، وكانت مساكنهم فى الشمال بالحجر بين الحجاز والشام فى وادي القرى قرب تبوك .

بعث الله فى ثمود اخاهم صالحا ــ عليه الصلاة والسلام ــ يدعوهم الى الله غير مشركين به فالبوا عليه وضاقوا به ، وكانوا من النعمة الوفيرة والخصوبة الزراعية المتلاحقة مثلما كانت عليه عاد حتى ان صالحا ــ عليه السلام ــ ليدفعهم دفعا الى الاخذ بالتفكير فيما هم فيه من نعمة حتى لا يفسدها الله عليهم بجحودهم ، فيقول : « اتتركون فيما ها هنا آمنين. فى جنات وعيون. وزروع ونخل طلعها هضيم ، وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين ، فاتقوا الله واطيعون » (5) .

وحديث صالح مشابه تماما لحديث هود ــ عليهما الصلاة والسلام ــ وفى القرآن الكريم بيان آخر لناحية هامة فى شعب ثمود لا تتوفر الا عند توفر الامن والخصوبة كاملين ، واعني بذلك النزعة الفنية فى النحت التى اقامت بها ثمود صروحا آمنة فى مناطقها كانت لها ديارا حصينة .

وعلى الرغم مما انزله الله بتلك البقعة بسبب عصيانها ، فان الله سبحانه ترك فيها اسباب الخصوبة الاولى ، اعنى الماء ، فقد ظل اكثر من بئر بالحجر يدر الماء حتى عصر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، فحين نزلها المسلمون ــ وهم عائدون من تبوك ــ استقوا من احد آبارها ، فأمرهم رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ان يهريقوه ، وان يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة (6) . وهذا الخبر الصحيح يدلنا على ان رحمة الله بالبشر مستمرة ، فان اماكن النقمة نفسها لم تعدم اسباب الحياة .

---

(3) سورة الشعراء الآيات 131 ــ 134 .
(4) سورة الاعراف الآية 69 .
(5) سورة الشعراء الآيات 146 ــ 151 .
(6) صحيح البخاري 4 / 181 مطابع الشعب القاهرة 1378

واذا كانت هذه الخصوبة فى الجزيرة العربية فى عصور بائدة ، فان فى القرآن الكريم اكثر من دلالة على خصوبة استمرت طويلا فى فترة تقع بين القرون العشرة السابقة على الميلاد ، وهي فترة القوة فى حكم سبأ ، وجدير بالذكر هنا ان تلك الفترة . كانت سبأ فيها تقبض بيد من حديد على اهم مدن الجزيرة من الجنوب حتى « العلا » بالشمال ، وازدهر الجنوب بفضل سد مأرب العظيم وعم الخصب مساحات شاسعة ، وانتظم اهتمام الحكومة بمستعمراتها وطرق القوافل ومنازلها التى سارت قرى هامة من معالم الجزيرة بسببها كانت الجزيرة الى قرب عصر الميلاد اهم البلاد التجارية على الاطلاق ، وما كان ذلك ليتوفر الا بوجود المؤن فى مسار تلك القوافل ، وفى القرآن الكريم اشارة لذلك ، قال تعالى : « لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية ، جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور » (7) وتلك الآية تعني توفر الخصوبة الزراعية بالجنوب . وجاء عن اجزاء اخرى بالجزيرة فى امر سبأ قوله تعالى : « وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير ، سيروا فيها ليالي وأياما آمنين »

فى الحق ان القحط لم يكن نتيجة لزيادة الجفاف ولكنه كان نتيجة لسوء استعمال الانسان لما وهبه الله من نعمة . (8)

وكانت مدين عصر شعيب — عليه الصلاة والسلام — وهو يقع بين القرن السابع عشر والسادس عشر من قبل الميلاد غنية بالخصوبة ، ولم تكن مدين قاصرة على الجزء المسمى بذلك فى جنوب سيناء بل كانت تمتد شرقا الى ما بعد خليج العقبة ، وكانوا يعبدون الشجر ، وكان نبيهم شعيب يقول لهم : « اني اراكم بخير واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط » (9)

ان آيات الكتاب العزيز تدل على ان الجزيرة ما كانت جافة تماما كما يتصور البعض ، بل انها كانت فى العصور غير التاريخية — كعصر عاد وثمود — وفى العصور التاريخية — كعصر سبأ الذى يقترب من عهد الميلاد وعصر شعيب — تتوفر فيها خصوبة كان الانسان نفسه اداة الطغيان ضدها ، وذلك يعني أن فى الامكان للانسان ان يتوفر على اجادة الخصوبة بكثير من مناطقها .

ويشير الاستاذ محمود مبروك نافع الى خصوبة اخرى ظلت قائمة حتى القرن السادس عشر الميلادي فى منطقة بوسط الجزيرة حيث كانت جبال الطائف تمون مكة بالاخشاب الصالحة للبناء والوقود.

وكانت الاشجار والعوسج والسلم يغطي المنطقة الواقعة بين مكة وعرفة ، وكانت بلاد نجد واليمامة تسدان حاجة العرب من القمح ، وكانتا فى القرنين السادس والسابع الميلادي لا تقلان خصبا عن اراضي أوربا المنزرعة اليوم ان لم تكونا قد بزتاها خصبا فى كثير من البقاع (10) .

وبعد :

فان هذه المعالم لتدل على أن بالامكان ان تستعيد الجزيرة خصوبة تعطيها كفايتها وفى دوام الجهود الطيبة المبذولة حاليا الى جانب البحوث البترولية والجيولوجية ما يبشر بنضارة طيبة وخصوبة ترسى على قواعد ثابتة متينة ، فيجتمع للارض الطيبة خصوبة التربة الى جانب خصوبة الروح .

القاهرة — علي الخطيب

---

(7) سورة سبأ الآية 15 ، 18 .

(8) انظر الدكتور محمد ابو العلا — جغرافية شبه جزيرة العرب ص 77 — 79 .

(9) سورة هود الآية 84 .

(10) انظر الاستاذ محمد مبروك نافع — تاريخ العرب عصر ما قبل الاسلام ص 26 مطبعة السعادة بمصر ط 2 — 1371 هـ .
والدكتور جواد علي — تاريخ العرب قبل الاسلام 1 / 105 مطبعة التفيض ببغداد ط 1 — 1370 هـ

في مواجهة أخطر التحديات في هذا العصر

تحرير العقيدة

للأستاذ أنور الجندي

من اخطر التحديات التى تواجه المسلمين اليوم: سلامة العقيدة وتحررها ، وبراءتها من الزيف الذى حبته الفلسفات والمذاهب والدعوات المختلفة ، خلال عهود طويلة بعد المسلمون فيها عن مصادرهم الاصيلة ، وظنوا انهم حين يقولون (لا اله الا الله) فان ذلك يكفيهم ايمانا بالتوحيد لله .

ومن الحق ان الاسلام قد جعل تحرير العقيدة من كل زيف او شبهة تحريرا كاملا : هو الاساس الاول الذى يجب ان يظل حيا متجددا لا تجرفه السيول ولا يطغى عليه الغبار ولا يغشيه أي سحاب.

« انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ، فاعبد الله مخلصا له الدين . الا لله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون. ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار »

فالامر ليس أمر الالحاد في الله وانكاره أو التعدد ، وهي اخطر عوامل فساد العقيدة ولكنها الى ذلك كله امر «الشرك» مع الله احدا ما ، ايما كان هذا منه كائنة فى الدنيا ، فلقد كان اهل مكة يؤمنون بان الله هو خالق السموات والارض ، ولكن ذلك لم يكن كافيا ، بل كان لابد من الاستقناء الكامل عمن سوى الله والاخلاص لله وحده ، لا شريك له وليس من دونه ولي ولا نصير .

واليوم يعود المسلمون الى مواجهة مثل هذا الخطر ، فهم فى اشد الحاجة الى تحرير العقيدة من كل زيف سواء أكان هذا من مفاهيم تكريم الاولياء أو اعلاء شان الابطال أو تقديس اي كلمة لا تستمد أصولها من القرآن الكريم .

فلا ريب ان هناك اخطار كثيرة وزيوف كثيرة دخلت الى تقاليدنا ، وأخذت صفة العقائد واختلطت مع الحقائق، فلم يعد التفريق بين الصحيح والفاسد منها يسيرا . ولا شك ان هذه الاضافات التى استمدت أصولها من الوثنيات القديمة واحياء العادات الباطلة ، قد استشرت فى المجتمع الاسلامي من خلال عادات الافراح والمآتم ، والزواج وميلاد الاطفال وعشرات من التقاليد ، وان هذه الوثنيات القديمة قد غلبت على طوابع العقائد حتى عات عليها وبدا منها طابع الشرك والخرافة والوهم وانتقاص الفهم لمفهوم التوحيد الخالص الذى يضع الامور كلها فى يد الله سبحانه وتعالى ويتقبلها تقبلا كاملا، ولا يضيف اليها ولا ينتقص شيئا ما .

—)•(—

ومن تلك الاخطار التى تواجه العقيدة السليمة ذلك الانزعاج الشديدة الذى يواجهه المسلمون ازاء الموت : وتلك العبارات الخطيرة التى يكتبها بعض الادباء او الشعراء عن هول الفجيعة او عتاب الاقدار،

او الاشارة الى الخسارة التى لحقت او تلحق نتيجة موت أحد ما ، ولا ريب ان هذا الفهم دخيل على المسلمين وزائف ، ازاء اصحاب الفهم العميق والايمان الخالص . ذلك ان الامر فى اساسه ابسط من ذلك كله ، فكل انسان فى هذا الكون وديعة ، ولكل انسان اجل ، وكتاب ، ونهاية ، غائبة عن الناس واكنها محددة ، لا سبيل الى مدها أو تقصيرها ، وليس المرض أو الاصابات ايا كان مصدرها ذات صلة مباشرة بالموت ، ولكل انسان مشروع حياة ، ومهمة ودور ، فاذا انتهى هذا الدور، فقد أذن له بأن يترك الساحة ، وان يغيب عن مسرح الاحداث ، وتلك طبيعة الحياة ، والموت حادث يقع بين ايدينا كل يوم بل وكل ساعة ، فما كان له ان يزعجنا لو كنا نفهم الامور فهما صحيحا ، انه حقيقة مؤكدة ، لا بد ان تبلغ فى نفس الانسان مبلغ اليقين ، فيتقبلها فى رضى ، وطمأنينة ، على انها الحق الذى ليس بعده حق ، وقد تدمع العين ، وتحزن النفس، ولكن ذلك لا يقلل من شأن اليقين بالحقيقة الاساسية .

ولقد كان تهويل الموت والخوف منه والانزعاج له من الاضافات والدخائل التى دخلت على المسلمين وافسدت حياتهم ، واعلنت من شأن الحياة اعلاء شديدا وقعدت بهم عن الجهاد ، وعن بذل النفوس رخيصة فى سبيل الحق، والغلو فى الحرص والخوف والجبن والذلة حتى لا يواجهون الموت فى ميادين البطولة والجهاد . وقبلوا لذلك حياة ذليلة ، ولو علموا انهم سيموتون فى نفس اللحظة التى ينتهي فيها الاجل ، لما جزعوا مثل هذا الجزع ولما واجهوا الموت بمثل هذا الخوف ، ولما هول شعراؤهم وكتابهم ووصفوا ضخامة الفجيعة ، او الاثر الخطير المترتب على فقدان الفقيد .

ذلك ان الناس تمضي الى الموت يوما بعد يوم ، صنوفا من علماء وابطال واغنياء وعظماء ، بله عامة الناس ، دون ان ينقص ذلك شيئا من امور الحياة، ودون ان يضطرب الزمن أمور الكون ، فالحياة اقوى ، والموت سنة من سننها التى لا تتخلف ، ولقد كره الموت اقوام وأثاروا حوله قضية كبرى ، بل لقد جرت المحاولات الفلسفية للبحث عن طريق للتحرر من الموت وذلك من الامور التى يستحيل على العلم أو الفلسفة أن يقول فيها كلمة ما ، ولذلك فان المسلمين اذا فهموا الاسلام فهما حقيقيا فانهم يستطيعون تذليل هذه الحقيقة والانتفاع بها فى بناء انفسهم وبناء الحياة ، بالجد والعمل النافع والعطاء والانفاق فى سبيل الله ، دون البخل والشح والانطواء ، وانبعثوا فى مجالات الحياة يعملون لانفسهم ولامتهم .

—)◆(—

ومن الاخطار التى القت ظلا على العقيدة الصحيحة : شبهة تروجها اليهودية التلمودية منذ الزمن القديم الى اليوم ، وهي الدهرية : ان هي الا الحياة الدنيا وليس بعدها شيء آخر ،و تلك شبهة خطيرة عالجها القرآن الكريم فى عشرات المواضيع وعرض لها عرضا واضحا صريحا حتى يرد المسلمين عن خطرها ، وهي من الامور المستحيلة عقلا ، اذ كيف يوجد الناس على هذه الارض يعملون ثم لا تكون هناك مسئولية لاعمالهم ، او التهام اخلاقي لسلوكهم، يكون موضع المساءلة فى حياة اخرى هي حياة البعث والجزاء .

ولقد تلقى احدهم فيقول لك ساخرا : « هناك قابلني » وهي كلمة خطرة ، اخذت طابع التهكم ، والفكاهة ، بينما هي تقصد الى أمر خطير ، وتدافع عن اكذوبة كبرى ، وضلا بعيد .

« افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون » . فالحياة امانة من الله للانسان ومسئولية وجزاء . وتفقد الحياة مقومها الصحيح اذا انصرف الذهن الى انها هي النهاية ، وليس هناك من شيء يمكن ان يبرر هذا الفهم القاصر الساذج ازاء هذا الكون الكبير ، ووجود انسان فيه وتمرسه بالعطاء والحرمان ، والحق والباطل ، والخير والشر ، وموقفه من ذلك كله وتصرفه بالاخذ والعطاء .

—)◆(—

من الاخطار التى تواجه «عقيدة التوحيد» هي: تاليه العلم او العقل او تاليه شركة التامين ، فالعلم مهما بلغ من أمر فتوجه فانه لن يستطيع ان يستكنه الاشياء وانما هو تفسير لظواهرها ، وما زال علم الله هو العلم الاكبر ، اما العقل فهو « اداة » المعرفة فى نطاقه الذى يتحرك فيه ولذلك فانه لا يستطيع مهما بلغ من القدرة ان يصل الى مرحلة التقديس او الاعلاء .

وهذه صيحة سادت فى فترة ما تحت وهج الكشوف العلمية ولكنها لم تلبث ان فترت بعد ان بلغت الكشوف اقصى مداها فوصلت الى تفتيت الذرة ، والوقوف عند المجهول الذى ما زال من وراء الغيب لم يستكنه بعد ، عند ذلك احنى العلم راسه الى قدرة عليا كبرى ، يعجز عن استكناهها ، اما الفلسفة وخاصة الفلسفة المادية فهي التى مضت تشق طريقا ضد التيار وضد الفطرة وضد طبائع الاشياء لتثبت اباطيل الالحاد والاباحة وتنكر عالم الغيب ، وتعارض الميتافيزيقا . والفلسفة ليست علما ولكنها فروض يفترضها بعض الباحثين ثم تجيء فروض أخرى مضادة وهكذا . لا شيء يثبت ابدا للبحث ، لانه يفترض فروضه من خلال نظرة ناقصة اصلا : هي النظرة الى الانسان على انه جسد ومادة فحسب . وعلى ان الكون كله مادة بينما تجيء الحقيقة التى تكمل العقل والعقل ، والمادة فى ان الحياة والانسان والكون جانبان متكاملان : مادة وروح ، وعقل وقلب ، ودنيا وآخرة ، والانسان نفسه ليس مادة خالصة ولذلك فان تطبيق قوانين المادة عليه تكون ناقصة النتائج ، والانسان نفسه ليس حيوانا ولكنه يمتاز عنها ويختلف بأن له جانبا آخر ولذلك فان قوانين الحيوان وتجارب الحشرات والبهائم لا تصلح للتطبيق عليه .

فاذا استشرى القول بأن الانسان سيد الكون او انه حيوان ، واذا ساد القول باعلاء العقل او العلم كان ذلك من اكبر اخطار العقيدة ، وانتقاص لمفهوم التوحيد الخالص الذى يقوم على اساس قدرة الله القادرة القائم بالحق ، وهذا الكون كله من جماد وحيوان ونبات وانسان من صنعه ، وكذلك العقل والروح والمادة جميعا .

—) ◆ (—

ومن اخطار العقيدة وتحدياتها تلك المحاولات الفلسفية التى تطرح فصل مفهوم الاخلاق عن الدين ، او الدين عن المجتمع ، او العبادة عن المعاملة فنحن نرى عددا من الصور التى لا تحاول فهم الاسلام فهما متكاملا وانما تأخذ بقطاع منه وتتجاهل الباقي .

(اولا) القول بأن الاسلام دين اي عبادة وعقيدة وصلة بين الانسان والله .

(ثانيا) القول بأن الاخلاق (من صدقة وبر واحسان) تكفي دون الصلاة واداء الفرائض .

(ثالثا) الوصول الى ارقى درجة الفهم والثقافة فى امور الدين دون تطبيقها عبادة .

(رابعا) القيام بالعبادة الطويلة المرهقة دون الارتباط بالخلق السمح او الصدقة والزكاة .

هذه كلها نماذج فى المسلمين اليوم ، يقوم مفهومهما على الفصل بين القيم الاساسية المتكاملة للمسلم فى الاسلام ، ولابد لفهم الاسلام من ان يكون جامعا بين العقيدة والشريعة والاخلاق ، مطابقا بين الدين ومنهج الحياة .

ولابد ان تكون الاخلاق مستمدة من العقيدة اساسا ومرتبطة بالعبادة والشريعة ولابد من الربط بين الاسلام (فهما) والايمان (تطبيقا) .

ولابد من ربط العبادة ، بالخلق الحسن ، وبالصدقة والزكاة جميعا .

ومن هنا نجد ان نماذج كثيرة قد انحرف مفهوم العقيدة لديها او نقص عن أصوله الشاملة الكاملة ، وقد جاء ذلك استمدادا من مفاهيم بعض الاديان والعقائد التى تقوم على الفهم الفلسفي للدين وللايمان بالله ولا تربطه بالعبادات ، او التى تقوم على أساس العمل الخلقي (من احسان وصدقة ومعاونة للناس) فى مجال الحياة دون الارتباط بالعبادات والشريعة ، او تقوم على أساس الصوم فى رمضان أو الحج الى بيت الله دون مواصلة الصلاة. بينما الصلاة هي المدخل الحقيقي للايمان .. ولقد اكدت أصول الاسلام ذلك الترابط والتكامل بين الاسلام والايمان ونعى القرآن على الذين اسلموا ولم يؤمنوا ، ومن الطبيعي ان يؤخذ الاسلام كاملا ، وان يؤمن به كمنهج حياة لا ينقص ولا يزيد ، ولا يؤخذ منه اجزاء ، بينما تؤخذ اجزاء من فلسفات او دعوات اخرى ، او ينقص منه اجزاء ، ظنا ان ذلك المأخوذ وحده يكفي ..

القاهرة — انور الجندي

فصول في النقد

لا.. ليس مجدداً... ولا إماماً!

للأستاذ محمد مصطفى رمضان

في اواخر محرم الماضي قدر لـي ان اتسلـم العدد الاول من دعوة الحق في سنتها الخامسة عشرة بعد صدوره بأسبوعين تقريبا .

وبينما انا اتصفح فهرس المقالات لمحت اسم امين الخولي مقترنا بكتاب عن التجديد في النحو والبلاغة .. فهرعت اقرأ ما كتب ظنا مني ان المقال يعرض لجوانب قد تكون خفية من تخريب ذلك الرجل في لغة القرآن .. وهو التخريب الذي ثابر عليه ـ والحق يقال ـ سنوات وسنوات .

ولكن ظني خاب .. فقد اكتشفت ان الكاتب الذي دبج ذلك العرض انما هو معجب أيما اعجاب بتخريب الرجل ، مشيد بما صنع ، مثني على تجديده المزعوم . وقد قرات المقال مرة واثنتين وثلاثا علني اجد فيه ما يضع امرا من الامور في نصابه ، **او على الاقل اجد فيه اشارات الى بلاغة امين الامثاء التي اضحكت كثيرا وابكت قليلا، والتي بدا لصاحبها ان يسميها تجديدا ولم تكن الا تخريفا ، ففشلت .**

وقد يعجب بعض الناس لهذه الشدة التي اتناول بها الخولي وبلاغته المزعومة ، ولكني واثق تماما ان عجبهم ذاك سيزول حين يقرأون النماذج الرائعة من تلك البلاغة التي سأعرضها بعد اسطر .. بل انني لاكثر وثوقا من انهم سيتهمونني بالخور والليـن في معالجة امر الشيخ امين !

وقبل ان أبدأ الحديث عن بلاغة الخولي أود أن الخص باختصار مقال السيد أبي طالب زيان سالف الذكر الذى لم يكن الا وصفا سطحيا لكتاب « مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والادب » دون الخوض في ابوابه وعرض محتوياتها عرضا فكريـا لا وصفيـا .

قال الكاتب عن امين الخولي انه باحث علمي كبير .. ووصف كتابه بأنه « سفر جليل » .. ويبدو ان هناك خطأ مطبعيا احال الصاد الى سين في كلمة سفـر !

وقال عن الحملات الشديدة التي وجهت لايقاف الخولي عند حده انها كانت « معارك فكرية خالدة » ، وان الخولي كان « منهجيا في كل ما كتب ، بل توشك ان تكون حياته العلمية كلها سلسلة منهجية مترابطة الحلقات » ؛ بل وقال انه كان يملك « ذهنـا اصوليا وذوقا ادبيا ... » ، وان الشيخ كان لـه تلاميـذ !

والحق انني ترددت كثيرا في الكتابة عن هذا المقال المنشور في دعوة الحق .. ذلك انني لا املك من المراجع عن هذا الموضوع هنا في لندن الا النزر اليسير .. واليسير جدا .

فهو في واقع الامر مرجع واحد لا غير .. ولكني اقتنعت بعد ان قرات مرجعي الوحيد عدة مرات انه كان في نقد المقال .. او نقضه وهو الاصح . بالاضافة الى ان قراء دعوة الحق ، وفيهم كثير من الشباب الذين لا يعرفون شيئا عن بلاغة امين الخولي ، يتحتم ان يطلعوا على نماذج من تجديده حتى يعرفوا من هو الخـولـي .

ومعذرة مقدما اذا اطلت الاستشهاد بفقرات المرجع وهو كتاب « الزحف على لغة القرآن » (1) للصديق الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار ؛ فقد عاصر مؤلف الكتاب اغلب شطحات الخولي ، وتابع عن قرب ضجيجها الصاخب ، وكان على اتصال وثيق بالعديد ممن حاولوا ـ وفشلوا ـ رد الخولي الى الطريق الذي تنكبه ومنهم المرحوم العقاد والشهيد سيد قطب .

---

(1) الطبعة الاولى : دار العلم للملايين : بيروت ـ ديسمبر 1965 .

تحدث أستاذنا العطار فى مقدمة كتابه عن الحرب التي يشنها أعداء الاسلام « لمسخه وابعاد أصله عنه ، واقصائه هو نفسه عن الحكم فى كل اقطار الاسلام .. » ؛ وعرض الكاتب من بعد لصور من هذه الحرب فقال ان القوى المعادية « تناولت القرآن الكريم بالنقد والتجريح والتخطئة .. » .
ومضى يقول : « وبلاغة القرآن العليا .. لماذا يتركها اعداؤه ؟ لماذا لا يهبطون بها الى العامية والسوقية المرذولة المقتة ؟

والبركة فى الشيخ امين الخولي ، (يستمر كلام العطار ابتداء من منتصف السطر العاشر من الصفحة العاشرة حتى نهاية السطر السادس من الصفحة الثامنة عشرة) .

— × —

وهكذا كفانا الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار مؤونة البحث عن المراجع التي ضمت آثارا من شطحات الخولي ، وهي ليست بالمهمة اليسيرة فى لندن ، فجزاه الله عن لغة القرآن وعنا خير الجزاء .

وبعد ،

ذلك هو امين الخولي الباحث العلمي الكبير ، صاحب المباحث الخطيرة والآثار النفيسة ، الذي اوشكت حياته العلمية ان تكون كلها سلسلة منهجية مترابطة الحلقات .. او كما قال كاتب المقال موضوع هذا النقد !

نعم .. ذلك هو الامام .. على حد وصف الذين ساروا على منواله فى التخريب .. ولعله كان بذلك اماما فى العبث والتخريب .

وتلك هي البلاغة التي حدثنا عنها السيد ابو طالب على مدى صفحتين ونصف من دعوة الحق ، فأفاض فى تعداد لآلئها ، والاشادة بروائعها ، والدعوة الى نشرها والتمثل بها !

« ولله الامر من قبل ومن بعد » .
« والله غالب على أمره ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

محمد مصطفى رمضان
القسم العربي
هيئة الاذاعة البريطانية
لندن

وهذه نماذج من تجديد الاستاذ امين الخولي وبلاغته كما يعرضها فى الفقرات التالية الاستاذ احمد عبد الغفور عطار فى كتابه القيم : « الزحف على لغة القرآن » :

... وبلاغة القرآن العليا ، لماذا يتركها اعداؤه ؟ لماذا لا يهبطون بها الى العامية والسوقية المرذولة المقتة ؟ .

والبركة فى الشيخ امين الخولي ، فقد ثار على علوم البلاغة وزعم انه سيجدد فيها ، وكان هذا منذ اربعين سنة ، كل ما صنعه الخولي تجنيه عليها دون ان يأتي بجديد الا بعد زمن طويل ، وكان تجديده اضحوكة الاضاحيك .

اطلق الشيخ الخولي على البلاغة العربية فتجنى عليها علما ، وانكر من قعدوا قواعد علومها وهاجمهم بعنف ، وانتهى به الهجوم والهدم الى العبث المشين بكتاب الله وبلاغته العالية .

وما نريد أن نرد على الشيخ امين الخولي مقلد المستشرقين الحاقدين فاقدي الذوق ، على سقم فهمه ، وقلة علمه وكثرة لؤمه ، وأفن رأيه ، وعظم غروره ، **بل يكفي أن نذكر امثلة مما جاء بمذكرات له تحت عنوان « مذكرات فى علم المعاني » املاها الخولي على طلبته فى كلية الآداب بالجامعة المصرية ، تدل على هذه الحرب التي يعلنها على القرآن الكريم بسخفه وتجديده .**

تناول الخولي هذه الآية الكريمة : (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات أو قتل انقلبتم على اعقابكم) واراد ان يتحدث عما فهمه من بيانها فقال ما نصه :

« يريد الله ان يقول : هو محمد ده يطلع ايه ؟ محمد هذا والرسل من قبله مجرد «سعاة بوسته» (1) هو مرسال زي المراسيل اللي قبله . يجـي ويروح ويموت وينتقل . القصد هنا واضح فى ان المقصـود به التوهين من أثر الرسول فى الدين ، وكذلك جاءت تسميته برسول الله ، ولو قال : نذير . هاد . سراج . لقطع الطريق على هذا الغرض ... وكان أبو بكر يريد **أن يقول : يا سي عمر ، الدنيا بخير . والامانة لا تزال فى اعناق الموجودين ، ومحمد يموت زيه زي غيره ».**

اصحيح ان الله يريد التوهين من اثر الرسول فى الدين ؟ هذا هو فساد الشيخ الخولي وتجديده ، فالله لا يريد التوهين بل يريد نفي الخلود فى الحياة عـن رسوله العظيم ، وأما « بوسـتـه » و « سي عمـر » فنتركهما للحارات والفرز (2) .

وفى شرح الخولي البياني لقول الله تعالـى : (وما انت بمسمع من فى القبور ان انت الا نذير) يقول:

« انت مش حتسمع اللي فى القبور . والحقيقة انه مش قدام اموات ، وانما قدام ناس الواح وبهايم . والقرآن بيقول له : انك حريص قوي على هدايتهم . الاحسن أنك ما تحرصش كتير على هذه الهدايـة . قال له ذلك لانه شاف انه لفرط عنايته بان يهتـدي هؤلاء القوم أن يخرج عن حده فينسى أن مهمته هي مجرد التبليغ . **هو عمال يحرق فى دمه مع الناس دول، ووفاؤه لمهمته هو الذي يحملـه على الأسـراف فى الالحاح ويهز فى هذه الالواح ، ويحاول أن يبعـث فيهم نفحة من الهداية بأي ثمن ، فقال له الله : يا أخي، انت حارق نفسك ليه ؟ انت مانتش حاجة ابـدا الا نذير . تنذر من ينذر ، وتخوف من يخاف ، وتعلم من يتعلم ، وتنبه من يتنبه . ودول أموات . فالاحسن لك تريح نفسك » .**

وعرض الخولي لقول الله تعالـى : (واذ قال الله يا عيسى ابن مريـم أانت قلت للناس اتخذونـي وامي الهين من دون الله) فى دروس البلاغة فقال :

« الحوار فى هذه الآيات بين عيسى وبين الله حوار خيالي محض صور وقوعه بعد ان انتقل عيسى من هذا العالم الذي نحن فيه بدليل « فلما توفيتني » وكان الله يقول لهم : « أنتم بتقولوا عيسى ده الـــه ، **وانه هو الذي أمركم انكم تعبـدوه ... تجيبـه ؟ نسحبه ونسأله ؟ ثم صور بعد ذلك انه لو قام وبعث الى الحياة لدار بينه وبين الله هذا الحوار : النـاس الباردين دول ... هل انت قلت لهم يا عيسى انـك اله ؟ قول لهم . قل لهم يا أخي » .**

ويقول الشيخ أمين الخولي لا نفعنا الله بعلـوم بلاغته الجديدة آمين :

« هذه الآية وما قبلها وما بعدها على شكل حوار خيالي بين عيسى وبين الله سبحانه وتعالى . المقصود بهذا الكلام من يعتقدون بالوهية المسيح، وكأن المسألة هكذا : انتم تعتقدون أن المسيح اله وتعبدونه فمـن امركم بذلك ؟ هذا هو عيسى . أانت قلت للناس انك اله ؟ ابدا . انا لم اقل لهم ذلك . طيب قولهم يا سيدي اياك ينكسفوا (3) » .

هذا نموذج مما يقول الشيخ أمين الخولـي فى تدريسه « البلاغة » وما نقلناه يجب أن يقرأ اكثـره بالعامية المصرية وبلهجة الشيخ الخولي نفسه حتى نتذوق البيان الرفيع .

عفا الله عن الشيخ، فقد اراد ان يجدد فجدف ، واراد ان يتفلسف فخرف ، والا فما قول الله لعيسى ومحمد : يا اخي . وقوله لعيسى: يا سيدي (بالعامية) .

اهذه بلاغة القرآن ؟ .

هكذا أراد خصوم الاسلام بالقرآن ، فشوهـوا جماله العظيم بمثل تخريف الشيخ الخولي وسموه له تجديدا وثورة فى علوم البلاغة العربية ، وانتهت بهم قوتهم وسيطرتهم الى ان انتدبوه ليدرس الناشئـة

---

(1) أي موزعـو بريـد !

(2) الفرز جمع غرزة وهي حلقة تعقد لتدخيـن الحشيش والافيـون .

(3) هذه الشواهد منقولة من مجلة « الرسالة » السنة الرابعة عشرة من العـدد 987 و 691 و 701 الصادرة فى يوم الاثنين 6 شوال 1315 هـ (2 سبتمبر 1946 م) و 5 ذي القعـدة 1365 هـ (30 سبتمبر 1946 م) و 15 محرم 1366 هـ (9 ديسمبر 1946 م) من مقالات الاستاذ علي العمادي التي كتبها فى نقد دروس بلاغة الخولي بالجامعة واظهر فسادها وما فيها من خطا وخلل وخطل . والشيخ جاهل كل الجهل عندما يدعي ان الحوار خيالي بحجة انه بعد الوفاة ، وآية جهله المطبق : جهلـه بحقيقة الزمن بالنسبة لله عز وجل فزعم ان الحوار خيالـي .

الاسلامية فى الجامعة بلاغة قرآنهم الكريم بهذا الاسلوب الذي يهبط به الى كلام السوقة ، ويفسدوا البلاغة العربية والذوق بمثل قول امين الخولي فى الوصل والفصل من ابواب البلاغة العربية ممهدا لذلك بقوله العامي :

« تقول للخادم مثلا : خد تعريفه (1) ، وهات بنكله (2) شقة عيش ، وبمليم كرات ، وبمليم سلطة قوطة ، وبمليم طعمية . بل أكثر من هذا تعد لهم على اصابعك ليفهم هذه الاشياء ، وان كنت حدء (يريد « حدق » يعني حاذقا ذكيا) تقول : هات العيش الاول ، لانه حيقابل بتاع العيش أول ما يخرج ، وبعدين تحود على شمالك تلاقي بتاع الطعمية . هات منه بمليم سلطة ، وبمليم طعمية . وهكذا تسرد الحوادث ، وتشير اليها فى كلامك ، فمن الجائز أن تراعي القرابات والمناسبات اذا كان حدء (حدق) فاذا كان بتاع الكرات قريب (يريد بجانب) بتاع الطعمية ، يقوم بذكره بعده على طول علشان الولد ما ينساش . وهكذا»

هذه هي البلاغة العربية التي يريدها أعداء القرآن ليفسدوا ذوق الناشئة العربية المسلمة فيسخرون من القرآن ويفسدون بلاغته المعجزة وبيانه الذي لا بيان يشبهه فى رفعته وجماله بما يدفعهم اليه الشيخ امين الخولي .

انهم يريدون أن يستبدلوا ببلاغة القرآن بلاغة « سلطة الاوطة (القوطة) والطعمية والكرات » وبلاغة « علشان الولد ما ينساش » ليتسنى لهم القضاء على معجزة القرآن ، وافساد الذوق السليم كل الافساد بتدريس هذا الهراء فى الجامعة على انه البلاغة العربية الجديدة .

واذا جاء مثلي لرد زحف السخفات انبرى له من اعدهم اعداء الاسلام وخصوم القرآن والعربية قائلين : يا جدع انت ! ايه عرفك بالتجديد . انت رجعي . احنا مجددين . د هي البلاغة العصرية . والفن . سيبك من الكلام الفارغ بتاعك . من السكاكي والجرجاني والقزويني ؟ دول انتهوا . خليك فى رجعيتك . احنا مش فاضين لك . والشيخ أمين الخولي كبير الامناء . واللي فاهم البلاغة تمام . سيبونا من الرجعيين دول ، ماحناش فاضين لهم . هات يا شيخ امين يا خولي الخ .

وماذا عند الشيخ أمين الخولي ؟ ليس عنده الا ما ذكرنا نماذجه ، وهو يسمي كل كلام لا يوافق منهجه وتجديده كلاما فارغا ، ففي تعليق له على كلام للخطيب القزويني يقول : « هذا كلام فارغ » ! .

(1) التعريفة هي خمسة مليمات مصرية .

(2) النكلة مليمان .

والشيخ الخولي وراء كثير من الحملات على القرآن الكريم ، وقد مرت الاشارة الى رسالة خلف الله (القصص الفني فى القرآن) واعلانه انه متضامن معه فيها وشريكه فى التبعة ، كما مرت الاشارة الى ثورته على علوم البلاغة ومسخه بلاغة القرآن وكفره بتنزيه الله ودعوته الى العامية السوقية المبتذلة .

وفى شهر شعبان 1385 هـ (ديسمبر 1965 م) جدد حملة على القرآن الكريم ، اذ وقف بجانب الطالبة « تفريدة عنبر » فى رسالتها « أصوات المد فى تجويد القرآن » التي قدمتها للحصول على الماجستير من كلية آداب جامعة الاسكندرية .

وكان الخولي احد الاعضاء الثلاثة الذين يكونون لجنة المناقشة — وزميلاه فيها الدكتور ابراهيم انيس والدكتور حسن عون — ووضع الخولي خطة يتفادى بها ما وقع لتلميذه خلف الله الذي ردت لجنة المناقشة رسالته اليه ، فتظاهر بانه على غير راي الطالبة فى بعض ما ذهبت اليه ، لانه مدرك ان زميليه لن يوافقا على الرسالة .

واستنكر ابراهيم انيس بهتان الطالبة وطعنها القرآن الكريم وافتراءها عليه ، وايده الخولي ليقطع عليه وعلى زميله الآخر طريقهما ، وقد نجح .

نجحت خطة الخولي ، وخدع زميله ، ومنحت الطالبة الماجستير بتقدير جيد جدا .

ولكن من حضروا المناقشة ثاروا واستنكروا ورفعوا الامر الى عميد كلية الآداب الدكتور حسن بغدادي وطلبوا اليه وقف منح الطالبة الماجستير ، واستفظعوا اقرار اللجنة طعنا لئيما فى كتاب الله ، وتأييد أعضائها الطالبة فى آرائها .

واستجاب العميد ، وأبى اعتماد نتيجة مناقشة اللجنة ووقف منح الطالبة الدرجة الجامعية .

واطلع الدكتور محمد حسين استاذ كرسي الادب بكلية آداب جامعة الاسكندرية فكتب رسالة شديدة قدمها للعميد ذكر فيها ان قرار اللجنة منح الطالبة الماجستير بتقدير جيد جدا عمل خطير ، واستنكر عمل اللجنة التي أيدت ما ذكرته الطالبة من تجن على القرآن تجنيا كله الباطل ، ولا يبيحه البحث العلمي الجامعي .

وذكر ان عمل الطالبة فى رسالتها لا سند له من الحق ، وهو مناقض للمنهج العلمي السليم ، وطلب الغاء منح الدرجة الجامعية لانه كان لعمل غير علمي ، وبحث غير منهجي .

واضطرت لجنة المناقشة أن تعيد النظـــر ، وزعمت انها قامت بتهذيب الرسالة وتعديلها ، ثم فوضت الى الخولي مراجعة الرسالة بعد التعديل والتهذيب وابداء رايـــه .

وتناولها الخولي وكتب في اول صفحة منها بخط يده وامضائه ان الرسالة صالحة للنشر بعد استجابته للتعديـــل .

وظن الشيخ الخولي ان خطته قد نجحت ، وان الرسالة ستظفر بما قدر لها من درجة ، وان معـــولا جديدا لهدم القرآن يكون في متناول اعدائه .

الا ان هناك من يعرفون الاعيب الشيخ الخولـــي ولا تجوز عليهم اباطيله فقراوا الرسالة فاذا هي ــ كما كانت ــ مليئة بتجريح القرآن وطعنه، لانها بنيت عليهما وما كان من تعديل اللجنة ان هو الا الخداع والتضليل، لان الخولي خدع زميله وبخاصة الدكتور ابراهيم أنيس.

وهكذا بقيت الرسالة تنتظر الكلمة الفاصلة .

واحيا الشيخ الخولي من جديد ذكرى ما فشـــل ايام كتاب الطالب محمد احمد خلف الله الذي اشرف على رسالته للدكتوراه منذ بضع عشرة سنة .

والخولي طامع في مجد أدبي كمجد العقاد وطـه وهيكل والمازني ، ولكنه محروم من مواهبهم ، فاتخذ هذا السبيل ليشتهر ، يضاف الى ذلك انه زعم ــ دون غيره ــ انه صاحب مدرسة ادبية ، وسماها « مدرسة الامناء » والامناء جمع أمين ، وأمين اسم الشيخ .

وما أسخف من يزعم لنفسه ما زعـــم الخولـــي ، وحسبك ان تعلم أن من فن الشيخ اطـــلاق اسمـــه المجموع على مدرسة لا وجود لها الا في وهمه ووهم من تسلط عليهم من المرضى .

انه راي مجد العقاد باذخا مع انه لم يخرج الا من مدرسة ابتدائية وراي طه واحمد أمين وغيرهما مـــن اساتذة الجامعة ذوي شهرة مدوية حرمها هو ، وهو يرى نفسه أعظم منهم جميعا ، وهداه مرضه النفسي الى اتخاذ طريقة تجتذب اهتمام الناس .

« بـــ » تكفي ، وما أخفها .

ان الفرقعة تجتذب الانظار سواء رضي أصحابها أم كرهوا ، وما أسهل الفرقعة ! .

نعم ، فيها الخير والبركة بالنسبة للشيخ أميـــن الخولي ، وهكذا اتخذ « الفرقعة » لينبه الناس الـــى شخصه ، ولكن الفرقعات التي فجرها تفجيرا خـــلال عمره الطويل من غير عرض لم تحقق له أمله ، بل كانت عليه وبالا ونكالا .

واخيرا ، كانت « فرقعة » رسالة الطالبة تفريدة عنبر التي اخفق فيها مثلما اخفق من قبل .

وكل هذه الحوادث دليل على ان الشيخ الخولي يحقد على القرآن لغة وبلاغة واسلوبا وادابا وعلوما ، ويطبل ويزمر لنكرات يوهمهم أنهم مجددون ما داموا « امناء » وكل من ليس «اميتا » فهو لا شيء ولو كان العقاد واحمد امين وطه حسين .

وقد كشفه الاستاذ سيد قطب منذ زمن ، فقال عنـــه ما نصـــه :

« ان أمين الخولي يعاني أزمة نفسية ، وانه ينظر فيرى نفسه لا يقل ان لم يكن خيرا من أساتذة جامعيين كبار في هذا البلد ، ثم لا يرى لنفسه مثل مكانهم في العالم الخارجي خارج الجامعة ، وأقرب الأمثلة أمامه الدكتور طه حسين وما يتمتع به من مكانة ملحوظة ، والاستاذ أحمد أمين وما له ــ كذلك ــ من شهـــرة ، وهذا الوضع يسبب له قلقا نفسيا يتجلى في مظاهـــر كثيرة كلها تدور حول لفت النظر بكل وسيلة ، وأبسط مظاهر ذلك أنه لا يكاد يستقر على زي في ملابسه ، ولا تأمن أن تراه في أي يوم بزي غير ما عهدت منـــه في اليوم السابق ، وازياؤه في التفكير كأزيائه في الملابس كلها اندفاعات وشطحات » (1) .

لقد مرت على فرقعة كتاب « القصص الفني في القرآن الكريم » ثماني عشرة سنة ، ونسيها الناس ، بل ماتت سريعا كما تموت كل فرقعة ، ولم يكسب منها الا الخسران المبين .

وواتته الفرصة في كتـــاب الطالبة (اصوات المد في تجويـــد القرآن) فارسل الشيخ الخولـــي فرقعته اجتذابا للانظار ، ولكنهـــا انتهت كما انتهت فرقعاته السابقة. ولم تتح له واحدة منها ان يحتـــل مركز طه حسيـــن في الجامعـــة او وزارة المعارف ، ولا مركز العقاد في العالم العربي والاسلامي ، وبقـــي الحقد ياكل قلبه على كل مشهـــور عظيـــم .

(1) جريدة « الـــسواري » العدد 66 الصادر يوم الاثنين 16 صفر 1367 هـ (29 ديسمبر 1947) .

هذا الاسلام ....

للأستاذ : محمد ابراهيم نخات

ان العمل بهذا الدين المظلوم ، المفترى عليه واجب اكيد وحل حتمي لا بد منه ولا ملجا الا اليه ولا عيش الا به . فتطبيق الاسلام ككل فى اقطار المسلمين هو الذى يحقق ذاتيتنا المتميزة بهذا الاسلام، وبجسم شخصاتياتنا المعتبرة به ، ويبعث وجودنا الاسلامي الذى نسعد به كما سعد المسلمون الاوائل .

وتحقيق هذا الوجود الاسلامي فى واقع الناس هو الذى يمكن من مراقبة ومشاهدة تجربة الاسلام من جديد فى هذا القرن للتاكد من صلاحية ومنفعة هذا الدين للحياة وللبرهنة على ضرورة الايمان به واهميته للناس ، وان كان الاسلام قد برهن على عظمته وافضليته فى عهود العمل به ، وعلى سبيل التذكير نشير الى عهدي العمرين الخالدين ابن الخطاب وابن عبد العزيز اللذين حكما بالاسلام الكامل ومثلاه التمثيل الصحيح . وخير دليل على تمسكهما به واخلاصهما له قولان لهما يعدان مفتاحي شخصيتيهما :

(انما تنقض عرى الاسلام عروة عروة اذا نشأ فى الاسلام من لم يعرف الجاهلية) (1) .

(ـ جزى الله الاسلام عني خيرا) (2)

وفى صدد الاشادة بعظمة الاسلام وحتمية العودة اليه يكون من المناسب ايراد هذه الشهادة الدامغة : (ان المسلمين يمكنهم ان ينشروا حضارتهم فى الدنيا الآن بنفس السرعة التى نشروها سابقا اذا رجعوا الى الاخلاق التى كانوا عليها حين قاموا بدورهم الاول لان هذا العالم الخاوي لا يستطيع ان يقف امام روح حضارتهم) (3) .

ان تجربة الاسلام الجدية الجديدة هي التى ستمكن المسلمين من راب الصدع الخطير الذى اصاب صرح الاسلام منذ عقود عديدة من السنين علاوة على ان الاخلاص له والتفاني من اجله يحققان انسان الاسلام ووجود الاسلام فى عالم الاسلام ، الا ان الحقيقة المجسمة لهذا الثالوث الاسلامي لن تبرز من جديد فى عالم الواقع بواسطة التنويه بمحاسن الاسلام او الدعاية لمقاصد الاسلام بالاقوال السلبية

---

(1) قولة لعمر بن الخطاب .

(2) قولة لعمر بن عبد العزيز لما نوه به بعض اخوانه قائلين : جزاك الله عن الاسلام خيرا ، فاجابهم : بل جزى الله الاسلام عني خيرا ، انظر فى هذا الشأن كتاب (عمر بن عبد العزيز) لخالد محمد خالد ، ص : 116 .

(3) القول لرماديوك باكتول فى كتاب (جند الله ثقافة واخلاقا) للشيخ سعيد حوى ، ص : 22 .

دون الاعمال الايجابية ، فنحن فى العصر الحاضر احوج ما نكون الى الاكتفاء بالحركة والاستغناء عن الحرف ، لان البرهان الحقيقي على صلاحية الاسلام للاهتداء به فى دنيا الناس يكمن فى العمل به .

وان احسن عبرة نستنتجها من أعمال اعدائنا ، وافضل نصيحة ننتفع بها منهم هي التى تظهر فى العمل الجدي ، فهم يعملون اكثر مما يقولون ، وهم يخططون ثم ينفذون ، وهم يؤمنون بما يعتقدون فيحققون ما يريدون بلا تهاون ولا تقاعس .

وحسبنا فى هذا الشأن للاعتبار والتنبيه الاشارة الى كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) التى حقق اليهود بالعمل المتواصل معظم ما يريدون منها ، وما زالوا يجتهدون ليل نهار لتطبيق كل ما فيها من اهداف سيطرتهم العالمية ، فهي من وحي (التلمود) كتابهم المقدس ، وايمانهم العميق بهذا التلمود يتحتم عليهم فعل المستحيل ، ولا وجود لكلمة مستحيل فى قاموس حياتهم لان كتاب (التلمود) هو الدستور الفريد لهم فى هذه الحياة ، وهذه اقوال تؤكد قيمة هذه التوراة الجديدة عند يهود ، يقول جينزبرج : « اعطى التلمود اليهودي جنة روحية خالدة ، يلجأ اليها كيف شاء .. » (4)

ويقول :

« .. ان التلمود لا يزال — بعد التوراة — القوة الروحية والاخلاقية المثمرة فى الحياة اليهودية . » (5)

ويقول اسرائيل ابراهام : « بقي اليهودي بسبب التلمود ، بينما بقي التلمود فى اليهودي » (6)

ويقول الدكتور فابيان :

« .. والتلمود هو الذى تعزى اليه الصفات التى يتميز بها اليهودي . » وقد حقق عبيد التلمود من اليهود الكثير من مخططاتهم بواسطة الداروينية والماركسية والفرويدية (7) والوجودية (8) وغيرها من المذاهب والفلسفات الهدامة لانهم دعاة الفساد منذ كان لهم وجود ، فليست لهم الا عقيدة نشره بكل الاساليب ليكونوا على الدوام سادة العالم ومحركيه حسب اهوائهم وارضاء لمشاربهم لان مبدا الفساد والافساد من نتائج ايمانهم القريب المنحرف.

وتلك دعوتهم الوحيدة التى يحيون من اجلها فى هذا العالم والتى يؤكدها الدكتور (اوسكار ليفي) . « نحن اليهود لسنا شيئا الا مفسدي العالم ، ومدمريه ، ومحركي الفتن فيه ، وجلاديه » (9) .

ان اعظم مصيبة قاسى منها الاسلام عبر السنين تتمثل فى النفاق العملي الذى طرا على الشخصية الاسلامية واوبا الارضية الاسلامية مما سبب انعدام الثمار الاسلامية واقصد بها الآثار العملية الدالة على الاسلام ، وهكذا غابت ايجابية المسلم الكامنة فى تطبيق دينه وتجلت سلبية المسلم الظاهرة فى التنكر له ، والتنكر هذا نتيجة هذا النفاق الخطير الذى تجسمه الآية الكريمة :

(يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) (الصف : 2)

---

(4) عن كتاب (التلمود تاريخه وتعاليمه) لظفر الاسلام خان ، ص : 34 .
(5) نفس المصدر ، ص : 34
(6) نفس المصدر ، ص : 34 .
(7) يقول المهندس قيس القرطاس فى كتاب (نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضيها) ص : 173 : (.. داروين قد بين ان أصل الانسان حيوان ، وفرويد قد أعلن ان مشاعر الانسان وافكاره لا تخرج عن نطاق المشاعر الجنسية الحيوانية، ثم جاء ماركس ليتم حلقة التطور ، ويثبت بنظريته التطورية لتفسير التاريخ ، ان تاريخ الانسان ، هو تاريخ البحث عن البحث عن الطعام ..)
(8) فى كتاب (الماسونية اقدم الجمعيات السرية واخطرها) . ص 70 هذا التعريف بالوجودية وهو : من الماسونيين اليهود سارتر مؤسس المذهب الوجودي الذى يدعو للاباحة والفجور ويجعل الانتحار فرضا على من يستطيع اثبات وجوده .
(9) انظر كتاب الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون) ترجمة محمد خليفة التونسي ، ص : 1

فهذا النفاق المهدم سبب ضياع المسلمين ، فقد كان بحق ظاهرة مخزية لا تغتفر وكانت علة الانحطاط لهم فى كل ميدان ، ولا مبالغة فى الابانة عن خطورة هذا النفاق المقوض لصرح الاسلام . فلكي نبرهن تشير الى ظواهره المتعددة : ظاهرة اللا مبالاة بأوامر الاسلام ، ظاهرة التخلي عن اعمال الاسلام ، ظاهرة عدم التحلي باخلاق الاسلام ، ظاهرة عدم التمثيل الحقيقي لوجود الاسلام ، ظاهرة عدم الاصطباغ بصبغة الاسلام ، ظاهرة عدم الانتفاع بمبادىء الاسلام ، ظاهرة عدم الاقتناع بطبيعة المنهج القرآني مما نتج عنه غياب الحل الاسلامي وانعدام الحكم الاسلامي فى النظام الاسلامي الذي يخشاه اعداء هذا الدين ويحسبون له الف حساب ويعملون لعدم تحققه من جديد بتعويق العودة الصادقة لهذا الاسلام التى يدعو اليها مفكرو ورواد الحركة الاسلامية الواعية المخلصة لحقائق الاسلام .

صرح مسئول فرنسي فى وزارة الخارجية سنة 1952 : « ليست الشيوعية خطرا على اوربا فيما يبدو لي فهي حلقة لاحقة لحلقات سابقة واذا كان هذا الخطر فهو خطر سياسي عسكري فقط ولكنه ليس خطرا حضاريا تتعرض معه مقومات وجودنا الفكري والانساني للزوال والفناء . ان الخطر الحقيقي الذى يهددنا تهديدا مباشرا عنيفا هو الخطر الاسلامي فالمسلمون عالم مستقل كل الاستقلال عن عالمنا الغربي فهم يملكون تراثهم الروحي الخاص ويتمتعون بحضارة تاريخية ذات اصالة فهم جديرون أن يقيموا بها قواعد عالم جديد دون حاجة الى الاستغراب اي دون حاجة الى اذابة شخصيتهم الحضارية والروحية بصورة خاصة فى الشخصية الحضارية الغربية .. » (10)

ان تفسير الاسلام بواقع المسلمين الأليم هو الذى اساء الى الاسلام ومنع فهم الاسلام الصحيح ونسب اليه كل علل الانحطاط وكل اسباب التدهور والتقهقر رغم ان المسلمين والاسلام يوجدان فى انفصام مستمر يكفي لتبرئة الاسلام من كل الاباطيل التى شوهت حقائقه والشبهات التى زورت تعاليمه ، زيادة على انه يدل على انعدام وجود عملي لهذا الاسلام الذى يجعل له وجهه الحقيقي فى هذه الارض وتأثيره البالغ على كل الناس .

وعلى هذا الاساس فالاقتناع بصلاحية الاسلام للحياة يكمن فى العمل به فى كل المجالات كمنهج حياة ، وبذلك فقط نكون واقعيين مع ديننا ، واعين لجسامة الصلة التى تربطنا به كمسئولين عنه . وفى هذه الحالة الواقعية نكون دعاة اليه بصفة مباشرة وغير مباشرة فى كل ميدان بلسان الواقع ، وتلك هي الوسيلة الوحيدة التى نحسن بها الى انفسنا والى غيرنا .

وان الاشارة الى هذا الغير يدفعنا الى ذكر طبقة المتصفين والمنكرين الذين قالوا عن الاسلام الكثير المتنوع وفسروه التفسير المتناقض ، فهذان الصنفان سيان فيما قالوا عن هذا الدين باستثناء القلة المفكرة التى تفهمت وتعمقت ودرست هذا الاسلام باصالة وصدق فاهتدت للايمان به .

ان المتصفين منهم نوهوا بالاسلام ولكنهم غير مخلصين فيما قالوا عنه لان الانتساب الحقيقي لهذا الدين غير موجود ، والدليل المادي على اهمية الاسلام منعدم فى وسط اهاليه فكيف يؤمنون بما قالوا ؟!

اما عن المنكرين فهم يعادون الاسلام ويبغضونه لمرض نفوسهم التى تأبى كل حق ، ولان الاسلام يمنعهم من تحقيق اغراضهم الدنيئة وتلبية رغباتهم المصطبغة بالرذيلة لكونهم اهل باطل ودعاة ضلال ، فمبدأ الحق الذى يوصل الى الله لا يعرفونه لانه فى نظرهم ليس من ضروريات الحياة وليس من متطلبات السعادة الدنيوية .

وبما ان الاسلام يدعو الى الفضيلة فى كل شيء وهم انما يؤمنون بمبادئهم الجاهلية التى لا تعرف الفضيلة فى كل شيء فوجب محاربة الاسلام بمختلف الوسائل فى نفوس معتنقيه مع العمل الدائم لعرقلة الرجوع اليه الذى فيه الدواء الناجع لكل ادواء المسلمين والخطر القاضي على امثالهم والمعوق المانع من تحقيق مؤامراتهم .

وحتى لا يظهر الاسلام فى العالم بمظهر الاولوية التى تكون قطب الرحى فى ميدان الوجود الانساني هذه الاولوية المرادة لهذا الدين والمقصودة من بعثة رسول الانسانية محمد صلى الله عليه وسلم ، هذه الاولوية

---

(10) انظر كتاب (جند الله ثقافة واخلاقا) ، ص 20 ، 21 من تأليف الشيخ سعيد حوى .

التى تحققت فى ظلال القرآن فكانت كل الخيرات منها وسعد كل الناس بها من مؤمنين وغير مؤمنين بهذا الاسلام ، هذه الاولوية التى يخشاها اعداء الاسلام لانها المبرهنة على اسبقية الاسلام لاسعاد الانسان ، الدالة على اهمية الاسلام للعمل به ، الهادفة لافضلية الاسلام للعيش فى ظلاله .

لكل هذه الخصائص الناطقة بعظمة الاسلام وحقيقة الاسلام ، ولكي لا تتحقق هذه الاولوية الاسلامية التى تكون بها الريادة الخيرة والقيادة الراشدة فى هذه البسيطة وجب فعل المستحيل للحيلولة دون تحققها فى عالم الناس لان فيها الاجهاز على جاهليتهم الرقيعة ، جاهليتهم المقنعة ، جاهليتهم المتفننة فى ابتكار وسائل تضليل النوع الانسانى ، جاهليتهم المتعفنة لاصطباغها بصبغة الافساد لهذا الانسان ، جاهليتهم الخطيرة التى سادت فى هذا القرن العشرين .

ولكن رغم هذه المعاداة البغيضة للاسلام ، وهذه المناهضة القديمة له من طرف المسئولين بالغرب بواسطة المبشرين والمستشرقين والعملاء والادعياء، وعن طريق الغزو الفكري اعظم خطر يهدد العالم الاسلامي ، ورغم هذا التعصب التقليدي لمبادئهم الباطلة فانهم يقدرون الاسلام عن شعور غريب رغم حسدهم المضمر وحقدهم الدفين له ، ويتاكد لنا هذا الشعور فى ترقبهم لبزوغ فجر اسلامي يتحقق به البعث الاسلامي على يد الرائد الاسلامي الذى سيكون به الوجود الاسلامي .

وهذا الترقب لسيادة الاسلام يبدو على السنة العديد من دهاة الغرب نذكر منهم ثلاث شخصيات . فهذا « مونتغمري وات » يقول :

(اذا وجد القائد المناسب الذى يتكلم الكلام المناسب عن الاسلام فانه من الممكن لهذا الدين ان يظهر كاحدى القوى السياسية العظمى فى العالم مرة اخرى) (11) .

وهذا « هـ ـ ا ـ جب » يقول : (.. ان هناك احتمالا من الحكمة الغرب الا يقلل من شانه الا وهو ظهور الاسلام من جديد كقوة عالمية .. ان الحركات الاسلامية لا ينقصها الا وجود الزعامة ، لا ينقصها الا ظهور صلاح الدين جديد ..) (12)

وهذا « لورانس براون » يقول : (الخطر الحقيقي كامن فى نظام الاسلام ، وفى قوته على التوسع والاخضاع ، وفى حيويته المدهشة .. انه السد الوحيد فى وجه الاستعمار الاوروبي) (13)

اذا فنحن اذا كنا مخلصين لهذا الدين ، وكنا ندعو الى انسان الاسلام ، وكنا نؤكد على ضرورة وجود الاسلام فى هذا العالم كقوة حية مستقلة لها وزنها الملحوظ ودورها الملموس فى الحياة ، فلان دعوتنا هذه واجب ضروري على كل مسلم لكي يحيا الاسلام وبالتالي يدعو له ، وبذلك يكون الاسلام القوة المؤثرة على الغير القائدة للخير .

ولكن كيف السبيل لتحقيق هذه القوة الضرورية ؟ هذه القوة الرحيمة ؟ هذه القوة المفروضة ؟ هذه القوة المنجية ؟ هذه القوة الواجبة التى تعمل لاحقاق الحق وابطال الباطل رحمة بالناس بدعوة القرآن :

(قال : جاء الحق وزهق الباطل، ان الباطل كان زهوقا) (الاسراء : 81) .

ان هذه القوة المرتقبة ستبرز من جديد الوجود لما يكون كل مسلم مقدرا لمسئوليته نحو دينه، منفذا لتعاليمه الاساسية ، متفقا للآخرين حسب تخصصه وطاقته ، داعيا اليه بكل امكاناته المتوفرة لديه ، وستتحقق هذه القوة الاسلامية لما تكون من عقيدة كل مسلم ، وتصير هدف كل مسلم وتصبح عنده بمثابة الماء للاحياء هذا العنصر اللازم للحياة ، فقوة الاسلام هي المثل الحي والحجة البالغة الداعية للاسلام الدالة على وجوده فى عالم المسلم .

وعلى ضوء هذه الحقيقة اللازمة فمبدأ الايمان بقوة الاسلام مفروض على كل مؤمن بقول القرآن : (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ..) (الانفال : 60)

(11) عن مجلة (الغرباء) اللندنية عدد مايو 1968

(12) عن كتاب (الاتجاهات الوطنية) للدكتور محمد محمد حسين ، ص : 202 ، 206 .

(13) عن كتاب (التبشير والاستعمار) ص : 184 . وكتاب (جند الله ثقافة واخلاقا) ص : 21 ، 22 .

فايجاد هذه القوة لا مناص منه لكي يتمكن كل مسلم من القيام بواجب الدعوة لدين الله ويستطيع انقاذ الناس به ، فكما ان في العالم دعاة للشر وهداة للباطل بالقوة فمن الأولى الضروري ان يكون المسلم في هذه الارض من الدعاة للخير والهداة للحق بالقوة الرحيمة ، الحكيمة ان كان يؤمن بامر القرآن : (ادع الى سبيل ربك ..) (النحل : 125) .

فامر القرآن بالقوة وبالدعوة لهذا الاسلام حجة على كل مسلم ، وانهاض له وتحريك له ، ودفع له وبعث له ، وتشجيع له ، لتثبيت الوجود الاسلامي في كل ميدان من ميادين الحياة ، ولابراز الواقع الاسلامي في كل مجال من المجالات الحياتية، هذا الواقع الصالح الذي يكونه هذا الاسلام ويرتضيه للمؤمنين به ، هذا الواقع النظيف الذي ينتج عن المنهج الصحيح لهذا الدين الذي يكون « منطبقا على الفطرة البشرية في سوائها ومحققا للحاجات الانسانية الحقيقية في شمولها » (14) .

وتجسيم قوة الاسلام هو تحقيق للوسطية الاسلامية صفة كل مسلم ملتزم وميزة كل مسلم مخلص ومهمة كل مسلم حركي في هذه الدنيا: (... وكذلك جعلناكم امة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ..) (البقرة : 143)

فما أحوجنا الى هذه الوسطية الهادية للناس القائدة لهم لكل خير المتمثلة في رحمة احكام الاسلام وسماحة تعاليمه ، الناتجة عن انسانية اهدافه وايجابية مبادئه ، المحافظة على كرامة الانسان المحققة لسعادته الحق بالدعوة للخير ، بالامر بالمعروف ، بالنهي عن المنكر .

هذه الوسطية الفاضلة ، الحسنة ، المعتدلة ، المستقيمة ، الموجهة ، والتي حققت وتحقق الفلاح في تلك والصلاح في هذه بشعار الاعتدال الواضح : (خير الامور اوساطها) (15)

وبشعار المعرفة الصحيحة : (الحكمة ضالة المؤمن انى وجدها اخذها) (16)

انها وسطية ضرورية مهمتها قيادة البشرية وسيادتها بدين الحق ، ووظيفتها دعوة البشر الى هذا الدين بهذا القرآن الذي له وحده منهج الاعتقاد الصحيح ، والتشريع الصحيح ، والتصور الصحيح، والتكريم الصحيح ، والتعليم الصحيح ، والتحليل الصحيح ، والتفيير الصحيح والاسعاد الصحيح ، والتكليف الصحيح باقامة العدل بين الناس ، هذا العدل الذي يكون بتقويم الموازين ، بصحة القيم ، بصلاح التفكير ، بتربية الشعور ، بتحقيق التنظيم ، بتحسين الارتباطات بين افراد الانسانية ، بتحسين العلاقات بين الخالق والمخلوق بعقيدة الاسلام وشريعة الاسلام وطريقة الاسلام وفكرة الاسلام ، فبهذه الوسطية الرحيمة كانت امة الاسلام بشهادة القرآن اعظم امة وافضل امة :

(كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (آل عمران : 11)

لان دستور هذه الامة هو القرآن وطريقها الصحيح هو طريق الله ، فكيف لا تسعد وتنعم وهي امة الحياة بدستور الحياة :

(ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم) (الاسراء 9)

(وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ...) (الانعام : 153)

الرباط ــ محمد بن ابراهيم بخات

(14) عن كتاب (الاسلام) للشيخ سعيد حوى ، الجزء الاول ، ص : 41 .
(15) حديث نبوي .
(16) حديث نبوي

الغزو الإعلامي للعالم الإسلامي

للأستاذ عبد القادر الإدريسي

– 2 –

◆ **التغطية على الحقائق الكبرى :**

اذا كانت مهمة الاعلام الاساسية هي تغطية الاحداث ونقل الوقائع واذاعة الاخبار والتعليق عليها – ان اقتضى الحال – بصورة واقعية وبأسلوب موضوعي، فان الغزو الاعلامي لشعوب العالم الاسلامي قد اضطلع بمهمة مخالفة للقانون الاعلامي والقاعدة الاخبارية ، وفي التغطية على الحقائق الكبرى سواء في محيط العالم الاسلامي او في دائرة الدول غير الاسلامية حيث تعيش كثير من الاقليات الاسلامية مستضعفة مغمورة منبوذة . او في بعض الدول حيث تعيش الشعوب الاسلامية تحت امرة حكام غير مسلمين مهضومة الحق مسلوبة الارادة لا تملك من امر نفسها شيئا . ولعل اقرب مثال الى الاذهان هو واقع المسلمين في الاتحاد السوفياتي حيث تعيش شعوب باكملها تحت حكم اجنبي وتخضع لنظام غريب عن مقوماتها الدينية والقومية وتعاني عنتا كثيرا من جراء كل ذلك .

هذا الواقع الغريب لبعض الشعوب والاقليات الاسلامية كان محور سياسة اعلامية خطيرة استهدفت دائما طمس معالم الحقائق والتغطية عليها باقامة جدار من الجهل والاهمال واللا مبالاة بينها وبين العالم الاسلامي والتركيز على جوانب معينة دون اخرى في محاولة جادة وماكرة لصرف الانتباه وتحويل الاهتمام وحصره في نطاق ضيق محدود لا يتعدى في العموم نطاق العالم العربي من المحيط الى الخليج . لقد اسدل الاعلام الغربي والشرقي الستار الكثيف على مناطق شاسعة من العالم الاسلامي ، وعلى شعوب كثيرة تدين بالاسلام ، وتم للاستعمار بشتى اشكاله فصل العرب المسلمين عن المسلمين غير العرب ، وزكى ذلك رواج فكرة القومية العربية اللا دينية ، ومحاربة – اعلاميا ايضا – الدعوة الى التضامن الاسلامي على جميع المستويات ، مع وجود نصوص صريحة من القرآن والسنة تربط قومية العرب بدينهم رباطا وثيقا ان الفصل كان الانحراف المبين عن جادة الاسلام .

وبذلك وقع المسلمون ضحايا الغزو الاعلامي قبل الهجومات العسكرية الساحقة ، وكانت هذه نتيجة حتمية للتغلغل الساحق العميق لاجهزة الاعلام الفاسدة المفسدة وان كانت تدار بعقول عربية .

◆ المنافسة على ضرب الاسلام :

يقول الكاتب الامريكي « جيمس واربورج » : **« ان مشكلة الغرب ـ يقصد الغرب الصليبي بطبيعة الحال ـ الاساسية هي في استعمال سريع لقنوات اعلامية قوية تقوم بارسال فعال ، تنافس به ، بطريقة مأمونة وبناءة ، الدعاية الشيوعية» (1).** والذى يمكن ان نستفيد منه ان الغرب الصليبي يملك سلاحا آخر هو غير العتاد الحربي من طائرات ودبابات وغواصات ، يستخدمه عند الاحساس بخطر ماحق يهدد كيانه . ونعرف جميعا أن **«الشيوعية»** بالنسبة للغرب الصليبي هي هذا الخطر الماحق المهدد لكيانه ولا شك . ومن ثم فان « استعمال سريع لقنوات اعلامية قوية تقوم بارسال فعال » هو الرد الاكثر حكمة وواقعية في منطق المعسكر الغربي الراسمالي الصليبي . ولقد استخدم الغرب، او الاستعمار الغربي بعبارة اوضح هذا الاسلوب لمحاربة الاسلام وضرب الشعوب الاسلامية في الصميم ، لما يمثله الاسلام ـ في نظر الصليبية والشيوعية على السواء ـ من قوة مضادة يحسب لها حسابها . ونعود الى قولة الكاتب الامريكي « جيمس واربورج » لنر كيف أن المنافسة ، وبطريقة مأمونة وبناءة للدعاية الشيوعية تشكل حيزا واسعا من اهتمامات الاعلام الغربي. ولكن المنافسة على ماذا ؟.. على التطور والرقي الحضاري والعملي والسباق النووي كما يزعمون أم على ضرب الفكر الاسلامي والحيلولة دون قيام هذا الفكر ممثلا في وضع وواقع محسوسين ، وبالتالي لابقاء الشعوب الاسلامية مرتبطة الى عجلة الاستعمار ابد الآبدين .

يقول الاستاذ عبد الله كنون عن دور الاعلام في محاربة الفكرة الاسلامية : « .. وغير خاف أن وسائل الاعلام في هذا العصر قد تعددت تعددا لم يعرف من قبل ، وان فن الدعاية قد تقدم تقدما عظيما في الثلاثين سنة الاخيرة .. والذين يسيطرون على وسائل الاعلام ويوجهون الدعاية في أكثر الدول. هم ممن يتعارض الدين مع مصالحهم الخاصة ونزواتهم الشخصية ، فهم لذلك لا يدخرون وسعا في التنديد به سرا وجهرا وبطرق مكشوفة ومستورة .. » (2) . وغير خاف ايضا ان الدين المعني بالامر هو الاسلام اولا وآخرا ، وهذا بالطبع يستتبع التطاول على الشعوب الاسلامية بطرق مكشوفة ومستورة . ولقد فطن الاستاذ كنون الى الغزو الاعلامي الخبيث بثاقب نظره وصفاء رؤيته ووقف على التأثير الخطير لهذا الغزو في افساد الحياة الاسلامية في مشارق الارض ومغاربها.

◆ مصادر الاعلام العالمية :

ينبغي ان ندقق النظر ابتداء في مصادر الاخبار العالمية وهي وكالات الانباء الكبرى التي تحتكر صناعة الاخبار في العواصم الكبرى ، فتنقل الى مجموع اقطار العالم وفق خطة معينة ، وفي القالب الذى يخدم الاهداف البعيدة والقريبة للجهات الممولة والموجهة لهذه الوكالات . ان النقطة الاولى التي تثير الانتباه في هذا الصدد ان كبرى وكالات الانباء العالمية تابعة ـ بصورة او بأخرى ـ للدول الاربع الكبرى ، باستثناء طبعا الصين الشعبية نظرا لنشاط اجهزتها الاعلامية وضيق مجالات التأثير لديها ، على الاقل قبل انضمامها الى الامم المتحدة . ان الاخبار التي تذاع عن العالم الاسلامي تأتي الينا عبر قنوات اعلامية غربية او شرقية . وهذا امر خطير ولا شك، تتجلى خطورتها في خلق «راي عام» مكيف وفق خطة معينة . وهكذا تبقى الشعوب الاسلامية تابعة فكريا وسياسيا للاستعمارين الغربي والشرقي .

لقد اعمى الله تعالى بصائر الصهاينة فكتبوا في بروتوكولاتهم يفضحون خططهم الجهنمية في خلق « الراي العام » المرتبك ، المضطرب ، المرتبط بأجهزتهم الاعلامية في جميع الاحوال . جاء في البروتوكول الخامس (3) : « .. ولكي نطمئن الى الراي العام يجب باديء ذي بدء ان نربكه تماما ، فنسمعه من كل جانب وبشتى الوسائل آراء متناقضة لدرجة يضل معها غير اليهود (هم في الغالب المسلمون) الطريق في تيههم فيدركون حينئذ أن اقوم سبيل هو الا يكون لهم اي راي في الشؤون السياسية (!) والسر الثاني اللازم لنجاح حكومتنا

---

(1) **« مدفعية اسرائيل النفسية »** ـ عبد الرحمن غنيم ص : 20 ـ الطبعة الاولى ـ 1968 .

(2) « اسلام رائد » ـ عبد الله كنون ـ ص 12 .

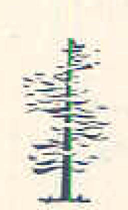
(3) نقلا عن كتاب **« قضايا العصر في ضوء الاسلام »** للاستاذ انور الجندي ـ ص : 216 .

« حكومة اليهود العالمية مستقبلا ... وهذه دعوة الشيوعية اليوم !! » يقوم على مضاعفة الاخطاء التى ترتكب والعادات والعواطف والقوانين الوضعية فى البلاد، لدرجة يتعذر معها التفكير تفكيرا سليما وسط تلك الفوضى » .

نحن اذن امام خطة اعلامية كاملة الاعداد والدقة . والذى يزيدنا ادراكا لخطورتها هو واقع اجهزة الاعلام المتمثلة فى الوكالات العالمية الانباء التى تخضع كلها للنفوذ الصهيوني بدرجة او بأخرى . ولعله من المفيد ان نذكر بالحملة التى شنها الرئيس الفرنسي السابق شارل ديجول قبيل وفاته على سيطرة الصهيونية على الاعلام الفرنسي . وهي حملة معروفة يمكن الرجوع اليها فى مظانها .

هل اريد التأكيد على خضوع الاعلام الدولي للصهيونية؟ . ان المسألة اضخم مما نتصور . فكل الانظمة ـ والح على « الكل » ـ والمذاهب المعاصرة هي من بنات اليهودية والصهيونية . وهكذا فالغزو الاعلامي للعالم الاسلامي هو غزو من تدبير الصهيونية وتخطيطها . ومن هنا تتبين اهمية » **وكالة الانباء الاسلامية** » التى اوصى بها مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ، ومؤتمر القمة الاسلامي قبل ذلك .

الرباط ـ عبد القادر الادريسي



المجاهد العملاق

مالك بن الحارث، الاشتر النخعي

للدكتور: أحمد الشرباصي

اذا كان فقة الاسلام قد تحدث عن الزكاة التى شرعها الله فى المال ، صامتا كان ام ناطقا ، فان هذه الزكاة هي الزكاة الشرعية الفقهية المادية التى تعارف عليها جمهور المسلمين، ولكن الاسلام بروحه ومبادئه قد دعا الى الوان أخرى من الزكاة، فحث مثلا على الشجاعة التى تعد عند اهل الوفاء والفداء زكاة للقلب المؤمن الموقن .

وحث على بذل العلم ، وهو زكاة العقل الزكي البصيـــر .

وحث على الجهر بكلمة الحق المبينة البليغة ، وهي زكاة اللسان الصادق الطهور .

واذا اجتمعت للمسلم صفات العطاء والفداء ، والعلم والبيان ، فقد اكمل الله له جوانب الخير ، واوسع عليه في ابواب البر ، والله يختص برحمته ونعمته من يشاء ، وهو صاحب الفضل العظيم .

وهذا رجل من اعلام صدر الاسلام ، نـــراه يتألق ضمن الشجعان الاجواد العلماء الفصحاء ، الذين جاهدوا فى ميادين النضال والبذل ، كما جاهدوا فى مجالات العلم والقول : وهو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بالأشتر.

وقد توافرت له بسطة فى الجسم ، فكان طويلا عملاقا .

وتوافرت له بسطة فى العلم ، فكان فقيها خطيبا شاعرا .

وتوافرت له كثرة فى المال ، فكان كريما معطاء .

ثم كان بعد ذلك مجاهدا بطلا فاتحا ...

وقد لقب بلقب « الاشتر » لانه اشترك فى معركة اليرموك فى السنة 15 ، فذهبت عينه فيها ، وانقلبت جفونه ، وانقلاب الجفون يسمى « الشتر » فى لغة العرب .

وبجوار ذلك كان الأشتر يلقب بلقب «الافعى»(1) لعمق خبرته وسعة حيلته فى الحرب ، ولذلك كان يردد قوله :

اني انا الأشتر ، معروف الشتر
اني انا الافعى العراقي الذكر

وكان ماهرا فى ضربة السيف السريعة الخاطفة، ولذلك كانوا يسمون سيفه « اللج » اي بريق الماء الجاري ، وطالما ضرب الاشتر اعداءه بسيفه الضربات المتوالية المتلاحقة .

وكان يقول اذا تكاثر عليه اعداؤه فى القتال : « الغمرات ثم ينجلينا » (2). والغمرات هي الشدائد

(1) انظر مروج الذهب ، ج 4 ص 357 .
(2) قيل ان العبارة للاغلب العجلى . انظر مجمع الامثال للميداني .

والمتاعب التى تنمر الانسان وتحيط به . اي اني اصبر فى الشدائد واتحملها ، لانها تنجلي وتذهب ، ويبقى بعد ذلك : العمل المجيد والذكر الحميد للرجال الابطال .

وكان الاشتر النخعي رجلا لا يقيم كبير ميزان للبقاء فى الحياة الدنيا ولا يحرص على طول الاقامة فيها، ما دام ينال رضا ربه ورضوانه ، وكان لا يهاب الموت ولا يخشى المنية ، بل كان يرجو ربه أن ينيله نعمة الشهادة فى سبيله وفى ميدان نضاله ضد أعداء الله واعداء رسوله واعداء المسلمين ، فكان يردد قوله :

يا رب قيض لي سيوف الكفره
واجعل وفاتي باكف الفجره

فالقتل خير من ثياب الحبره
لا تعدل الدنيا جميعا وبره

ولا بعوضا ، فى ثواب البرره ! (3)

—)◆(—

ولقد كان الامام علي بن ابي طالب – رضي الله عنه وارضاه ، وكرم الله وجهه واعلاه – يعجب بالاشتر النخعي ، ويقدر بطولته وشجاعته ، حتى قال الامام لاصحابه : « ليت فيكم مثله اثنين ، بل ليت فيكم مثله واحد » (4) .

ولذلك قال بعض الشيعة : « لله أم قامت عن الاشتر ، لو ان انسانا يقسم ان الله تعالى ما خلق فى العرب ولا فى العجم اشجع منه الا استاذه (عليا) عليه السلام لما خشيت عليه الاثم » (5) .

وحينما ولى الامام علي الاشتر النخعي على مصر ، كتب الى اهلها كتابا يصف فيه الاشتر وصفا مجيدا ، وفى هذا الكتاب يقول الامام :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله أمير المؤمنين ، الى امة المسلمين الذين غضبوا لله حين عصي فى الارض ، وضرب الجور بأرواقه على البر والفاجر ، فلا حق يستراح اليه ، ولا منكر يتناهى عنه .

سلام عليكم، فاني احمد اليكم الله الذى لا اله الا هو . اما بعد فقد بعثت اليكم عبدا من عبيد الله لا ينام ايام الخوف ، ولا ينكل عن الاعادي حذار الدوائر ، اشد على الكفار من حريق النار ، وهو مالك ابن الحارث اخو مذحج ، فاسمعوا له واطيعوا، فانه سيف من سيوف الله ، لا نابي الضريبة ، ولا كليل الحد ، فان امركم ان تقدموا فاقدموا ، وان امركم ان تنفروا فانفروا ، فانه لا يقدم ولا يحجم الا بامري، وقد آثرتكم به على نفسي ، لنصحه لكم ، وشدة شكيمته على عدوكم ، عصمكم الله بالهدى ، وثبتكم على اليقين ، والسلام » (6) .

ووصفه الامام فى رسالة اخرى بقوله : « فانه ممن لا يخاف رهقه ولا سقاطه ولا بطؤه عما الاسراع اليه احزم ، ولا الاسراع الى ما الابطاء عنه امثل» (7)

والتاريخ يحدثنا بأن الاشتر كان من اخلص الناس للامام علي ، وكان احد القادة لجيوشه ، وقد حارب معه طويلا ضد الروم ، على الحدود الشمالية

---

(3) شرح البلاغة ، ج 840 . وفى كتاب « وقعة صفين » ، صفحة 488 جاءت الابيات هكذا :

فى كل يوم هامتي مقيرة — بالضرب ابغي منة مؤخره
والدرع خير من برود حبره — يا رب جنبني سبيل الكفره
واجعل وفاتي باكف الفجره — لا تعدل الدنيا جميعا وبره
ولا بعوضا فى ثواب البرره

(4) شرح نهج البلاغة ، ج 1 ص 441 .
(5) المرجع السابق ، ص 424 .
(6) تاريخ الطبري ، ج 5 ص 96 . وشرح نهج البلاغة ، ج 2 ص 313 ، وفى ص 311 رواية اوسع لهذا الكتاب .
(7) تاريخ الطبري ، ج 4 ص 567 .

لبلاد الشام ، واظهر الاشتر خبرة وبراعة فى الحرب، وقيادة الجيش ، وقد اهتدى الاشتر الى طريقة اقامة الجسور العائمة فوق الانهار لنقل الجيوش والعتاد ، ومن امثلة ذلك انه طلب من اهل مدينة « الرقة » ان يتكاتفوا لاقامة جسر من الزوارق فوق نهر الفرات لينقل عليه جنود الجيش المناضل المؤمن (8) .

وكان الامام علي يوجه الاشتر ويوصيه فى شؤون القتال والنضال ، كان يقول له : « واياك ان تبدأ القوم بقتال الا ان يبداوك ، حتى تلقاهم فتدعوهم وتسمع ، ولا يجرمنك شنآنهم (9) على قتالهم قبل دعائهم ، والاعذار اليهم مرة بعد اخرى » (10) .

وفوق خبرة الاشتر ومخادعته فى الحرب ومراوغته للاعداء، كان فى بعض المواقف يعرض نفسه للمهالك ، ويخاطر بها مواجهة ؛ ومن امثلة ذلك انه قاد جمعا من طلائع المجاهدين ، وقد تعمم معهم بعمائم خضر ، ثم تعاهدوا فيما بينهم ان يقاتلوا حتى ينتصروا او يموتوا شهداء ، واراد الله لهم البقاء ، فغلبوا وعادوا بحميد الامر ورائع الثناء . وكذلك كان الاشتر يعلم اهله دروس الوفاء والفداء، ولذلك كان يشرك ابنه ابراهيم معه فى المعارك ، ويحثه على الاقدام والتضحية .

—) ◆ (—

ومما يتألق تألق الشمس فى سيرة الاشتر النخعي ذلك العهد العلوي الذى وجهه الامام امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ، وهو اطول عهد كتبه الامام ، واجمعه للمحاسن (11) ، وفى فاتحة هذه الوصية الجليلة يقول الامام للاشتر حين ولاه على مصر واعمالها :

« هذا ما امر به عبد الله علي امير المؤمنين : مالك بن الحارث الاشتر ، فى عهده اليه ، حين ولاه مصر : جباية خراجها ، وجهاد عدوها ، واستصلاح اهلها ، وعمارة بلادها .

امره بتقوى الله ، وايثار طاعته ، واتباع ما امر به فى كتابه ، من فرائضه وسننه التى لا يسعد احد الا باتباعها ، ولا يشقى الا مع جحودها واضاعتها، وان ينصر الله سبحانه بيده وقلبه ولسانه ، فانه ـ جل اسمه ـ قد تكفل بنصر من نصره ، واعزاز من اعزه .

وامر ان يكسر من نفسه عن الشهوات ، وينزعها عن الجمحات ، فان النفس امارة بالسوء ، الا ما رحم الله » .

وفى اثناء هذا العهد الطويل الجليل يقول الامام علي للاشتر النخعي :

« فالجنود باذن الله حصون الرعية ، وزين الولاة ، وعز الدين ، وسبيل الامن ، وليس تقوم الرعية الا بهم ، ثم لا قوام للجنود الا بما يخرج الله لهم من الخراج الذى يقوون به على جهاد عدوهم ، ويعتمدون عليه فيما يصلحهم ، ويكون من وراء حاجتهم » .

ثم يختم هذا العهد بقوله :

« وانا اسأل الله ـ بسعة رحمته ، وعظيم قدرته على اعطاء كل رغبة ـ ان يوفقني واياك لما فيه رضاه ، من الاقامة على العذر الواضح اليه والى خلقه ، من حسن الثناء فى العباد ، وجميل الاثر فى البلاد ، وتمام النعمة ، وتضعيف الكرامة ، وان يختم لي ولك بالسعادة والشهادة ، انا اليه راغبون ، والسلام على رسول الله ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين » .

ولذلك لم يكن عجيبا ان نرى الاشتر النخعي يحب قائده ورائده الامام عليا حبا شديدا ، ويعرف له قدره ، ويمجد ذكره ، ولقد وقف الاشتر يوم « ذي قار » (12) بين يدي امير المؤمنين علي فقال فيما قال :

(8) دائرة المعارف ، ج 3 ص 411 .
(9) ولا يجرمنك شنآنهم : لا يحملنك بغضك لهم .
(10) تاريخ الطبري ، ج 4 ص 567 .
(11) اورد ابن ابي الحديد هذا العهد باكمله فى شرحه « نهج البلاغة » وعلق عليه تعليقا طويلا ، انظر الجزء الخامس ص 23 ـ 94 .
(12) ذو قار : موضع قريب من البصرة ، وهو المكان الذى كانت فيه الحرب بين العرب والفرس

« الحمد لله الذى من علينا فافضل ، واحسن الينا فاجمل . قد سمعنا كلامك يا امير المؤمنين ، ولقد اصبت ووفقت، وانت ابن عمنا وصهره، ووصيه واول مصدق به ، ومصل معه .

شهدت مشاهده كلها ، فكان لك الفضل فيها على جميع الامة ، فمن اتبعك اصاب حظه ، استبشر بفلجه (13) ، ومن عصاك ورغب عنك فالى امه الهاوية ... »

—) ◆ (—

والى جوار بطولة الاشتر ، وبذله فى ميادين القتال والنضال ، كان جوادا معطاء ، يبذل من ذات يده الكثير الغزير ، وكان جريئا فى مقاومة المآثم والمظالم التى يرتكبها الآثمون الظالمون من الحاكمين .

فهو يعترض عليهم ، ويقف فى طريقهم ، ويندد بسيئاتهم ، اذا لم يستمعوا ولم يرتدعوا . وكان رجلا يغار على حقوق الناس ، ويدعو الى سيادة العدل والحق بينهم ، ويقاوم الاستبداد والاحتكار .

ولقد حاول بعض الحاكمين ان يستغل ارض السواد بالكوفة لصالح قبيلته قريش قائلا : انما هذا السواد بستان لقريش .

فانكر عليه الاشتر هذا الادعاء ، وقال له: اتزعم ان السواد الذى افاءه الله علينا باسيافنا بستان لك ولقومك ؟ والله ما يزيد اوفاكم فيه نصيبا الا ان يكون كاحدنا (14) .

وكان الاشتر يردد قوله داعيا ربه :

« اللهم ، اسوانا نظرا للرعية ، واعملنا فيهم بالمعصية ، فعجل له بالنقمة » (15) .

والى جوار بطولته فى الميدان ، واعطائه للكمال ، وحرصه على خير الناس واصلاح المجتمع ، كان حريصا على العلم يطلبه كلما تيسر له ، وعلى التفقه فى الدين كلما وجد الى ذلك سبيلا .

وكان صاحب شعر جيد وخطابة بليغة ، وتجلت بلاغته احسن ما تجلت فى خطبه وكلماته التى كان يحث فيها زملاءه وجنوده على صدق الجهاد حتى النصر او الاستشهاد .

وقف الاشتر يخطب الناس فى « قناصرين » فكان مما قاله :

« الحمد لله الذى خلق السماوات العلى : الرحمن على العرش استوى ، له ما فى السموات وما فى الارض وما بينهما وما تحت الثرى . احمده على حسن البلاء ، وتظاهر النعماء ، حمدا كثيرا ، بكرة واصيلا ، من هداه الله فقد اهتدى ، ومن يضلل فقد غوى . ارسل محمدا بالصواب والهدى ، فاظهره على الدين كله ولو كره المشركون الكافرون ، صلى الله عليه وسلم .

ثم كان مما قضى الله سبحانه وقدر ، ان ساقتنا المقادير الى اهل هذه البلدة من الارض ، فلفت بيننا وبين عدو الله وعدونا ، فنحن بحمد الله ونعمه ، ومنه وفضله ، قريرة اعيننا ، طيبة نفوسنا ، نرجو بقتالهم حسن الثواب ، والأمن من العقاب ، معنا ابن عم نبينا ، وسيف من سيوف الله علي بن ابي طالب ، صلى مع رسول الله ، لم يسبقه الى لصلاة ذكر حتى كان شيخا ، لم تكن له صبوة ولا نبوة ولا هفوة ولا سقطة ، فقيه فى دين الله تعالى ، عالم بحدود الله ، ذو راي اصيل ، وصبر جميل ، وعفاف قديم .

فاتقوا الله ، وعليكم بالحزم والجد » .

وفى موقف آخر يقول :

« ... فطيبوا عباد الله نفسا بدمائكم دون دينكم ، فان الفرار فيه سلب العز ، والغلبة على الفيء ، وذل المحيا والممات ، وعار الدنيا والآخرة ، وسخط الله واليم عقابه » .

ومن مواقفه المذكورة انه دعا بالحارث بن همام النخعي ، فاعطى لواءه ، وقال له :

---

(13) الفلج : الفوز والظفر .
(14) تاريخ الطبري ج 4 ص 323 .
(15) المرجع السابق ، ج 4 ص 326 .

يا حارث ، لولا اني اعلم انك تصبر عند الموت ، لأخذت لوائي منك ، ولم احبك بكرامتي .

فقال : والله يا مالك لاسرنك أو لاموتن ، فاتبعني .

ثم تقدم باللواء ، وارتجز فقال :

يا اخا الخيرات ، يا خير النخع
وصاحب النصر اذا عم الفزع

وكاشف الخطب اذا الامر وقع
ما انت فى الحرب العوان بالجذع (16)

قد جزع القوم وعموا بالجزع
وجرعوا الغيظ ، وغصوا بالجرع

ان تسقنا الماء فليست بالبدع
او نعطش اليوم فجند مقتطع

ما شئت خذ منها ، وما شئت فدع

فقال له الاشتر :

ادن مني يا حارث .

فدنا منه ، فقبل راسه ، وقال :

لا يتبع راسه اليوم الا خير ..

ثم صاح الاشتر فى اصحابه قائلا :

فدتكم نفسي ، شدوا شدة المحرج الراجي للفرج ، فاذا نالتكم الرماح فالتووا فيها ، فاذا عضتكم السيوف فليعض الرجل على نواجذه ، فانه اشد لشؤون الراس (17) ، ثم استقبلوا القوم بهامكم (18)

—) ◆ (—

وهذا المجاهد المقاتل المناضل ، الذي كان يطيح برؤوس اعدائه فى الحرب ذات اليمين وذات الشمال، وكان يخافه الناس فى الميدان ، ويفرون من لقائه ، نراه انسانا رقيق العاطفة نبيل الشعور سريع التأثر بالكلمة البليغة ، فيستجيب لرجائها ، ويكون عند ظن قائلها .

لقد كلف الامام علي بن ابي طالب الاشتر النخعي بمقاتلة رجل يقال له : الاصبغ بن ضرار الازدي ، واستطاع الاشتر ان يأسره بغير قتال ، وجاء به ليلا فشده وثاقا ، وتركه حتى الصباح ، وكان الاصبغ شاعرا مفوها ، فايقن انه مقتول ، فرفع صوته حتى سمعه الاشتر فقال :

الا ليت هذا الليل اصبح سرمدا
على الناس لا يأتيهم بنهار

يكون كذا حتى القيامة ، انني
احاذر فى الاصباح يوم بواري

فيا ليل اطبق ، ان فى الليل راحة
وفى الصبح قتلي ، او فكاك اساري

ولو كنت تحت الارض ستين واديا
لما رد عني ما اخاف حذاري

فيا نفس مهلا ، ان للموت غاية
فصبرا على ما ناب يا ابن ضرار

اخشى ولي فى القوم رحم قريبة
ابى الله ان اخشى و«مالك» جاري

ولو انه كان الاسير ببلدة
اطاع بها ، شمرت ذيل ازاري

ولو كنت جار الاشعث الخير مكني
وقل من الامر المخوف فراري

وجار سعيد او عدي بن حاتم
وجار شرع الخير ، قر قراري

وجار المرادي الكريم ، وهانيء
وزحر بن قيس ، ما كرهت نهاري

ولو انني كنت الاسير لبعضهم
دعوت فتى منهم ففك اساري

اولئك قومي لا عدمت حياتهم
وعفوهم عني ، وستر عواري !

(16) الحرب العوان : التى قوتل فيها مرة بعد مرة . والجذع : الصغير السن .
(17) الشؤون هنا : جمع شان ، وهو موصل قبائل الراس . والهام : جمع هامة وهو الراس .
(18) شرح ابن ابي الحديد ، ج 1 ص 726 .

فتأثر الاشتر بأبياته وذهب الى الامام علي وقال له :

يا أمير المؤمنين ان هذا رجل اصبته امس ، وبات عندنا الليل ، فحركنا بشعره ، فان ساغ لك العفو عنه فهبه لنا .

فقال الامام علي : هو لك يا مالك !..

—)◆(—

ولما كان أهل الباطل لا يطيقون الصبر على ضياء الحق ، فان المفسدين في الارض يقفون لاهل النضال بالمرصاد . وكذلك كان الامر مع البطل الفاتح : مالك بن الحارث الاشتر النخعي ، فان الامام عليا ولاه على مصر ، فترصد له الاعداء في طريقه ، ودسوا عليه رجلا خائنا يسمى « الجاستار » من اهل الكتاب ، فخدع الاشتر ، وقدم اليه شربة من عسل وضع فيها سما ، وهو يتظاهر بخدمة الاشتر واكرامه ، فمات مسموما بها رضوان الله تبارك وتعالى عليه (19) .

وروي من بعض الوجوه ان الاشتر قتل بمصر بعد قتال شديد ، ولكن الصحيح انه مات مسموما قبل ان يبلغ مصر (20) .

ولما علم الامام علي بمصرع الاشتر قال : « انا لله وانا اليه راجعون ، والحمد لله رب العالمين ، اللهم اني أحتسبه عندك ، فان موته من مصائب الدهر ، رحم الله مالكا ، فلقد وفى بعهده ، وقضى نحبه ، ولقي ربه ، مع اننا قد وطنا انفسنا ان نصبر على كل مصيبة بعد مصابنا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانها من اعظم المصيبات » (21) .

ثم كتب الامام علي رسالة الى محمد بن ابي بكر ، وفيها يقول عن الاشتر يرثيه :

« ... الا ان الرجل الذى وليته مصر ، كان رجلا لنا مناصحا ، وهو على عدونا شديد ، فرحمة الله عليه ، فقد استكمل ايامه ، ولاقى حمامه ، ونحن عنه راضون ، فرضي الله عنه ، وضاعف له الثواب ، واحسن له المآب (22) .

وكانت وفاة الاشتر سنة سبع وثلاثين للهجرة ، او سنة ثمان وثلاثين ، رضوان الله تبارك وتعالى عليه .

—)◆(—

ما احوج الامة المؤمنة الى ان تتعلم روائع الدروس من امثال تلك النفوس ، لتؤدي زكاة نفوسها بالجهاد ، وزكاة ايديها بالمال ، وزكاة عقولها بنشر العلم ، وزكاة قلوبها بتوطيد الايمان فيها مع ذكر الله : « الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، الا بذكر الله تطمئن القلوب » .

القاهرة ـ د. احمد الشرباصي

---

(19) النجوم الزاهرة ، ج 1 ص 104 .
(20) شرح ابن ابي الحديد، ج 2 ص 212 . وقد جاء في كتاب « العبر » للذهبي عن الاشتر : « يقال انه سم ، وكان الاشتر من الابطال الكبار ، وهو سيد قومهم وخطيبهم وفارسهم » . ج 1 ص 45 .
(21) شرح ابن ابي الحديد ، ج 2 ص 212 .
(22) المرجع السابق ص 214 انظر تاريخ الطبري ج 5 ص 97 .

الأسرة في الشّريعة الإسلاميّة
الزّواج الإسلامي

للأستاذ العربي الغساسي

- 3 -

ان الزواج ضرورة انسانية ، دعت اليه مطالب الحياة ، واقتضته طبيعة الاجتماع ، وهو اساس السعادة واصل الطهارة ، عليه تتوقف الاسرة ، اذ به تتكون ومنه تنمو ، وهو الذى يحوطها بسياج البقاء ويحفظها من التصدع والاضمحلال ، حيث تتوثق به العلاقة بين المرء وزوجه ، ويخلص كل منهما الى الآخر باذلا جهده فى سبيل معونته واسعاده ، ومن العسير أن تستقيم الحياة البشرية وتعتدل وتطمئن ، اذا كانت علاقة الرجل والمراة غير مستقرة، لان هذه العلاقة هي التي يقوم عليها بناء العمران كما يقوم عليها بناء الاخلاق الانسانية .

وفى نطاق اهتمام الشريعة الاسلامية بالاسرة والعناية بها لتحقق غرضها وتنتج ثمرتها اعتنت بالزواج وباقامة العلاقة بين الرجل والمراة على اساس من حقائق الفطرة بحيث لا تضطرب ولا تتأرجح ، ولا يكتنفها الغموض فى زاوية من زواياها كما سنبين :

الزواج عند الغربيين

وقبل ان نتحدث عن نظرية الاسلام فى الزواج واهتمامه بما يكفل للحياة الزوجية الاستقرار والمودة والرحمة ، يجدر بنا ان نجتزىء بالتخبطات التى تداولت المجتمع الاوربي فى نظريته الى الزواج منذ عهود الامبرطورية الرومانية التى على اساس حضارتها تقوم الحياة الاوربية المعاصرة فلقد تأرجحت العلاقة بين الرجل والمراة بين اعتبارها علاقة حيوان ، الى اعتبارها دنسا ورجسا من عمل الشيطان الى اعتبارها مرة اخرى علاقة حيوان بحيوان .

اما ان المراة صانعة الجنس البشري وانها حارسة العش التى تدرج فيه الطفولة ، وانها الامينة على انفس عناصر هذا الوجود ، فهذا ما لم يعتدل به الميزان قط فى مناهج الجاهلية القديمة او الحديثة . فالرومان الذين تسنموا ذروة المجد والرقي فى العالم بعد اليونانيين لما ظهروا على مسرح التاريخ كان الرجل رب الاسرة فى مجتمعهم ، له حقوق الملك كاملة على أهله واولاده بل بلغ من سلطته فى هذا الشأن ان كان يجوز له حتى قتل زوجه وبيع اولاده فى بعض الاحيان ، ولما تقدموا خطوات فى سبيل المدنية والحضارة تخففت القسوة فى تلك السلطة ، وجعلت الكفة تميل الى الاستواء والاعتدال شيئا فشيئا ، ثم اخذت نظريتهم فى النساء تتبدل بتقلبهم فى منازل المدنية والحضارة ، وما زال هذا التبديل يطرا على انظمتهم وقوانينهم المتعلقة بالاسرة والزواج الى ان انعكست الحال راسا على عقب ، فلم يبق لعقد الزواج عندهم معنى سوى انه عقد مدني فحسب ، ينحصر بقاؤه على رضى المتعاقدين ، واصبحوا لا يهتمون بتبعات العلاقة الزوجية الا قليلا، ثم منحت المراة حق الملك ، وجعلها القانون حرة لا سلطان عليها للاب ولا للزوج ولم تصبح النساء مستقلات بشؤون معايشهن فحسب ، بل دخل فى حوزة ملكهن وسلطانهن جزء عظيم من الثراء القومي، فكن يقرضن أزواجهن بأسعار الربا الفاحشة مما يعود به أزواج المثريات من النساء عبيدا لهن فى ميادين

العمل والواقع ، وكانت المراة الواحدة تتزوج رجلا بعد آخر ، وتمضي فى ذلك من غير حياء ، ثم بدات تتغير نظرتهم الى العلاقات والروابط القائمة بين الرجل والمراة من غير عقد مشروع ، وقد بلغ بهم التطرف فى آخر الامر أن جعل كبار علماء الاخلاق منهم يعدون الزنا شيئا عاديا ويجهرون بجواز اقتراف الفحشاء .

ومن هذه الاباحية المطلقة ، والشهوانية العارمة ، واعتبار اللذة غاية التقاء الزوجين التى لا غاية وراءها ، من هذا الطرف القاصي انتقلت أوربا بواسطة الكنيسة الى الطرف القاصي الآخر الى الرهبنة والى الفرار من المراة والى مهانتها فى الوقت ذاته وازدرائها ، فمن نظريتهم الاساسية فى هذا الشان ان العلاقة الجنسية بين الرجل والمراة هي نجس فى نفسها ، يجبأن تجتنب و'و كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع ، وهذا التصور الرهبني للاخلاق الذى كانت جذوره تكاد تتاصل فى اوربا ، جاءت المسيحية فزادته شدة وبلغت به منتهاه ، حتى اصبحت حياة العزوبة مقياسا لسمو الاخلاق وعلو شانها ، كما صارت الحياة العائلية علما على انحطاط الاخلاق وجعلوا يعدون تجنب الزواج من امارات التقوى وكمال الاخلاق ، واصبح من المحتوم لمن يريد ان يعيش عيشة نزيهة الا يتزوج اصلا او لا يعاشر امراته معاشرة الزوج لزوجته على الاقل ، وما آلوا جهدا فى ان يثبتوا فى قلوب الناس الشعور ببشاعة العلاقة الزوجية ، حتى بلغ من تاثير هذا التصور الرهبني ان تكدر صفو ما بين افراد الاسرة والعائلة من الاواصر ، وحتى ما بين الام والولد منها اذا امسى كل قرابة وكل سبب ناتج عن عقد الزواج يعد اثما وشيئا نجسا ، وكان لذلك مفعوله القوي ونفوذه البالغ فى القوانين المعينة ان اصبحت الحياة الزوجية مبعث حرج وضيق للرجال والنساء .

وفى خلال القرن التاسع عشر ظهر فرويد ، وكارل ماركس ، وكانت توجيهاتهما منصبة على تحقير الانسان بشتى الطرق ، وادى هذا التحقير الى التاثير فى العلاقات بين الجنسين بتحطيم كل قوائم الاخلاق واطلاق الجنسين حيوانين يلتمسان الشهوة واللذة لذاتهما ، حتى الهدف الحيواني من حفظ النوع بالنسل لم يعد الاناسي فى اوربا وامريكا ينظرون اليه الا على انه قيد يحد من حرية الاختلاط الجنسي ، ويحمل الذكر والانثى تبعات لا يريد ان يتحملاها ، فاصبح همهما هو التخلص من آثار اللذة بعد الالتقاء الجنسي بمنع الحمل ، او بالاجهاض ، او بواد الوليد .

وهكذا يتضح مدى التخبط والاضطراب فى النظرة الى الزواج عند الغربيين ومدى التارجح بين الرجل والمراة ، هذا التارجح الذى لم يعتدل به الميزان قط لوضع كل شطر من شطري النفس الواحدة فى مكانه الحقيقي .

الزواج فى الاسلام

اما الاسلام الذى جاء ومعه سعادة البشر وتنظيم مجتمعاتهم والذى لقنهم من الاداب والاخلاق ما يكفل للانسانية بقاء سعيدا او حياة مطمئنة ، فقد صورت شريعته ــ التى هي شريعة النظام القويم والحزب الوسيط بين جحود المتنطعين وجمود المتخلفين ، قال تعالى : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله » ، وقال : « وكذلك جعلناكم امة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » .

لقد نظر الاسلام الى الزواج نظرة لا يكتنفها الغموض والتارجح بين الجنسين ، ولا يشوبها ذلك التخبط الذى شقيت به البشرية فى اطوارها المختلفة وهي تتخذ لنفسها مناهج تقوم على الجهل والهوى والضعف فى اطوارها المتلاحقة ، وانما نظر اليه نظرة سامية فيها عوامل كثيرة تتحقق بها السعادة وتتأكد بها الروابط ، فيها المادية المعقولة والروحانية المعقولة ، فيها المصالح المشتركة التى تنهض بها البيوت وتسعد بها الاسر ، اذ جعله علاقة متينة بين الرجل والمراة ، ورباطا مقدسا بينهما ، وصلة وثيقة تتحد بها نفسان وتتصل اسرتان ، وشركة روحية تهذب الخلق ، وتكفل المودة والرحمة فى قافلة الحياة الطويلة ومسيرتها ورسالتها ، فالدين الاسلامي يريد من المراة فى الزواج أن تكون للرجل زوجة تعفه وتحصنه ، وتدبر شؤونه فى اخلاص ووفاء ، وتكون له رداء فى الشدائد ، وعونا فى الملمات والنائبات ، واما لاولاده تحسن تربيتهم وتعدهم للدين جنودا مخلصين وللوطن ابناء عاملين . ومن الرجل ان يكون للمراة زوجا يعفها ويحصنها ويقوم

بنفقتها ويؤدي لها حقوقها ، وان يكونا معا نفسا واحدة ذات صورتين رجل وامراة ، وما ابلغ قوله تعالى يمثل لنا صورة هذا الاتحاد والامتزاج بين الزوجين : « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » ، فقد شبهت الآية الكريمة كلا من الزوجين باللباس لان كلا منهما يستر الآخر ، فحاجة كل منهما الى صاحبه كحاجته الى الملبس ، فان يكن الملبس لستر معايب الجسم ولحفظه من عاديات الاذى ، وللتجمل والزينة، فكل من الزوجين لصاحبه كذلك يحفظ عليه شرفه ويصون عرضه ، ويوفر له راحته وصحته، فالرجل يفضي الى المراة بخوالج نفسه وخواطر فكره ورغبات قلبه ، وهي كذلك تبادله ذلك الاحساس ، وتطارحه ذلك الشعور ، وكل منهما يرى من الآخر ادق مواضيع البدن ويطلع على دخائل صاحبه وطواياه ، وليس ثمة اية صلة تماثل هذه الصلة ، واية رابطة تشبه هذه الرابطة ، انها الرابطة التى تشعر كلا من الزوجين بأن البيت بالنسبة له بين صحراء الحياة ومتاعبها ، كالواحة الظليلة الوارفة بالنسبة لمن انقطع به الطريق فى الصحراء .

فالزواج نعمة جديرة بالشكر لله والثناء عليه ، وما ابلغ قوله تعالى ممتنا على عباده : « ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون»، والمودة والرحمة اساسا هذه الحياة الزوجية، واساسا ذلك الاختلاط وتلك العشرة ، وقد نبهت الآية الكريمة كلا من الرجل والمراة الى ان من اعظم دلائل قدرة الله وآيات كرمه ان خلق للرجل زوجة من جنسه ليسكن اليها وجعل بين الزوجة وزوجها مودة حب ورحمة عطف ثابتتين لا تبليان كما تبلى مودة غير الزوجين ممن الفت بينهما الشهوات ، وليس المقصود الاول بالسكن فى الآية الكريمة سكن العاطفة العارضة ، او الشهوة التى الفت قضاء الوطر فى الصلة الجنسية ، بل هو سكن روحي ، قال فخر الدين الرازي : « يقال سكن اليه للسكون القلبي ، وسكن عنده للسكون الجسماني » ، لان كلمة عند جاءت لظرف المكان وذلك للاجسام ، وكلمة الى جاءت للغاية وهي للقلوب ، وما دام السكن روحيا — او قلبيا كما يقول الرازي — فهو سكن سر خلق فى انسانية الرجل ينشد تمام نظامه بالاتصال بالطرف الآخر المستكين فى كيان المراة .

وقد امر الاسلام بالعمل على الاحتفاظ بروح المودة والمحبة بين الزوجين ، وذلك بالاخلاص والوفاء والتسامح والنظر الى القيم الادبية التى تتحقق بها سعادة الاسرة قال تعالى : « وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لا يفرك مومن مومنة ان كره منها خلقا رضي منها خلقا آخر » .

ومن ذلك نرى ان الزواج فى الاسلام هو الزواج الانساني فى وضعه الصحيح فهو سكن نفساني وواجب اجتماعي المحافظة على بقاء النوع الانساني وصيانته من الاضطراب ، والفساد الخلقي والانحلال الادبي ، ولذلك رغب فيه الشارع الحكيم وحث عليه فى كثير من مقاماته ، وحديثه فى هذا الجانب يشف عن تقديره للزواج وعن سلامة كيانه حتى لا تلحق المضرة كل واحد اذا بقي فى عزلته عن التزوج ، فقد كان فى خطاب القرآن الكريم فى تدبير الزواج امرا موجها الى افراد الامة لتسيره قال تعالى : « وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم ، ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » ، ففى هذا خطاب للاولياء بأن يزوجوا العزاب من النساء والرجال ، والا يكون فقرهم داعيا للحيلولة دون تزويجهم لان الله قد تكفل باغنائهم من فضله وقد حض عليه الرسول فى كثير من احاديثه يقول عليه السلام : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج » ، وقال : « من رغب عن سنتي فليس مني » . والزواج سنة النبيئين والمرسلين اذ كان لهم زوجات وذريات طيبة ، وفى الحديث : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعكاف بن وداعة الهلالي : الك زوجة يا عكاف ؟ قال : لا ، ولا جارية : قال : وانت صحيح موسر ، قال : نعم والحمد لله ، قال : فانت اذن من اخوان الشياطين ، اما ان تكون من رهبان النصارى فانت منهم ، واما ان تكون منا فاصنع كما نصنع ، وان من سنتنا النكاح شراركم عزابكم ، واراذل موتاكم عزابكم ، ويحك يا عكاف تزوج ، قال : فقال عكاف لا اتزوج حتى تزوجني من شئت ، قال، فقال صلى الله عليه وسلم : فقد زوجتك على اسم الله والبركة كريمة بنت كلثوم الحميري » . وبهذا يتبين انه لا رهبانية فى الاسلام ، وان الرهبانية التى ابتدعها اولئك الاباحيون واعتبروها عبادة وما هي بعبادة قد نهى عنها الاسلام لان فى الاعراض عن سنة الزواج التى شرعها الله لعباده قتلا لروح العفاف ، وحرمانا للامة من النسل الصالح، واطفاء لنور الحياة الزوجية .

اثر الزواج الشرعي في حياة الاسرة

ان الزواج المؤسس على المنهج الذى ارشد اليه الاسلام يبني الاسرة على تقوى من الله ورضوان ، لانه يضمن لها سعادة المستقبل ويحقق لها الهناء الدائم وهو سبب الولد الذي ان حسنت تربيته ، وكمل تهذيبه كان قرة عين ابويه فى حياتهما ، وذكرا طيبا بعد وفاتهما ، والزواج الى ذلك يذهب بنزوات الشر، ونزعات الشباب وجموحه ، ويحد من غلواء الشهوة ويخفف حدة العاطفة الجنسية ومهما يبلغ الشباب من الطيش والنزق ، فان الزواج هو علاج طيشه ودواء نزقه ولا يفتأ الشاب بعد الزواج ان يفكر بعقل الشيخ وينطق بحكمته ويدبر اموره بروية ، ويحفظه من التورط فى العلاقات الفاسدة ، ويشعره بالعمل مستعذبا ما فيه من مشقة وتعب ، فما الحياة الا الحياة العاملة الناصبة التى تعقبها النتائج السارة والعواقب المرضية .

ويتم فى الزواج التقاء انسان بانسان كالتقاء فكر بفكر ، ينجم عنه ثمار معنوية لا محالة ، فتلاقي الافكار ينجم عنه معان جديدة موصولة النسب باصلها المعروف وتلاقى الخصائص الانسانية يثمر لا محالة ما اشار اليه القرآن الكريم من المودة والرحمة وما اليهما من ثمار انسانية راقية .

وبالزواج يشعر الانسان بالمسؤوليات فيتدرب على تحملها والقيام بأعبائها ، وبقدر ما يعظم تدريبه ويتسع لديه نطاق التفكير والنظر فى التدريب ، فيجد السبيل الى ما يجب ان يشارك فيه من تحمل المسؤوليات الكبرى التى تتصل بأسرته الوطنية ، واقرب ما يوحي بهذا من كلام الله قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام » .

وبالزواج تستأصل جذور العادات ، وتقطع دابر الخصومات فكم بيوت اصبحت بالزواج بيتا واحدا ، وكم شخص كان فريدا مهيض الجناح لا عضد له ولا نصير فلما تزوج عز جانبه ، واشتد ازره ، فالقرابة والمصاهرة توامان بهما يرتبط بنو الانسان ويتعاونون على مرافق هذه الحياة ليعيشوا عيشة راضية ويحيوا حياة طيبة تحقيقا لقول الله تعالى : « يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

فللزواج اذن أثر كبير فى الاسرة ، وله مصالح كثيرة لها قيمتها فى احياء فضيلة العفة وتخفيف متاعب الحياة ، ولولاه لانفرط عقد المجتمع الانساني، وانعدم النسل الصالح القوي ، وانتشر بين الناس كثير من الامراض الاجتماعية المؤدية الى الخراب والهلاك . فلهذه المكانة السامية التى يحتلها الزواج الشرعي فى حياة الفرد والاسرة والمجتمع نوه القرآن الكريم بشأنه ، وجعله ميثاقا تتحمل الضمائر مسؤوليته وتكافح جهدها فى سبيل المحافظة عليه، وهو لا يكتفي بجعله ميثاقا كيفما يكون تعتريه الرقة وخفة الميزان ، بل جعله ميثاقا غليظا وعهدا قويا يتعذر حله فيربط القلوب ويندمج به كل من الطرفين فى صاحبه .. والى ذلك يشير القرآن الكريم بقوله : « وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا » . وكلمة ميثاق فى التعبير القرآني تأخذ مكانتها حيث يأمر الله بعبادته والاخذ بشرائعه واحكامه، وبذلك ندرك تلك المكانة التى وضع الله الزواج فيها ، وجعله فى التعبير عنه صنوا للايمان بالله وشرائعه وأحكامه .

واذا كان الله تعالى فى شرعه انما يرعى المستوى الرفيع اللائق بالمكان الذى قرره للانسان فى الكون، وما حباه من اسباب التكرمة والفضل فى الحياة الزوجية فجدير ان يمدنا ذلك باسباب الطموح ، وان يثير فينا حوافز الهمم لندرك ما نحن اهل له عند الله من رفعة المنزلة وشرف الخصائص ، والعبرة بان نوفر للزواج ظروفه النفسية ، او شرائطه التى يعمل فى نطاقها ، فيؤتى من الثمر ما قدر له ومن تلك الشرائط او الظروف ما يأتي :

1) ان يكون التقاء الطرفين على السنة المشروعية وهي التى يتوفر معها شعور الانسان بكرامة الصلة ، وتصونه من التحلل والابتذال ، وهو شعور صالح ، يؤازر قانون الزوجية ويقية الآفات العارضة ولذلك لا نجد بين المتخاذلين والمتسافحين من علائق التراحم والمودة ما بين المقترنين على السنة الحلال المشروعة .

2) ان يتوفر للزوجية روابط وجدانية اصيلة ، لا يتصور قيامها بدونها ، منها : الرغبة العميقة فى الاستمرار وتبادل الاحساس بحاجة كل منهما الى الآخر ، فاذا انتفى ذلك ، انتفى روح الزواج وحقيقته، وآل ما بينهما الى مجرد صلة تحمل سمة الشرع فقط ، لقضاء ما لغريزتهما من مآرب الجنس .

3) ان يحيطا علاقتما الزوجية بجو روحي من الوقار والقداسة ، كأن يدركا ان الزواج اريد لثمر علوي ليس من شـأن الارض ان تثمره ، فان في ادراك هذا المعنى وما يصحبه من شعور الثقة يزكي جوهر النفس في ضميريهما ويثير فيه خصائص الكمال .

ولعل افضل نموذج جمع كل ذلك هو ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته ام المؤمنين سيدتنا خديجة رضي الله عنها ، فقد كان احساس كل منهما بجمال صاحبه بالغا ذروة الاعجاب والسرور ، فلم يكن لجمال الحس ولا لفارق السن اثر في توثيق العلاقة بينهما ، فلقد كان ما يطالع كل منهما في صاحبه في جمال النفس ، تلك الرابطة الوثقى التي تزيد على الايام تقديرا حتى جاءت الرسالة فتمت بها نعمة الحياة الزوجية، فاذا التمست السكن فالتمسه يوم عاد اليها ترجف بوادره وقد فجأه الوحي يقول : « انك لتصل الرحم ، وتقري الضيف وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الحق ، واذا التمست الود والرحمة فسيرتهما قبل الرسالة وبعدها احفل ما تكون بمثلهما وآياتهما .

— يتبع —

تازة — العربي الفساسي



في ذكرى مولد الرسول الأعظم

للأستاذ محمد نعيم عكاشة

مع مطلع شهر ربيع الاول تتحرك مشاعر المسلمين في مشارق الارض ومغاربها تحية واكبارا لمولد نبي الاسلام محمد بن عبد الله الذي اختاره الله تعالى واصطفاه من خلقه ليخرج الناس من الظلمات الى النور ، ومن الضلال الى الهدى ، ومن الجهالة الى العلم والعرفان.. ففي مثل هذه الايام منذ اربعة عشر قرنا ويزيد ، وعلى الغالب المشهور الثاني عشر من شهر ربيع الاول عام الفيل الموافق 20 ابريل سنة 571 ميلادية اشرقت الارض بنور ربها ، وزغردت السماء ابتهاجا بمولد محمد بن عبد الله في مكة البلد الحرام ..

روى البيهقي عن فاطمة الثقفية انها قالت : لما حضرت ولادة النبي – عليه الصلاة والسلام – رأيت البيت حين وضع قد امتلأ نورا ، ورأيت النجوم تدنو حتى ظننت انها ستقع علي .. وقيل أن أمه حين وضعته رات نورا ظهرت به قصور الشام قرأتها وهي في مكة .. وقالت الشفا ام عبد الرحمن ابن عوف : لما سقط محمد على يدي واستهل ، سمعت قائلا يقول : رحمك الله ! واضاء له ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت ..

وفي ليلة ولادته شهد الوجود آيات باهرات على علو شانه .. فقد زلزلت الارض زلزالا شديدا سقطت من أثره الاصنام التي حول الكعبة من مواضعها ، وتهدمت كنائس وبيع ، وانشق قصر كسرى ووقعت اربع عشرة شرفة من الايوان ، وانطفأت النار التي كان يعبدها مجوس فارس ، وانهدمت الكنائس حول بحيرة (ساوة) طبرية بعد ان غاضت مياه البحيرة ..

صباه وشبابه :

ولد محمد بن عبد الله يتيما فكلاه الله بعنايته وعصمه من ضلال الشرك وعبادة الاوثان ، واعده لاكبر رسالة آلهية الى العالمين .. « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » ..

اشتهر بالامانة والصدق بين عشيرته فلقبوه بالامين الصادق .. وكان مثالا يحتذى في الاستقامة والخلق وعفة النفس .

يقول « ميور » في كتابه (حياة محمد) : « ان جميع المراجع التي بين ايدينا متفقة في وصف محمد في شبابه بانه كان محتشما في سلوكه ، طاهرا في آدابه النادرة بين اهل عصره » ..

علامات شانه ومستقبله :

واحاطت بنشأته المبكرة ظواهر وعلامات تدل على ما له من شانه وما ينتظره من مستقبل خطير .. منها ما رواه المؤرخون : ان ابا طالب عم محمد بن عبد الله شقيق ابيه، وهو الذي كفله بعد جده عبد المطلب ، خرج في تجارة الى الشام وخرج معه محمد

وسنه تسع سنوات ، ولما وصلا الى بصرى وهي بلاد الشام ، رآه راهب اسمه في كتب السيرة بحيرا ، وقد قال الراهب لابي طالب ان لابن اخيك هذا لشأنا !..

وكانت صفاته في شبابه تدل على علو نفسه واهتداء عقله ، ورقة قلبه ، ورحمته وعفوه ، ولطفه وحكمته .. وانه ليس على سنن قومه فيما اعتادوه من وثنيات وعادات سيئة .. لا يشرب الخمر .. ولا يلعب الميسر .. ولا يسجد لصنم .. ولا يشترك في حج جاهلي .. روى ابو جعفر الطبري عن علي بن ابي طالب انه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لما نشأت بغضت الي الاوثان ، وبغض الي الشعر ، وما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون به الا مرتين ، كل ذلك يحول الله بينه وبين ما اريد من ذلك ، ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته : قلت ليلة لغلام كان يرعى معي ، لو ابصرت لي غنمي حتى أدخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب ، فقال : ادخل ، فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكه سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس ، فرجعت ولم اقض شيئا ، ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ، ثم لم اهمم بعد ذلك بسوء ..

حكمته .. وسداد رأيه :

ذكر المؤرخون ان محمدا بن عبد الله وسنه خمس وثلاثون سنة حضر بناء الكعبة واشار برأي سديد حسم النزاع في خصومة كادت تنتهي الى حرب ، وذلك ان السيول الجارفة صدعت بناء الكعبة في اوائل القرن السابع للميلاد ، واتفقت قريش على ان يهدموها ويجددوا بناءها ، وتواصوا بان لا ينفقوا في بنائها الا مالا حلالا ، فهدموها حتى وصلوا الى اساس اسماعيل ، ثم شرعوا في البناء على قواعده . وكان محمد بن عبد الله وعمه العباس ابن عبد المطلب من العمال في هذا البناء : العباس يحمل الحجر وهو ينقله على كتفه الى موضع البناء. ولما وصلوا الى مكان الحجر الاسود اختلفوا فيمن يمتاز بشرف وضعه في مكانه ، واشتد النزاع بينهم حتى كاد يؤدي الى فتنة فعرض عليهم احد رؤسائهم ان يحكموا بينهم اول قادم عليهم، فرضوا ، وكان اول قادم هو محمد بن عبد الله ، فقالوا : رضيناه ، هذا الامين ، فوفق الى حكم حسم النزاع وارضى الجميع ، ذلك ان بسط رداءه ووضع الحجر فوقه ، وطلب من رؤساء القبائل ان يمسك كل رئيس بطرف منه ، وطلب منهم ان يرفعوه حتى اذا حاذى موضعه اخذه بيده ووضعه في مكانه ، وكان هذا الحكم من توفيق الله له ، وقد ارضاهم جميعا ، وزاد محمدا في نفوسهم قدرا ..

الوحي .. وقوة العقيدة :

ونزل عليه الوحي وقرا وما كان بقاريء .. قرا ما اوحي اليه ، وجمع عشيرته الاقربين يسألهم هل جربوا عليه الكذب قط ؟ فاجابوا جميعا بلى .. فقال لهم اني رسول الله اليكم خاصة والى الناس عامة .. وكان قد آمن به من قبل زوجه خديجة وكذلك زيد ابن حارثة وعلي بن ابي طالب وابو بكر الصديق ، وعثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، والارقم بن الارقم وغيرهم .. وناصبته قريش العداء .. آذوه وسفهوه ، ثم شكوه الى عمه ابي طالب فنصح له ، فقال الرسول :

— والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان اترك هذا الامر ما فعلت حتى يظهره الله او اهلك دونه .

.. هكذا يعطينا صلوات الله وسلامه عليه المثل فيما ينبغي ان يكون عليه المرء من قوة العقيدة والاستمساك بالحق وعدم التفريط فيه ..

واشتد اذى الكفار للرسول واصحابه فكان يقابله بالصبر والجلد حتى هيأ الله له ميدانا جديدا لدعوته في يثرب وهناك انتشر دينه وعلت كلمته وانجز الله له وعده فنصره وايده .. وقامت اول دولة اسلامية على الاخاء والمساواة والعدل .. لا مكان فيها لعصبية او قبلية ، ولا تنابز بالالقاب ولا تفاخر بالانساب او اعتماد على الآباء والامهات .. لا فرق بين عربي وغير عربي ولا بين ابيض واسود بل الكل فيها سواء .. يقول صلوات الله وسلامه عليه : « الناس سواسية كاسنان المشط ، لا فضل لاحمر على اسود ، ولا لعربي على اعجمي الا بالتقوى » .. ويقول : « من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه » ..

مــن أخلاقــه وتواضعــه وحلمــه :

ثم ماذا وماذا اتحدث .. اتحــدث عن مكــارم اخلاقه وقد وصفه ربه فى كتابــه العزيــز بقولــه : « وانك لعلى خلق عظيم » .. أم اتحدث عن فضائله ومثله التى يقف امامها كل انسان اجلالا واكبارا وما انا بمستطيع فى عجالة كهذه وقد فاضت بها عشرات الكتب .. ان محمدا عليه الصلاة والســلام جمــاع الفضائل الانسانية كلها .. عاش ازهد النــاس فى الدنيا واكثرهم تقشفا .. يأكل يوما ويجوع يوما، ما شبع من خبز شعير يومين متواليــين ، وكان يمــر الشهر ولا توقد نار فى بيته ان هو الا التمر والماء .. ينام على فراش خشن او حصير ، وغيره ينعم على الديباج والحرير ، وهو الذى عرضت عليه بطحــاء مكة ان تكون ذهبا فقال : يا رب : ولكن اجوع يوما واشبع يوما ، فان جعــت احتملــت وصبــرت وان شبعت حمدت وشكرت » ..

لم يجمع لنفســه مالا مما يظفر به من الغنائــم بل كان يسارع الى منحه للمحتاجين ويخشى ان يبيت عنده منه شيء ، وآثر ان يعيش فقيرا يحتمل الأذى ويكابد المشــاق فى سبيل هداية الناس .

قالت ام سلمة .. زففت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فما وجدت فى حجرتــي الا حصيــرا ورحا وقعبا فيه قليل من لبــن وقدحا فيه شعيــر فطحنت الشعير وعصدته في اللبــن ، وهكذا كان طعامي وطعام رسول الله فى ليلة الزفاف .

هذا هو محمد الذى انتقل الى الرفيق الاعلى ودرعه مرهونة عند يهودي لطعام اهل بيته .. عاش فقيرا .. ومات فقيرا ، ولم يترك دينار ولا درهما ولا شاة ولا بعيرا ..

اما عن تواضعه فما ابلغه حينما رآه رجل من الاعراب فتهيبه وارتج عليه فلم ينبس ببنت شفة ، فابتسم عليه السلام فى وجهه وقال : « هون عليك فانا ابن امراة كانت تأكل القديد بمكة » ..

وكان يكره ان يسمع مدحه واطراءه ويقــول : « لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى ابن مريم ، انما انا عبده فقولوا عبد الله ورسوله » ..

وأي حلم اكثر من ذلك .. جاء زيد اليهودي يتقاضاه دينا له عليه واغلظ في المطالبة وقال انكم يا بني عبد المطلب قوم مطل ، هم به عمــر وانتهــره واغلظ له القول ، فابتسم الرسول وقال لعمر : انا وهو كنا الى غير هذا منك احوج يا عمــر : تأمرنــي بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ، ثم قال : لقد بقي من اجله ثلاث ، وامر عمر ان يقضيه حقه ويزيده عشرين صاعا لما روعه . فقــال اليهــودي : اشهد انك رســول الله ، ان من علامــات النبــي ان يسبق حلمه غضبه ..

ماذا اذكر .. وماذا .. والسيرة النبوية العطرة تعبق الوجود بمسكها الطيب ، ومباديء الانسانيــة التي اطلقها الاسلام تبعث فى العالم حضارة وتمدنا .. ان الوجدان يخفق بالاحاسيــس .. والنفس تزدحــم بالمشــاعر كلما تجددت ذكرى مولدك الشريف .. يــا اكرم نبي ويا اعظم رســول ..

ثم ماذا قال الاجانب فى محمد صلــى الله عليه وسلم .. وكيف زكوا عظمته :

يقول بودلي فى كتابه « حياة الرسول محمد »:

ان سيرة محمد واضحة كل الوضوح . ففيها نجد التاريخ الحقيقي الذى لا ابهام فيه ولا غموض ، ونعرف الشيء الكثير عن محمد كما نعرف عن رجال اقرب ما يكونون من عصرنا .

« فلم يكن تاريخــه الخارجــي ولا حياتــه فى شبابه وبين اقاربــه خرافــة من الخرافــات ، ولا اسطورة من الاساطير ، ولا شائعة من الشائعات .

« وما كان تاريخه الداخلي بعد أن اعلن رسالته رواية مبهمة لداعية غامض ، بل بين ايدينــا كتــاب معاصر وحيد فى سلامته لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » ..

.. ويقول كانون سل فى كتابه (حياة محمد) :

« كان محمد فى حياته بسيطا فى عاداته جذابا فى أحواله مع اصحابه ، رحيمــا بفطرتــه الا مع اعدائه . هذه الخصــال تنضم اليها روحه المتوقدة ، وعقيدته الواضحة فيما هو بصــدده من الدعــوة ، وعزيمته التى لا تعرف الملل فى تنفيــذ ما امر به ، واكرامه الطبيعي لاولئك السابقين الى التصديق به فى مبدأ دعوته . هذه بعض صفات محمد ما امتاز به فى خلقه » .

.. ويقول اوفنج فى كتابه (حياة محمد) :

« كان محمد فى معاملاته الخاصة مثالا للعدل والوداعة ، فكان الناس عنده سواسية فى تطبيق العدالة ، لا فرق بين مسلمين وغير مسلمين ، من يعرفهم ومن لا يعرفهم ، ولا فرق بين غنيهم وفقيرهم ، قويهم وضعيفهم ، لذلك احبه الناس جميعا لبشاشته التى يعاملهم بها ، ولاصغائه عند كل شكاة يقصونها » .

.. ويقول السير وليام فى كتابه (حياة محمد) :

« ومن سمات محمد الجديرة بالتنبيه دماثة خلقه ورقة طبعه التى كان يعامل بها اتباعه حتى أقلهم شأنا ، وما عرف به من التواضع والرأفة الانسانية والصبر ونكران الذات والسخاء ، فلقد تغلغل كل ذلك فى نفسه فوثق من محبة اصحابه ومن حوله ، وكان ابغض شيء اليه قول « لا » ، فاذا عجز عن اجابة مطاب لطالب لجأ الى الصمت والسكون .

ويقول الدكتور جوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) :

« اذا ما قيست قيمة الرجال بجليل اعمالهم فان محمدا كان من اعظم من عرفهم التاريخ

« انني لا ادعو الى بدعة مستحدثة ، ولا الى ضلالة مستهجنة ، بل الى دين عربي قويم ، اوحاه الله الى رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان امينا على رسالته ، حريصا على بث دعوته بين قبائل رحل تلهث بعبادة الحجارة والاصنام ، وتلذذت بترهات الجاهلية ، فجمع صفوفهم بعد ان كانت مبعثرة ، ووحد كلمتهم بعد ان كانت متفرقة ، ووجه انظارهم لعبادة الخالق ، فكان خير البرية على الاطلاق حسبا ونسبا وزعامة »

.. ويقول مونتيه فى كتابه (محمد والقرآن):

« ان طبيعة محمد صلى عليه وسلم ـ الدينية تدهش كل باحث مدقق نزيه القصد بما يتجلى فيها من شدة الاخلاص ، فقد كان محمدا مصلحا دينيا ذا عقيدة راسخة ، ولم يقم الا بعد ان تامل كثيرا وبلغ سن الكمال بهاتيك الدعوة العظيمة التى جعلته من اسطع أنوار الانسانية فى الدين . ولقد جهل كثير من الناس محمدا (صلى الله عليه وسلم) وبخسوه حقه ، وذلك لانه من المصلحين النادرين الذين عرف الناس أطوار حياتهم بدقائقها » .

نفحات .. ولمحات من حياة نبي الاسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ما احرانا اليوم ونحن نستقبل ذكري مولده الشريف أن نستمد منه الاسوة ، ونأخذ القدوة ، وان نجعل من سيرته العطرة نبراسا يضيء لنا طريق العمل والجهاد لاعلاء لواء الدين ونشر دعوة الاسلام .

ج٠ م٠ ع ـ محمد نعيم عكاشه

المسلمون بحاجة إلى .....

للدكتور إبراهيم على أبو الخشب

ما من شك فى ان المسلمين ــ هنا وهنالك ــ وفى كل مكان يعيشون فيه ، أو ارض يعمرونها ، او حيز من الفراغ يملؤونه ، يتذاكرون فواجعهم ، ويتدارسون احوالهم ، ويودون من صميم افئدتهم لو كانت لهم العزة البالغة ، والقوة القاهرة ، والكلمة النافذة ، والسلطان الشامل ، لتسود العدالة ، ويعم الرخاء ، وترفرف راية الامان بين الناس ، فلا يشكو انسان ظلم مسلط ، ولا بغي جبار ، ولا غطرسة مستبد ، ولا طيش جاهل ، ولا استغلال مستعمر ، ولا خيانة دخيل ، ولا جناية احمق ، لان هذه كلها بعض امراض المجتمعات التى لا تنعم بتعاليم الاسلام، ولا تستظل بظله الوارف ، ولا تستمد سلوكها كله من آدابه واخلاقه ، وتكاليفه واوامره ، ولقد ظللنا منذ ذهبت امجادنا ، وذلت دولتنا ، وتفرقنا ايادي سبا ، ننوح نوح الثكالى ، ونبكي بكاء الملدوغ ، على ما اصابنا من هزال ، واعترانا من ضعف ، أو نزل بنا من محن ، مصورا ذلك كله فى خطب الجمع والاعياد، او مجالس الوعظ والارشاد ، وربما ذكرنا هذا بقول بعض الخلفاء « انتم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال» وما اكثر ما يكون الكلام فى المناسبات، وغير المناسبات، وهاهي ذي اشلاؤنا مبعثرة، وقلوبنا متفرقة، وحقوقنا مهضومة ، واهواؤنا مختلفة ، وعدونا جاثما على صدورنا ، يتحكم فى مواردنا ، ويستأثر بثرواتنا ، وليس لنا معه الا ما يكون لعبيد الخدمة من اسيادهم الذين يصدرون لهم الاوامر والنواهى ، ويطلبون منهم ما يطلبه المالك من المملوك ، وفى كثير من الاحوال ينازعنا مجد هذا الدين الذى اختاره لنا الله سبيلا الى الكرامة، وطريقا الى الخير ، وطبا نداوى به صعر هذا العيش ، وفساد تلك الحياة ، واعوجاج ذلك الزمن الذى يشبه ان يكون نذيرا بالنهاية المحتومة ، والقيامة المنتظرة ، والخاتمة التى لا تحمد عقباها ، وربما كان اقصى ما نهتدى اليه من علاج لتلك الحال ، او ذلك الواقع المرير ، ان نصيح هذا الصياح التقليدي ، من ضرورة العودة الى الاسلام ، والاخذ بدساتيره ونظمه ،لكننا فى هذه العودة ، والاخذ بالدساتير والنظم ، لا نعنى الا بما يهذب الفرد فى ذاته ، ويربط ما بينه وبين ربه ، من صلاة وهجود ، وركوع وسجود ، واعتكاف فى المسجد ، او ارتباط به ، فى حين أن هذه كلها ليست سوى اعداد للانسان لتكوين حياته للانسانية التى تتمثل فى الاسرة والبيئة والمجتمع والامم والشعوب ، ولذا كانت المهمة الاولى للنبي صلى الله عليه وسلم ان يربط بين القلوب المتنافرة ، والافئدة المتباعدة ، والاهواء المختلفة ، لتكون هذه الامة كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالحمى والسهر ، ونحن لا ننكر ان هذا الدين رباط ربط الله به بين قلوب هذه الامة وافئدتها لتكون خير امة اخرجت للناس ــ كما نطق بذلك الكتاب العزيز ــ الا أن هذا الرباط يحتاج من اهله الى حزم وكياسة ، وعقل وحكمة ، ولباقة

وذوق ، وفهم سليم ، يجعلنا نحسن الانتفاع به ، والاستفادة منه ، والاستخدام له ، وليس هذا بالامر الهين على القادة والمصاحبين ، ممن يتصدرون لوظيفة الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، لانه يقتضيهم الى جانب الفهم الصحيح لحكمة التشريع فيما جاء به هذا الدين بين الحلال والحرام ، ان يكون لهم مشاركة وجدانية ، وتفاعل بما تدور به الاحداث فوق هذه البسيطة التى يرتبطون بعجلتها ، ويدورون فى رحاها ، ثم يجتهدون على قدر ما يستطيعون لتقريب المسافات ، ورأب الصدع ، الذى يمكن ان يكون قد تخلف عن تباين الثقافات والاوطان او العقول ، ولهذا كان من الضروري الا تكون هذه الجماعة المتماكة لزمام الثقافة الاسلامية ناقصة التكوين ، ولا قصيرة الباع ، ولا جاهلة تحقيقة الفلك الذى يتحرك بهم ، واذاكان للاديب ثقافته الخاصة به ، وللغوي علومه ، وللرياضي نظرياتهم ، فان رجل الدين يجب ان يكون لهكل شيء فى الارض والسماء ، والماء والهواء ، والجماد والنبات ، والخرافات والاساطير ، وقد انبأنا التاريخ ان اسلافنا من الاساتذة كانوا لا يقفون من تحصيلهم عند حد ، ولا ينتهون من معارفهم الى غاية ، والحديث فى ذلك كله يطول ويسترسل يعرفه من ساعدته المقادير بالقراءة فى كتب التراجم والسير امثال معجم الادباء، ووفيات الاعيان لابن خلكان وغيرها من المعاجم ، ومن طريف ما جاء فيها ان اسحق الموصلي قال لحاجب الخليفة العباسي اذا دخل وفد الفقهاء فاجعلني فى زمرتهم ، واذا دخل اللغويون فاجعلني فى عدادهم، وكذلك الادباء والشعراء ، فاني لا يقصر بي جوادي ، ولا يتخلف بي جهدي ، ولا يتاخر بي لحاق ، عن واحد من اهل العلم، ولا باحث من رواد المعرفة ، مع هذا الذى يعرفه الناس عني من السبق فى الالحان والموسيقى ، والغناء والطرب ، والذى تسعده الظروف — الآن — بالارتحال الى البلاد الاسلامية المختلفة سيجد فيها من التناقضات والبلبلة والاضطراب فى فهم الكتاب والسنة ، والاخذ بآداب هذا الدين ، والانتفاع بهديه وتعاليمه ، وما يحمله على التشاؤم من مستقبل هذه الامة التى جعل الله لها القيادة والسيادة ، واراد لها ان تكون لها معلمة الامم والشعوب ، فنكصت على اعقابها ، وابت ان تحمل تلك الامانة التى عرضها على السماوات والارض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان .. ولقد كنت اتصور من ذلك الدوي الذى تحدثه فى اذني الكلمة القرآنية الكريمة « وان هذه امتكم امة واحدة » ان يكون شعورنا بالمسئولية ، واحساسنا بالالم ، وحبنا الخير ، ونهوضنا بالبناء ، ورفعنا لراية السماء ، ودفاعنا عن الحق ، وتمكيننا لدعائم البر والمعروف ، لا تؤثر فيها اعتبارات الحدود والابعاد ، والمسافات والاجناس ، واللغات والالسنة ، والالوان والتقاليد ، الا اني رايت اختلاف الاصقاع ، وتباين النظم، وتضارب المصالح ، الى جانب النزعات السياسية والانسانية ، جعلنا نشعر شعورا لا شك فيه ان العصبية للوطن او اللغة والثقافة والمصالح تطغى على ما سواها من الامور والاعتبارات ، وان هذا الدين الذى نتحدث عنه — او يتحدث الناس — حسبنا منه صيام وصلاة ، وحج وزكاة ، ولا ننظر الى تلك المعاني الاخرى التى تجعل المسلمين فى الترابط كالجسد الواحد ، او امام المسئولية سواء ، وما يشبه هذا وهذا من انهم امة واحدة ، فخيال شعراء او اوهام فلاسفة ، لا تدور براس انسان ينشد الحقيقة ، ويحيا فى دنيا الواقع الملموس .. والذي لا شك فيه ان المسلمين غرباء فى اوطانهم ، اذلاء فى ديارهم ، مغلوبون على امرهم فى كثير من الاصقاع والامكنة ، وان لهذه الاسباب والبواعث ، والامراض والعلل ، وما يحتاج الى دراسات مستفيضة ، وجهود متضافرة ، ونظر متواصل ، وعلاج دائم ، لا يكون قاصرا على جماعة او طائفة ، ولا اصحاب ثقافة دون اخرى .. وفى اليوم الذى تتعاطف فيه القلوب، وتتقارب الاهواء ، وتتلاءم الجروح ، وتتداوى تلك النفوس من عللها واوجاعها ، يشعر المسلمون شعورا لا شك فيه انهم خير امة اخرجت للناس ، وليست هذه الخيرية لانانية تعود عليهم هم بالمزيد من الفضل، او الوافر من الثروة والغنى ، والجاه والسلطان ، والارادة والنفوذ والتمكن والسيطرة ، والغلبة والتحكم ، وشريعتهم ليست شريعة الغاب ، وانما هي شريعة الرحمة والعدل والاحسان والامن والاطمئنان ، لا تحمل اهلها على العنف ، ولا تسوقهم الى الفجور ، ولا تغريهم بالسفه ، ولا تدفعهم للعدوان ، ولا تحبب اليهم الاستبداد والطيش ، والاغتصاب والظلم ، وانما تجعل فى جوارهم الاستقرار والهدوء ، والراحة والسكون ، من غير قلق ولا خوف ، وكانما قد خلق منهم سبحانه وتعالى صمام الامان لهذه الانسانية المعذبة وتستمد منهم طيب العيش ، ورغد الحياة ، وصفو الايام ،

وحسن الجوار ، اذا تجهم الدهر ، وضاقت الدنيا ، وتوالت الاحداث ، واشتد ظلام الليل .. والرسول صلى الله عليه وسلم كان يتنبأ لنا بهذا المصير اذ يقول : توشك ان تتداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة على القصاع . قالوا : امن قلة نحن يا رسول الله ، قال لا ولكنكم كثرة كغثاء السيل ، وما اظننا ننكر اننا ـ كذلك ـ كثرة كغثاء السيل ، ولابد لهذا كله من علاج ، الا ان هذا العلاج من اين يبتدىء ، وما الذى يجب ان يتناوله ، او يلم به ، وهل نضوب معين الاجتهاد فى جماعة الرواد والاساتذة وكان عاملا فعالا فى ذلك ، ام ان اساءة فهمنا لمعنى الجهاد ـ لا الاجتهاد ـ كانت هي الثغرة التى اصابنا منها الوهن والهوان .

د. ابراهيم علي أبو الخشب





الاستشراق وقضايا الاسلام وثقافته

للأستاذ محمد المنتصر الريسوني

- 11 -

الطلاق فى الاسـلام :

وهذه اضحوكـة اخرى من جملة الاضاحيـك المتعددة التي يدبرها بعض المستشرقيـن ودعـاة الصليبية والتبشير للاسلام ، وهي ادعاؤهم ان المراة فى الاسلام مهددة الكرامة ، مقيدة الحرية ، لا تملك لنفسها حياة مستقرة هادئة ، لان الزوج مسلح بسلاح خطير جدا يشهره فى وجهها متى شاء ، ويعتدي عليها بشتى الوسائل ، واخيرا يطلقها ، وحينـذاك تمسي مخلوقا لا حول له ، يعيش تحت رحمة الزوج منبوذا نبـذ نواة .

وانا الان اتساءل ، هل هذه الترهات المدبـرة حقيقة واقعة فى الاسلام ؟ هل الاسلام شرع الطلاق لهدم بنيان الاسرة المتماسكة ؟ هل هدفه التشفي من المراة وجعلها اداة مبتذلة فى يد الرجل باعتباره صاحب القوامة ؟ هل ان انحرف عن التعاليم الاسلامية اعتبرنا الاسلام مسئولا عن تصرفه الاخرق ؟ ذلك ما ساجيب عنـه وشيكا .

كان الطلاق قبل البعثة المحمدية غير مقنن ولا منظم ، الرجل يتصرف فى زوجته كما لو كانت دمية مسخرة يطلقها متى حلا له ويراجعها متى اراد دون ما قانون يحدد لكلا الطرفين مسئوليتـه ، ويحـد من تصرفات الزوج وحيله ومراوغاته ، وكذلك كان الشان عند الامة اليونانية والرومانية .

ولما جاءت الشريعة الموسوية حاولت رفـع منزلة المراة الى ما تستحقه ، بيد انها توسعـت فى اباحة الطلاق حتى ان تبثت جريمة الزنـا على امراة يجبر الرجل على مفارقتها ولو غفـر لهـا فسقهـا وخطيئتهـا .

اما الديانة المسيحية التي يدين بها الغرب فهي تستقطب فى مذاهب ثلاثة : المذهب الكاثولكـي ، والمذهب الارثوذكسي والمذهب البورتستانتـي ؛ فالمذهب الكاثولكي يحرم الطلاق تحريما كليـا ، وان حدثت الخيانة الزوجية ، فالزوجان يفترقان جسميا، ولا يحق لاحد منهما الزواج ، والا اعتبر ذلك تعددا ، ولا شك ان الكاثولكية فى رايها هذا تعتضد بما جاء فى انجيل متى (1) القائل : (لا يصح ان يفرق الانسان ما جمعه الله) (2) وبما جاء فى انجيل مرقس (3) الذي يقول : (يصبح الزوجان بعد الزواج جسما واحدا ، فلا يعودان بعد ذلك اثنين ، بل هما جسم واحد ، فالذي جمعه الله لا يفرقه الانسان) (4) .

---

(1) متى هو احد الحواريين الاثنى عشر وكان فى اول امره من جباة الضرائب فى عهد الرومان ، وانجيله من اقدم الاناجيل يرجع تاريخ تاليفه الى سنة 60 بعد الميلاد على ارجح الاقوال كتبه متى بالآرامية وبعد ذلـك نقـل الى اليونانيـة .

(2) اصحاح 19 ، آية 6 .

(3) مرقس لقبه ، واسمه يوحنا يهودي الاصل من التلاميذ السبعين على القول الراجح ، وانجيله الفـه سنة 63 او 65 على الارجح باللغة اليونانية .

(4) اصحـاح 10 ، آية 8 و 9 .

والمذهب الارثوذكسي والبروتستانتي يبيحان الطلاق في حالات، منها الخيانة الزوجية، ولكن الزواج محظور، لذلك تمرد كثير من المسيحيين على انجيلهم، لانهم راوا هذا الحجر غير موافق للحياة الانسانية، فاصطنعوا قوانين مدنية تجيز لهم ما حرم الانجيل، لكونهم وجدوا انفسهم وجها لوجه امام مشاكل حياتية جد معقدة، لا يتاتى لهم معها الفكاك منها الا اذا اذعنوا للواقع الملموس، وفي هذا الصدد يقول الفيلسوف المسيحي الانجليزي بنثام Bentham في كتابه «اصول التشريع»: (حقا ان الزواج الابدي هو الاليق بالانسان، والملائم لحاجته، والاوفق لاحوال الاسرة، والاولى بالاخذ، ولكن ان اشترطت المراة على الرجل الا تنفصل عنه حتى ولو حلت في قلوبهما الكراهية الشديدة مكان الحب لكان ذلك امرا منكرا لا يسيغه احد من الناس. على ان هذا الشرط موجود بدون ان تطلبه المراة. اذ القانون الكنسي يحكم به، فيتدخل بين المتعاقدين حال التعاقد ويقول لهما انتما تقترنان لتكونا سعداء فلتعلما انكما تدخلان سجنا سيحكم غلق بابه. ولن أسمح بخروجكما وان تقاتلتما بسلاح العداوة والبغضاء).

ثم يقول معلقا على هذا النظام (ولو كان الموت وحده هو المخلص من زواج هذا شانه لتنوعت صنوف القتل واتسعت مذاهبه) (5).

بيد ان الطلاق في الاسلام غيره في باقي الاديان انه قانون اجتماعي محكم عادل شرعه الله للانسان — لا لتشتيت عقد الاسرة كما يتوهم اولئك — متمشيا مع الواقع العقلي والنفسي والشعوري للانسانية، لهذا لم يبادر الى تحريمه — وهو يعلم سبحانه انه حتمية فطرية — فيسد بذلك الابواب امام الناس ويعيشون في تيه من الشقاء والتعاسة، وما كان رب العالمين بظلام للعبيد، وهو مصدر النور والخير، ومن اسمائه الحسنى السلام ان يشرع ما يكون مثار تنغيص وكدر لعبده.

وقد جعل الاسلام امر القوامه في يد الرجل — لا في يد المراة — فهو المسئول الاول في الاسرة، عليه تكاليفها المختلفة، وحاجياتها الضرورية، وليس من ريب في ان هذه القوامة التي استقل بها الرجل وحده لها ما يفسرها طبعا — وما ذلك باجحاف بحق المراة — اوضح تفسير وهو قوة الرجل وفحولته وصلابته بها ومعها يتسنى له تحمل المصاعب وبالتالي فكره المسيطر على انفعالاته على نقيض المراة التي لا تتحكم في عواطفها في كثير من الاحيان، وهذا اذا لا دخل له فيما يسمى عند البعض بالتعصب لجنس دون آخر، لان الفارق بينهما فسيولوجي وسيكولوجي محض سواهما الله على ذلك ليقوم كل واحد منهما بمهمته في الحياة على خير صورة يرضاها.

اذا القوامة في الاسلام ترتكز على أمرين اثنين:

أ — اضطلاع الرجل باعباء الاسرة لذلك استحق — وهذا منطقي — الاشراف على الشؤون البيتية، وعلى ضوء هذا المبدا قامت الدساتير الحديثة، وآية ذلك ان المواطن في امة من الامم هو الذي يسدد واجب الضرائب وينفق على المرفق الحيوية للدولة لهذا كان من المحتم ان يكون له الحق كل الحق في القوامة على شؤونها ومراقبة مختلف سلطاتها، وانطلاقا من هذا وضعت الانظمة البرلمانية والاستفتائية واشتهرت القاعدة المعروفة عند علماء القانون الدستوري (من ينفق يشرف).

ب — قوة الرجل ورهافة احساس المراة التي تؤهلها للحضانة والامومة.

وقد اوجز القرآن الكريم هذين الامرين في عبارة متالقة تحوي قانونا حكيما في قوله: (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم)

ونستشف مما سلف ان منهج الاسلام راعى في هذه القوامة الاستعدادات الفطرية لكل من الجنسين وخصائص كل منهما، فوزع المهام على ضوء ذلك حتى تنشا الاسرة نشاة سليمة من كل النواحي الخلقية والبدنية والعلمية. ولا ريب، ان الاسرة هي الاساس الجوهري الذي يقوم عليه صلاح مجتمع من المجتمعات الانسانية، ورقي الامة عموما مرتبط — ارتباط الشرط بالجواب كما يقول النحاة — برقي الاسرة.

وينشا ناشيء الفتيان منا
على ما كان عوده أبوه

(5) الدكتور عبد الواحد وافي — حقوق الانسان في الاسلام، ص 65 — مكتبة نهضة مصر.

وليس من هدف القوامة الاسلامية السيطرة على شخصية المرأة – كما يتوهم البعض – سيطرة تامة يمحي معها كيان الشخص في البيت او المجال الانساني لا ، ان هذا الفهم خاطىء ليس له في التصور الاسلامي ظل من الحقيقة ، وآية ذلك ان المرأة في الشريعة تتمتع تمتعا ملحوظا بحقوقها كاملة بغير نقصان سواء كانت متزوجة أو غير متزوجة ، فهي حرة في حقوقها المدنية بعد بلوغها سن الرشد اذ لها ان تقوم باجراء العقود ، والتصرف كتصرف الرجل في كثير من المجلات المالية كالبيع والشراء والاقالة والسلم والشفعة والحوالة والمضاربة والوقف وهلم جرا . والمتزوجة مستقلة كل الاستقلال عن زوجها في مالها وثروتها ، ولا يحق له البتة ان يتصرف دون رضاها ، وان بدا لها الا توكله فتختار غيره جاز لها ذلك على حين في القوانين الحديثة في الامم الراقية مثلا كفرنسا ، المرأة مغلولة في كثير من الحقوق المدنية ، وتنص المادة 217 من القانون المدني الفرنسي ان (المرأة المتزوجة حتى لو كان زواجها قائما على اساس الفصل بين ملكيتها وملكية زوجها ، لا يجوز لها ان تنقل ملكيتها ولا ان ترهن ولا ان تملك بعوض او غير عوض بدون اشتراك زوجها في العقد (موافقة عليه موافقة كتابية) (6) .

ويجدر بنا ان نعيد الى الاذهان – وهذا معروف – ان الاسلام ما ميز قط بين الرجل والمرأة في الجوهر الانساني ، فهما في تصوره سواء بسواء ، قال تعالى : (يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) وقال تعالى : (ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) ، وقال صلى الله عليه وسلم (خير متاع الدنيا الزوجة الصالحة ، ان نظرت اليها سرتك ، وان غبت عنها حفظتك) .

ولا يفوتنا في هذا الصدد ان نذكر ان المرأة الغربية المتزوجة تتخلى عن اسمها ونسبها ، وتتخذ لنفسها اسم زوجها ونسبه ، ولعمري هذا ان دل على شيء فانما يدل على مدى الرق – بلا شك – المدني الذي تعيشه المرأة الغربية وان خلعت العذار واعتنقت بجهالة عمياء عن المواضعات الاخلاقية ، ورغم هذا النظام المجحف بحقوق المرأة فان كثيرا من السيدات المسلمات يحاولن تقليد الغربيات في مثل هذه الانحرافات الشائنة فتنكرن لنسبهن وارتضين اتخاذ اسماء ازواجهن لا لسبب معقول الا لكون الغربيات يقمن بذلك ، مع العلم انهن ينادين بالمساوات بالرجال، غافلات عن ان ما يرتكبنه مناف اطلاقا لشخصيتها كامرأة لها سيادتها ومكانتها في الكون والحياة ، ومناف للحق الذي منحه اياها الاسلام ولكن – كما يقولون – اذا ظهر السبب بطل العجب وهذا السبب طبعا هو ان المغلوب مولع بتقليد الغالب .

والآن وقد عرفنا المفهوم الحقيقي للقوامة في الاسلام وجب ان ندلف الى رحاب التشريع الالهي نبحث عن تنظيماته في شان الطلاق .

عندما اباح الاسلام الطلاق نظمه ووضع له شروطا ، وهو في الاصل مكروه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أبغض الحلال الى الله الطلاق) . واوصى بعدم اللجوء اليه اول مرة ما استطاع الانسان الى ذلك سبيلا ، لذلك اقترح حلولا حفاظا على الرباط الزوجي من ان ينفصم ، ففي انفصامه تعد على الاسرة، واعتداء سافر على سعادتها وعزها وخاصة وهو ميثاق غليظ كما سماه الله تعالى في قوله : (وكيف تأخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض ، واخذن منكم ميثاقا غليظا) .

واول حل يقدمه الاسلام للزوج التدرع بالصبر، والتريث في الامر حتى وان كانت في نفس الزوج بغضة اذ قد تمر فترة تهدأ فيها حدة الغضب وتسكن سورة العاطفة ، قال تعالى : (وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) ، وقد صدق عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قال مجيبا رجلا اراد ان يطلق زوجته لانه لا يحبها (ويحك الم تبن البيوت الا على الحب ، فاين الرعاية والتذمم ؟) .

وان لم يجد ذلك فليس معنى هذا ان نسرع الى ايقاع الطلاق ، بل هناك وسيلة اخرى نتوسل بها وهي عرض المشكلة على مجلس عائلي يتألف من الطرفين للحيلولة دون وقوع الفراق اشفاقا على العش الهادىء المطمئن من ان ينهار ، قال تعالى : (وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا) .

وان تبين في الختام ان هذه المساعي الحميدة غير نافعة بتاتا اذا فالامر خطير جدا تستحيل معه الحياة الزوجية والاستقرار العائلي ، ولا يمكن بحال

---

(6) عبد الواحد وافي – حقوق الانسان في الاسلام ، ص 46 – مكتبة نهضة مصر .

ان يقوم الرباط الزوجي على اســس من التفاهــم والانسجام ، فالعلاج اخيرا الطلاق ما دامت الضرورة تستدعي هذا الفراق البغيض الذي لا محيص عنه مهما بذلت المجهودات المتنوعة ، والمراة نفسها تستنكف عن ان تظل مع زوج تحت سقف واحد يعبــث بهــا ويزدريهــا .

وبجانب تلك الوسائل الطيبة التي قدمها الاسلام للانسان هدية كريمة لصيانة الاسرة من التداعي فانه وقف مواقف اخرى مشرقة متالقة كما هي عادته في كل قضايا الانسان والكون والحياة ، وآية ذلــك ان التشريع القرآني قد قرر الطلاق مرتين وفي كل مرة للزوج الحق في ان يرد اليه زوجته ان كان رجعيا اثناء العدة ، وان كان بائنا بينونة صغرى فبموافقتها وعدلين وعقد جديد ، وفي ذلك يهتف القرآن هتافه الخالد الرحيم (الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريــح باحســان) .

وان كانت الطلقة الثالثة اذا الامر اصبح متفاقما لا يتسنى معه اصلاح الا بعد ان تتزوج غيره عن نيــة التابيد لا التوقيت ، وبعبارة الا تكون هنالك حيــل شيطانية كما يفعل البعض على طريقة المحلل التي لا تقرها الشريعة الاسلامية البتة ، بل هي تعتبر زنا محضا وتوقحا سافرا على الشرع ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لعن الله المحلل والمحلل له) ، وقد سمى المحلل التيس المستعار . والله تعالى يقول في حكم ذلك : (فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) .

وتحاشيا من الفرقة منعت وقوع الطــلاق في فترة الحيض واعتبرته بدعيا منافيا لقانونهــا اذ ان الطلاق في عرفها لا يقع الا في طهر لم يحدث فيه وطء . وروي (ان عبد الله بن عمر طلق امراته وهي حائض على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسأل عمر ابن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال عليه السلام . مره فليراجعها ، فليمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض ، ثم تطهر ، ثم ان شاء امسكها بعد ، وان شاء طلق قبل ان يمس ، فتلك العدة التي امر الله ان يطلق لها النساء) ويشير بهذا رسول الله عليــه السلام الى قوله تعالى : (يا ايها النبيء اذا طلقتــم النساء فطلقوهن لعدتهن) .

وطبعا هذه البرهة الزمنية قد تكون كافية لان يلين قلب الرجل فيراجع امراته بعد ان وجد الفرصة سانحة للتفكير في امره الخطير الذي اقدم على تنفيذه في لحظة نفسية معقدة عصبية .

وان وقع الطلاق بعد كل هذا فالاسلام يحيــط المطلقة برعاية شاملة ندية فيرى ان تعتد في بيــت الزوجية لا تخرج منه ولا يحق لمطلقها ان يجبرها على الخروج منه بغير مبرر شرعي لعل قربها منه يثير في نفســه عاطفة الرأفة فيفكر في ردها جديا . وامــا ان كانت حاملا فالنفقة واجبة على المطلق الى ان تضــع حملها ، وبعد الوضع يامر – اعني الاسلام – الرجل بكفالة حقوق المولود وكل هذا يرسمه القرآن الكريم في روعة ما بعدها من روعة ، في الآيات الآتيــات : (يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهــن لعدتهــن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن مــن بيوتهن ولا يخرجن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفســه ، لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا . فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعــروف او فارقوهــن بمعــروف) (اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ، ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فان ارضعن لكم فآتوهن اجورهــن واتمروا بينكم بمعروف ، وان تعاسرتم فسترضع له اخــرى) .

ورحمة بالمراة ورفقا بها اجــازت الشريعــة السمحاء ان تفتدي نفسها من زوجها عن تراض بيــن الطرفين ان بدا لها الانفصال عنه ، وهذا ما يسمــى بالخلع ، ويكون ذلك بدفعها له ما كان قد قدم لها من مهر او هدايا ، وبعبارة جامعة كما عند ابن رشد (7)

بذل المراة العوض على طلاقها ، والاصل فيــه قوله تعالى : (وان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به) ، وقد جاءت امراة ثابت بــن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالــت . يا رسول الله ، ثابت بن قيس ما اعيب عليه في خلق ولا دين ، ولكنني لا اطيقه بغضا ، فسألها عما اخذت منه فقالت : حديقة ، فقال لها : اتردين عليه حديقته ؟ قالت : نعم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لثابت : اقبل الحديقة وطلقها تطليقة .

---

(7) بدايــة المجتهــد ، ج 2 ، ص : 66 ، ط 3 .

كما اجازت الشريعة ايضا للقاضي ان يوقــع الطلاق على الزوج فى حالة اعسار مالي او غيبة طويلة او ضرر الحقه بها .

ويجدر بنا الا ننسى وصايا الاسلام فى هذا الصدد بالزوجة ، والمعاملة التي ينبغي ان يسلكها الزوج معها قال تعالى : (واذا طلقتم النســاء فبلغــن اجلهــن فامسكوهن بمعروف او سرحوهــن بمعــروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه) ، وقال تعالى : (يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن واحصوا العدة واتقوا الله ربكم، لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا ان ياتين بفاحشة مبينة ، وتلك حدود الله . ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا . فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او فارقوهــن بمعروف الخ .) ولا يخفى ما فى قولــه تعالــى : (فامسكوهن بمعروف او فارقوهن بمعروف) ، من لفتة الهية كريمة طيبة فى نهيه عن الضرر الذي يمكن ان ينصب على الزوجة كالشتم واللعن والقذف ، وغير ذلك من الضرر اذ الصلة الزوجية يتحتم عند انفصام عروتها ان تنتهي نهاية سلام حفاظا على البقية الباقية من المحبة فى قلوب الزوجين ، فالعلاقة قد تعــود بينهما كما كانت من قبل فتجد ما يكدر بهاءها مــن ذكريات مؤلمة سابقة ، وخاصة ان النفس البشريــة شفيقة يؤثر فيها ادنى شيء ، وتتلاعب بها الاهــواء فتستثير دفائن الماضي المقيت فى لحظة غير منتظرة .

جراحات السنان لها التئــام
ولا يلتــام ما جرح اللســـان

وباستعراضنا لكتاب الله تعالى نراه فى أحكـام الطلاق يحاول ان يمسح دموع الزوجين ، ويضع الحق فى نصابه من غير اجحاف ، ويعمل على ان يلمس بيده الرحيمة قلبيهما محاولا تسكين انفعاليهما .

فقيم اخيرا هذه الضجة المفتعلــة التى يوقــد أوارها دعاة الاستشراق ، وشيعه الصليبية عن الطلاق فى الاسلام والامر واضح وضوح الشمس فى رابعــة النهار ، وما يرونه فى المجتمع الاسلامي من انعتاق عن احكام الله فى مسائل الطلاق انما هو انحراف صارخ فى النفوس ــ لا فى الاسلام ــ والداء الداء فى الضمائر المنحرفة التي لم تتربى فى حضن المنهاج الالهي ، ولم تعش فى ظلاله البهية ، ولذلك فالاسلام لا يواخــذ بتصرفات المنتسبين اليه ، فقانونه فى واد وهم فى واد آخر ، ولو ترسم المسلم التشريع ، واقامــه فى قلبه لما كثرت فى المجتمع الاسلامــي المشاكــل العائلية المعقدة ، ولعاشت الاسرة فى سلام واطمئنان .

فقيم هذه الضجة ثانيا ونظام الطلاق فى شريعة الاسلام ــ كما عرفتم مما سلف وتأكدتم ــ لا بدانيه نظام منذ ان كان الانسان الى اليوم والى الابد ، لكونه تنظيما اجتماعيا من الله لعبــده فى أي وقت وفى أي مكان متساوقا ، والحياة الانسانية فى شتى صورها ومتعدد وجوهها ، اما نقيض هذا فهو تمحل عقلــي بالــغ الســخــف .

وكم من عائب قولا صحيحـــا
وآفته من الفهــم السقيــم

تطوان : محمد المنتصر الريسوني

خصائص النقود واسس الجبايات في الاسلام

للاستاذ عثمان بن خضراء

لقد كان العرب قبل الاسلام يتعاملون بالنقود الكسروية الرومية من الدراهم والدنانير وبقي هذا حالهم الى عهد عمر رضي الله عنه فضرب الدرهم وجعل وزنه من اربعة عشر قيراطا من قيراط المثقال العشرين .. فكانت كل عشرة دراهم من دراهمه تزن سبعة مثاقيل ، ثم ضرب دراهم اخرى جعل وزن الواحد منها اثني عشر قيراطا ... وكان يضربها على نقش الدراهم الكسروية ، ويزيد في بعضها عبارات اسلامية كعبارات التوحيد او عبارات الحمدلة ... وضرب بعده عثمان رضي الله عنه دراهم نقش عليها عبارة التكبير ، وحذا الخلفاء والامراء حذوهما فضربوا الدراهم والدنانير بعبارات واوزان مختلفة.

وكان اعظم الذين ضربوا النقود معاوية .. وعبد الله بن الزبير .. وعبد الملك ابن مروان .. ويزيد بن عبد الملك .. وغيرهم .. وانما كان عبد الملك بن مروان اول من ضرب الدنانير الاسلامية بدون نقوش كسروية .. فكان وزن ديناره يتراوح من اربعة غرامات وخمس الغرام الى اربعة غرامات وثلثي الغرام .. فهو بذلك يقارب نصف الجنيه الانكليزي الذى وزنه اربعة غرامات وربع الغرام من الذهب حسب دراسة نقدية فى الموضوع ... واما الدرهم الفضي فكان وزنه اقل من ثلاثة غرامات .

واكثر عبد الملك من ضرب هذه النقود العربية فى ايامه فى الشام ومصر والعراق وانتشر استعمالها فاستغنى العرب بها عن نقود الروم والفرس وصار للعرب نقود خاصة بدولتهم .. ثم بها استقلالها .

اما الجبايا فقد استندت عند العرب على الاسس الآتية :

اولا : على القواعد المستنبطة من الكتاب والسنة .

ثانيا : على ما اسسه الخلفاء الراشدون .

ثالثا : على ما اخذوه عن الدول التى غلبوها على امرها .

فلم تكن اموال الدولة فى ايام الرسول سوى الغنائم يخرجون خمسها للنبي واهل بيته ويتقسمون الباقي بين المسلمين ... وكانت الخزينة فى عهده قائمة على ما يجتمع لديه من الصدقات والزكوات من ماشية ونقود وحبوب وعروض يتصرف بها فى وجوه المصلحة العامة ... ثم عندما اتسع امر الاسلام عمد الى وضع الخراج ، فجعل على سكان جزيرة العرب من المسلمين خراج مقاسمة على حاصلات ارضهم من العشر الى نصف العشر بدرجة الارض من الخصب ونصيبها من الري .. فكانت ارض الجزيرة بتمامها عشرية ما عدا خيبر فقد صالح يهودها على نصف حاصلات ارضهم ... وكان يسم الماشية العائدة لبيت المال بميسم خاص ، ويتولى ذلك بنفسه ، وبلغت هذه الماشية فى عهده نحو اربعين الفا ، وبقي

خمس الافياء يعطي لاهل البيت ، حتى تولى الخلافة عمر بن الخطاب فعين الرواتب لمستحقيها من اهـل البيت ومن القائمين بخدمة الخليفـة من الحاشيـة والبطانة ، واجزاها عليهم شهرا شهرا ، ورد الاخماس على بيت المال لتقسم على المسلمين .

وعندما توسـع الفتـح الاسلامـي واستولـى المسلمون على بلاد الروم والفرس فى العراق والشام، اختلف زعماء العرب فى الخطـة الواجـب اتباعهـا باستحواز الارض و « العلوج » الذين عليها فاراد قوم من الصحابة وزعماء العرب ان يقتسموا الاراضي التى يفتحونها غنيمة بينهم ويكون لكل منهم نصيبه منها مع من عليها من السكان .. فيبقى السكان اقنانـا اي ارقاء ملحقيـن بالارض يباعـون معهـا وينتقلـون بانتقالها ..

فقال عمر : فكيف بمن ياتي بعدكم من المسلمين فيجدون الارض قد اقتسمت بمن عليها وحيزت ارثا على الآباء ؟ ما هذا براي ؟

فقال عبد الرحمن بن عوف : فما الراي اذن ؟ ما الارض والعلوج الا مما افاء الله على المسلمين .

فقال عمر : اذا اقتسمت ارض العراق بعلوجها وارض الشام بعلوجها ، فبماذا تسد الثغـور وماذا يكون للذرية .

وما زالوا به حتى جمع نـدوة من المهاجريـن والانصار قوامها عشرون رجلا من اهل الحنكة والعقل واستشارهم فى الامـر وقال لهم : « سمعتم كـلام هؤلاء القوم الذين زعموا اني اظلمهم حقوقهم ، واني اعوذ بالله ان اركب ظلما .. لئن كنت ظلمتهم شيئا هو لهم واعطيته غيرهم لقد شقيت .. ولكن رايت انه لم يبق شيء يفتح بعد ارض كسـرى ، وقد غنمنا اموالهم وارضهم وعلوجهـم فقسمت ما غنمـوا من اموال بين اهله .. واخرجت الخمس فوجهته على وجهه وانا فى توجيهه وقد رايت ان احبس الاراضين بعلوجها .. واضع عليهم فيها الخراج فتكون فيئـا للمسلمين المقاتلـة والذريـة ولمن ياتي بعدهم ... ارايتم هذه الثغور لا بد لها من رجـال يلزمونهـا ؟ ارايتم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصـر لا بد لها من ان تشحـن بالجيـوش وادرار العطـاء عليهم ؟ فمـن اين يعطـى هؤلاء اذا اقتسمت الارضون والعلوج ؟

فقالوا جميعا : « الراي رايك ، فنعما قلت وما رايت ... ان لم تشحن هذه الثغور وهـذه المـدن بالرجال ولم تجـر عليهم ما يتقوون به رجع اهـل الكفر الى مدنهم » .

وكان عثمان وعلي وطلحة بين القائلين بقول عمر فقال : « من لي برجل له جزالة وعقل يضع الارض مواضعها ، ويضـع على العلـوج ما يحتملـون ؟ » فاجتمعوا له على عثمان ابن حنيف وقالوا : تبعثـه الى اهم ذلك فان له بصرا وعقلا وتجربة .. - فولاه مساحة ارض السـواد مـن العـراق يمسـح سواد الكوفة وجباه مائة مليون درهـم .. وفعل بالشـام كما فعل بالعراق ، فترك اهل ذمة يؤدون الخراج الى المسلمين .

قال ابو يوسف القاضي : « ان الذى رآه عمر من ترك الارض فى ايدي اصحابها وفـرض الخـراج عليها هو توفيق من الله فيه الخيرة لجميع المسلمين .. ولو لم يفعل ذلك لما سحنـت الثغـور وقويـت الجيوش على السير فى الجهاد » .

وفي عهده وضعت القاعدة القائلة : « ايما دار من دور الاعاجم ظهر عليها الامام وتركها فى ايـدي اهلها فهي ارض خراج ..

وان قسمها بين الذين غنموهـا فهـي ارض عشر ..

وكل ارض من اراضي الاعاجم صالـح الامـام اهلها عليها وجعلهم ذمة فهي ارض خراج فضرب على الارض الخراجية مالا مقطوعـا يستـاداه اصحابهـا العاملون بها فى حالتي الخصب والجدب .. وجعل هذا الخراج يختلف باختلاف خصب الارض واسلوب الري ، والقرب من المدن الحافلـة بما فى ذلك من العون على كثرة الاستغلال وبيع الغلـة .. وجعـل العشر على الاراضي العشرية على ما يشرب من ماء المطر .. ونصف العشر على ما يسقـى بالدلـو .. وجباه على ما يبقى فى ايدي الناس من الغلة الارضية كالحبوب .. ووضعه اي رفعه عما لا يبقى كالبطيخ والخضر .. كما وضعه على المسلمين فى البلاد التى فتحها واقطعهم اياهـا وقال ليـس على المسلميـن عشر ، وانما العشر على اليهود والنصارى وقال : « يا معشر العرب احمدوا الله الذى وضع عنكـم العشور »

فهو اول من مسح الارض ودون الدواوين ووضع اصول الجباية ، ورقم الداخل الى بيت المال والخارج منه ، وهو الذى رتب الجزية على الرجال من غير المسلمين وكلف غنيهم بثمانية واربعين درهما ، ومتوسطهم باربعة وعشرين وفقيرهم باثني عشر فى السنة وقال :

« درهم فى الشهر لا يعوز احدا » وجعل المعادن لمخرجها على ان يؤخذ منه خمس المستخرج لبيت المال .. وكذلك مما يخرج من البحر من حلية وعنبر .. وهو الذى اكثر القواعد الماليه ، فلم يجرأ من جاء بعده على مخالفتها ، فبقي جانب عظيم منها نافذا فى عهد الامويين والعباسيين .. واستمر بعضها حتى الزمن الحاضر !

كانت منابع بيت المال فى عهد الخلفاء الراشدين منها المقرر ومنها الطاريء :

ـ فالمقرر هو الخراج ، والعشر ، والصدقات ، والجزية .

ـ والطاريء هو العشور ، والغنائم ، والافياء ، والاموال المستخرجة من العمال ، وعوائد المصادرة وامثال ذلك .

فالخراج ما كان يوضع على الارض التى استولى عليها المسلمون وتركوها فى ايدي اهلها ملكا لهم ... فكانوا يجعلونه احيانا خراجا موظفا ثابتا كما جرى فى سواد العراق .. واحيانا خراج مقاسمة .. وبقيت ضيع البطارقة والامراء المنهزمين ملكا لبيت المال يقبلها العمال ويستثمرونها لحساب الخزينة العامة .

والعشر هو الحصة الشائعة المضروبة على حاصلات الارض التى اسلم اهلها عليها من ارض العرب او العجم كالمدينة واليمن .. او ملكها المسلمون عنوة من قوم لا تقبل منهم الجزية كعبدة الأوثان والمجوس ... ومثلها الارض التى اجتازها المسلمون وقسموها بين الغانمين .

والصدقات هي ما يعطيه المسلمون من اموالهم المنقولة ومكاسبهم ، وكانت فى الغالب بمعدل واحد فى الاربعين اي ربع العشر ، وتجبى على الاكثر من الماشية ... فكانوا يعينون لاهل البادية مصدقين يجبون الصدقات ويردونها على بيت المال لتصرف فى مصالح الخلافة .. ولعل هذا الاساس بقي معتمدا عليه فى الاسلام ، وتجلى فى عهد الخلافة العثمانية باموال الاغنام والسائمة التى ما زالت الى اليوم تجبى على هذه النسبة نفسها .

توسعت منابع الجباية بعد ذلك فتناولت مطارح اخرى من ذلك المكوس « الجمارك » التى كانوا يسمونها العشور لانها كانت توخذ بمعدل واحد من العشرة .. واول ظهورها فى الاسلام على عهد عمر عندما كتب اليه ابو موسى الاشعري عامله فى العراق يستشيره بما يأخذه الاجانب من تجار المسلمين الذين يدخلون بلادهم لبيع بضاعتهم ، فكتب اليه عمر ان تاخذ انت منهم كما يأخذون من تجارنا .. وخذ من اهل الذمة نصف العشر ، ومن المسلمين ربع العشر بقدر الزكاة المفروضة عليهم ... فانتشرت قاعدة التعشير فى ثغور المسلمين وحدودهم واستمرت طول ايام دولتهم .

قدم ابو هريرة على عمر بمال من البحرين فقال له عمر : ما معك ؟ قال : خمسمائة الف درهم ! فدهش عمر لكثرته وقال : اتدري ما تقول ؟ قال نعم ، مائة الف درهم خمس مرات » فصعد المنبر وقال :

« ايها الناس جاءنا مال كثير فان شئتم كلنا لكم كيلا وان شئتم عددنا لكم عدا » .

وهذا مثال على دهشة العرب بوفرة الاموال التى كانت ترد عليهم من فتوحاتهم ذهبا وفضة وعلى الاسراع فى توزيعها بين المسلمين ، وكان ابو بكر وعلي لا يقلان عن عمر فى الزهد بالمال وتقسيمه بين الناس بالعدل ـ وليس لدينا احصاء يعرف منه ما كان يدخل لبيت المال فى عهد الراشدين من الخراج والعشور او الزكوات او الاخماس أو غيرها من منابع الخزينة ... وجل ما نعلمه من هذه الجهة ان المداخيل كانت جسيمة جدا .. وجميعها تنفق فى المصالح العامة ولا يختزن شيء منها .

سلا ـ عثمان بن خضراء

الدين نافذة مفتوحة على العالم

للأستاذ ابراهيم صفا

يظن الكثير ولاسيما الشباب في هذا العصر بان الدين دائرة مغلقة النوافذ والابواب ، ولاسيما في عصر ساد فيه العلم وانتشر واصبح كل شيء في الحياة ، والواقع ان هؤلاء لا يعرفون شيئا عن الدين ومهمته ، فقد حسبوا انه جاء في بيئة معينة ليعالج مشاكل خاصة كان يعانيها الانسان في ذلك اليوم ، كمنع عبادة الاصنام وتوجيه الناس الى عبادة الله ، وان العرب يومذاك كانوا يعيشون قبائل متفرقة فجاء الدين ليؤلف بينهم ويجعلهم امة واحدة ؟ فمهمة الدين اشبه ما تكون بالمهمة التاريخية وقد انتهى امرها ، فليس في عالم اليوم من يعبد الاصنام ، والقبائل قد ذابت في الشعوب والامم ولم يبق لها وجود ، والواقع ان المستعمرين قد شوهوا وجه الدين ففصلوه عن الحياة وجعلوه عدوا للعلم واعتبروه « أفيون الشعوب » وان الشعوب والامم لما انسلخت عنه تقدمت وتفوقت في العلم حتى أصبح بيدها زمام الامور . بلى ، لقد ظن هؤلاء بأن مهمة الدين خاصة تنحصر في تهذيب النفس وتربية الفضائل وفي الدعوات والصلوات ، ولم يضعوا نصب أعينهم حقيقة ان الدين جامع لكل ما تحتاج اليه الحياة من النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . ونحن نقول ان مهمة الدين الاولى والاخيرة هي التحرر من كل سلطان على الارض يستعبد البشرية ويقيد انطلاقها الدائم نحو الخير ، وهذه مهمة انسانية لا غنى عنها للانسان سواء كان على سطح الارض او تجاوز سطح القمر ، وهذه المهمة يحتاج اليها العالم اليوم كما كان محتاجا اليها قبل مئات السنين وذلك لانقاذ العالم من كل خرافة تستعبد فكر الانسان ، ولتحريره من سلطان الشهوة ليقف منها ، موقف المحارب لها . بعد ذلك تنتقل مهمة الدين الى تنظيم طاقة الفرد وتنظيم المجتمع بتوجيه طاقته نحو الخير ، والى تحقيق التوازن في نفس الفرد بين مطالب الروح ومطالب الجسد بحيث لا يدع جانبا يطغى على آخر ، وبين مطالب الفرد ومطالب المجتمع ، فهو يمنح الفرد حق الحرية والتملك بما لا يصطدم مع حق الآخرين وحريتهم ، ويمنح المجتمع السلطة في تنظيم العلاقة الاجتماعية والاقتصادية الى حد لا يكون فيه اعتداء على حرية الافراد ، فالدين ضد الانحراف ، والطغيان أيا كان وفي أي جهة حصل .

ان الدين حقيقة صالحة لكل زمان ومكان لان لاصوله مرونة تتسع للاحداث وتصلح للبقاء متنقلة بين مختلف الاجواء ، وهذه الحقيقة ثابتة لا تتغير ولكننا نحن الذين نتغير ونتطور فنزداد فهما لاصولها . لهذا نرى ، ان الدين لم يتنكر للعلم ، وانما حث عليه ، بل وحث الانسان على البحث عن اسرار الكون . فقد اشار القرآن الكريم الى عدة حقائق كشف عنها العلم مؤخرا ، فقد ورد مثلا « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » ، يشير بهذه الآية الى كروية الارض وانها تدور حول نفسها في مواجهة الشمس وان الجزء الذي يواجه الشمس من

سطحها المكور يغمره الضوء فيكون نهارا ، ولكن الجزء المضيء لا يثبت لان الارض تدور ، وكلما تحركت بدا الليل يغمر السطح الذى كان عليه النهار وهكذا يتعاقب الليل والنهار بشكل مكور (تبعا لكروية الارض فى حركتها الدائبة) ، وورد فى نفس المعنى « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » . فهل بعد هذا ما يقال بأن الدين قضى مهمته ومضى لسبيله ولا محل له الآن ..؟

ان الدين يسير مع العقل فى تطوره ونشاطه ويساير العلم فى تفاصيله وتجاربه ، فكل ما توصل اليه العلم حتى الآن وما يتوصل اليه بعد ، قد سبق الى ذكره الدين ، ويصح لنا القول ان العلم يسير بتوجيه من الدين ويخضع فى تطلعاته الى قواعده المرنة ، وان العلم سينتهي باهله الى الايمان وتلك هي معجزة هذا الدين بالذات ، « انما يخشى الله من عباده العلماء » .

وهكذا ترتفع الخصومة بين العقل والدين والعلم وتدرك العقول ان المعرفة ليست الا جزءا من الايمان لا عنصرا مخالفا له ، واذا كانت تلك هي مهمة الدين فهو اذن لم يستنفذ اغراضه وانما يبقى العالم فى حاجة اليه ، فجاز لنا أن نعتبره نافذة مفتوحة على العالم .

هذا ، وقد اردت الا اطيل البحث ، كي لا ادخل فى تفاصيل لا مجال للخوض فيها الآن ، واني اذ ادعو اخوانى الشباب ألا يحكموا على الدين حكما سطحيا بل ان يحاولوا – مهما كلف الامر – التعمق ولو قليلا فى تفهم جوهره ومعانيه ، فاني ادعو الله ان ينير طريقنا جميعا بمشاعل التقوى والايمان والتحابب والتعاون ، انه سميع مجيب .

لبنان – ابراهيم صفا



رابعة العدوية

للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

مسرحيـة شعريـة من أربعـة فصـول ـ تأليف عدنان مردم بـك ـ منشورات عويدات ببيروت ـ مطابع الاحسان ـ يناير 1972 ـ 126 صفحة من القطـع المتوسـط .

ـ 1 ـ

رابعة العدوية مدرسة وحدها في الحب الالهي، وفن المناجاة للـذات العليـة ، انها مسحـة خالصة متطورة من الوجد العذري ، والنغم الملائكي ، واللهفة الحائرة ، على شفتي انسانة معذبة

يهدي عدنان مردم عمـله المسرحـي الجديـد « رابعة العدويـة » فيقـول : « الى روح الانسانـة الكبيرة ، التي آمنت بالله تعـالى ، واحبتـه حبـا خالصا ، سما فوق كل حب ، غير طامعة بثواب ، او خائفة من عقاب » .

ويتحدث عنها في مقدمة عمله المسرحي نغمـا علويا ملأ الاسماع ، وفتاة عربية خالصة العروبة ، توفي أبوها ، واختطفها احد اللصوص ، وهي تسعى في الارض طلبا للرزق بسبب جماعة حلت بالبصرة ، وباعتها بستة دراهم الى أحد التجار ، وفي البصرة عاشت يؤرقها الوجد ، ويشجيها الحنين ، والبصرة يومئـذ (120 ـ 180 هـ) ، أي في الفتـرة التـي عاشتها رابعة ، كانت موطن المتصوفين والزهـاد ، وكانت كذلك مسرح الزنادقة والشعوبيين واللاهين،

وعملت رابعة زمارة تنفخ في الناي في حانة ابن عمار، وهي مع ذلك لا تنقطع عن زيارة المساجد ، وسماع قصص الزهاد ، ووعظ الواعظين ، وضج متصوفـة البصرة من ابن عمار وحانته ورابعته ، فاشتراهـا منه ابن زياد عن سراة هذه المدينة التليدة، ثم أعتقها، فاختارت كهفا خارج البصرة اعتكفت فيه ، تعبد ربها وتناجيـه .

وعاشت رابعة أنشودة روحية ، تهتف بحب الله ، وينبثق من حبها له حبها الكون بكل ما فيه من الم وعذاب ، وسمت رابعة بالمفهوم الصوفـي ، فادخلت عليه فكرة الحب الالهي ، وجعلت من حبهـا مصدرا للكشف والالهام ، ورأت في المحبة روحا ، تمنح الحياة لكل جزء من اجزاء الكون .. كما يقول عدنان مردم بك ..

ان قصة رابعـة لتـدل على الطمـوح الروحي والعقلي الذى كانت عليـه المـراة العربيـة في ذروة الحياة الجديدة المتالقة في البصرة في اوائل خلافة

بني العباس ، وتدل على مكانة المراة ومنزلتها التي بواها اياها هذا التراث الروحي الخالد الرفيع ، في مجتمع متمسك بقيمه ومثله وآدابه ومنهجه الامثل .. وهي نموذج فريد لا نجد مثالا آخر له بعد رابعة ، وكم كان بودنا لو كانت المراة العربية اليوم لها — من ذاتيتها وشخصيتها وطابعها وطموحها وتعلقها بالمثل الاعلى — ما كان لرابعة العاشقة العذرية المتصوفة .

وقد اختار عدنان مردم لعمله المسرحي هذه الفترة الحرجة الاولى في حياة رابعة ، فترة الرق الذي فرض عليها ، والعمل كمغنية في حانة وقد الزمت به ، فترة تمزقها النفسي بين خضوعها لسيدها وتعلقها الروحي بالله عز وجل ، وحبها العذري الملائكي لذاته العلية ..

والزم نفسه في عمله المسرحي بوحدة الزمان والمكان والموضوع ، وهي الوحدات الثلاث التي حرص على التقيد بها اصحاب المدرسة الكلاسيكية في الفن المسرحي .

وتميزت المسرحية بالبناء الفني المعمودي ، وان تعددت القوافي والاوزان خلال المسرحية ، لكن النسق الفكري والفني والتاريخي متصل الحلقات ، متحد الروابط والصلات فيها ، في دramية الحركة ، وسير الحوار ، وتجدد الحدث ، والبلوغ به الى الذروة ، والشرح والتفصيل لكل مواقف شخصيات المسرحية ، والتحليل الفكري والنفسي لكل ما تجيش به نفوسهم من افكار ومشاعر متباينة .

وبعد ذلك احدى السمات البارزة للمسرحية التي بين ايدينا ، بل لكل اعمال عدنان مردم بك وفنه المسرحي : وقد اخرج من قبل : غادة افاميا وهي دراما شعرية صدرت عام 1967 ، والعباسة وهي مسرحية شعرية صدرت عام 1968 ، والملكة زنوبيا وهي كذلك مسرحية شعرية صدرت عام 1969، ثم الحلاج وهي مسرحية شعرية صدرت عام 1971 ، وجاءت مسرحيته الجديدة رابعة العدوية التي صدرت عام 1972 تؤكد كل القيم الفنية التي يسير عليها عدنان مردم في فنه المسرحي، وفي التزامه فيها بالاطار التاريخي او الفكري ، وبشرح فكرة قومية او انسانية .

— 2 —

ومسرحية « رابعة العدوية » من اربعة فصول، وفي كل فصل تتعدد المناظر (اثنان) ، ويحتوي كل منظر على مشهدين ، فكأنها على الحقيقة تحتوي على ستة عشر مشهدا .. وذلك مع التقيد بوحدة الموضوع ، ووحدة المكان ، وبوحدة الزمان ايضا على قدر الامكان ...

الفصل الاول بمشاهده الاربعة تتحدث عن رابعة واترابها في حانة ابن عمار ، وما دار بينها وبينهن من حوار ، وعن ضجيج سخط زهاد البصرة من ابن عمار وحانته ، ومن رابعة هذه الفتاة المغنية، وعن اثر ذلك كله في نفوس فتيات حانة ابن عمار .

ويلتزم عدنان مردم في هذا الفصل بمواقف ثابتة لشخصياته ، ولرابعة من بين هذه الشخصيات على الخصوص فهي تؤمن بعدل السماء ، وتلقى كل ظلم على البشر ، وهي لا تسخط على احد ، ولا تحب ان تسخط على احد :

حقد السجين على القيو
د يزيد من عبء القيود

ومأساة رابعة ليست من صنع القدر :

ما كانت المأساة لو
فكرت من صنع القدر
مأساتنا بنت الخيا
ل البكر — كانت — والفكر
والمرء يخلق وحده
دنياه من خير وشر

وهي تؤمن بالجهد الانساني ، وحرية الارادة ، وبقدرة الانسان على بناء نفسه :

الرق ليس بمانع
يوما رقيقا من ظفر
ان النبوة في البدا
وة اشرقت، لا في الحضر
والفجر كان ابن الظلا
م ، ونوره ملء البصر

مع نفاذ ارادة الله القاهرة ، ومع الرضى بكل ما قسم الاله :

رباه امرك نافذ
فيما قسمت من المصير

انا بالـــذي اجربـــت را
ضية ، فهون من عسيـــر

ومع الحرص على القيم والمثل ونقاء الضمير :

العـار فى مـوت الضميـ
ـــر وان نعيش على الكذب

وهي كذلك تؤمن بالحب ، وبان الديـن حـب خالص :

الديـن حـب خالـــص
للـــه ؛ لا تعـــب وكـــد

وشر المصائب ان نعيش حياتنا بغير حب :

شـــر المصائـــب ان نعيـ
ـــش حياتنا من غير حب

تسع المحبـــة كـــل ذنـــ
ـــب جل فى شرق وغرب

ورابعة فلسفتها الحب وحده :

ان المحبـــة كالضـــيـــا
ء تسع فى كـوخ وقصـــر

قلبي الذى وسع الـــورى
بحنانه ، وجـــرى بعطـــر

ما كان يحجـــب نـــوره
عن ظـــالم حبـــا بشـــار

انـــي لابكـــي قاتلـــــي
من رحمة بدموع صـــدري

وفى الفصل الثاني يتحدث عدنان بك عن جانب من جوانب المسرحية ، زهاد البصرة يسعـون الى ابن زياد احد سراة هذه المدينة ليشتري رابعة ليحد من فتنة غنائها المؤثر على الشباب فى البصـرة ، وحوار ابن زياد مع اصدقائه فى ذلك الامـــر ، ثـم ارسال ابن زياد اورد ليساوم ابن عمار فى شرائها ثم حزن اتراب رابعة فى حانة ابن عمار من موقفه فى شأنها وموافقته على البيع ومناقشتهم له ، وهموم

رابعة فى ذلك الموقف الحزيـن وضراعتهـا الى الله تناجيه ، ثم خروج رابعـة مع رسول ابن زيـاد بين الالم والحزن العميق ..

ورابعة فى هذا الفصل كعهدنا بها ، نموذج ثابت من الايمان والحب والابتهال والضراعة ..

ما كانت الشكوى تخفـف
مـــن شجـــون او عنـــاء

صمت الحزين اجـــل فى
البلوى وابلـــغ من بكـــاء

(عمار) ما كان الغنـــى
سببا الى كســب الثنـــاء

قدرت فى الاخـــذ الســـعا
دة ، والسعادة فى العطـــاء

الحب دينها وغايتها ووجهتها فى الحياة :

ان الســـعـــادة ان نحـــب
وليس فى كسب الثـــواب

السعادة فى حب الالـــه وفى مد يـــد المـــروءة والوفـــاء :

ان الســـعـــادة ان نمـــد
يـــد المـــروءة والوفـــاء

ونذوب فى حب الالـــه
جوى علـــى كـــر البقـــاء

فاللـــه خيـــر خالـــص
بالحق يسطـــع والضيـــاء

ان اليقين بالله هو مصدر السعادة :

اختـــاه او صـــح اليقيـــن
لما جزعنـــا فى مصـــاب

يحلو العذاب مع الهـــوى
وتهون اسبـــاب العـــذاب

ان الســـعـــادة ان نحـــب
وليس فى كسب الثـــواب

وفى الفصل الثالث يرسم عدنان مردم فى حواره الشعري المسرحي مجلس زياد مع اصدقائه ومع الزهاد من اعلام البصرة ، وامتلاء بيته بالنساء اللواتي قدمن لرؤية رابعة ، وحياة رابعة فى دار ابن زياد .. ورابعة فى هذا الفصل بمشاهده محبة ولهى، متفانية فى الابتهال الى الله ، تتحدث الى لداتها فتقول :

ماذا يضير الشمس ان
خفيت على من لا يرى

وبنورها تجري الحيا
ة على الاباطح والربى

الشمس تغدق بالحيا
ة ولا تقصر عن ندى

والقلب ان سمت المشا
عر كان اشبه بالضحى

وهي كذلك مستغرقة فى الحب :

حب بقلبي جل من
حقد مشين او معاب

فالحياة أبهى مع المحبة :

اختاه ما ابهى الحيا
ة مع المحبة والوداد

وهي مستغرقة فى الابتهال الى الله عز وجل :

لكن حبك ذاد في
الظلماء عن جفني غمضا

وتهتف من اعماق قلبها بالله :

مالي اراك جفوتني
وجهنم الحمراء عتبك

الناس تطمع بالجنا
ن ، وغايتي يارب قربك

قل لي حبيبي كيف تحـ
ـرق باللظى قلبا يحبك

وفى الفصل الرابع زهاد البصرة : رباح وشقيق البلخمي يعتذرون عن ظنونهم فى رابعة ، وتذهب رابعة الى حانة ابن عمار تعدد صديقة شبابها عزة ، وتحضرها وهي تسلم الروح الى بارئها .. ورابعة فى هذا الفصل كما كانت ولهانة حرى ، حياتها الحب ، ونقاء الضمير :

مرض الضمير هو العذا
ب المستجد على الدهور

اختاه فى الحب السعا
دة والهداية واليقين

والله كان محبة
وهدى فماذا تحذرين

اختاه فى الحب الحيا
ة وفى الشقاق جهنم

أنا من يلذ الجوى
فى حبه ويحين بشرا

مولاي ليس مع الهوى
الم، فكيف اضيق صدرا

وبهذه الوحدة الفنية فى العمل المسرحي الشعري ، يصوغ عدنان بك مواقف مسرحيته وفصولها ومشاهرها فى عمودية محافظة ، وفن اصيل رفيع ، وفى قدرة على الحوار والحركة ، وتصور كامل للموقف وابعاده ، مما يجعلنا حقا مشدودين الى تسلسل الحوار وفنية الحركة الدرامية الاخاذة ، فى مسرحية « رابعة ... »

- 3 -

وليس من شك فى ان هذا كله من الخصائص الأصيلة لفن عدنان مردم المسرحي ، وانه يلتزم بمواقف ثابتة صلدة لابطال مسرحياته ، ويقود حركة الحوار والتسلسل الدرامي معهم فى لباقة ودقة وذكاء وعمق .

وبقي بعد ذلك ان القطعة المسرحية الشعرية عند عدنان بك لا تتخذ طابعها الغناء ، كما نجد عند شوقي وعزيز اباظة مثلا ، بل انها تبتعد عن فكرة

المسرح الغناء الى عمل المسرح الدرامي ، الذى تمثله العقدة والازمة والحل والصراع والحوار القصير الحركي .

وبذلك يضع عدنان بك اصولا ثابتة لعمله في فن المسرحية الشعرية لا يتجاوزها ، مما نحمده له ونوافقه فيه ، ونقره عليه .

بقي بعد ذلك بعض الاخطاء اللغوية وغيرها التى ترجع اكثر ما ترجع الى التطبيع لا الى النص ، مما ليس للمؤلف فيه حيلة فى اكثر الاحيان .. وليست هذه بذات بال ، على اية حال ..

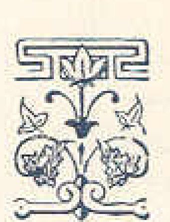
واعود فاهنيء المؤلف الكبير عدنان مردم بهذا الابداع الفني المرموق ، وهذا الانتاج المسرحي الموصول ، وليس ذلك كله ببعيد عليه ، ولا بقريب منه ..

ففى موهبته واصالته ووراثاته الشعرية العميقة ما يمكن ان يفسر لنا سر ابداعه وروعته ، والشيء من معدنه ليس بمستغرب على ما يقال .

ترى ماذا يضمر عدنان بك من عمل جديد للعام الحالى او للعام القادم .

سر ذلك عند الشاعر ، وتحية له من الاعماق .

المملكة السعودية ــ د. محمد عبد المنعم خفاجى



المعاني الانسية والروحية في الشعر العربي

للدكتور جعفر الكتاني

- 4 -

لكي نخطو الى نهاية هذا البحث المتتابع الحلقات ، فى مدى توافر المعاني الروحية بالشعر الجاهلي ، وفى مدى صحة نسبته جملة الى ذويه ، فاننا قد عرضنا ما حدده القرآن الكريم عن معتقدات العرب قبل الاسلام ، فجلت عن طبيعة تمثل قوما وان حرفوا سبيلهم الى الله ، فان الله كان غايتهم مما كانوا يعبدون .

كما اتضح من خلال المقال الماضي الذى بسط تاريخ معتقداتهم ، كيف أن التاريخ القديم يدعم الحجة القرآنية ، ويثبت بأنهم انما كانوا يعبدون فيما انحرفوا فيه واجب الوجود جل جلاله .

ولارتباط المبحثين من الخطة التى نهجنا عليها ، فان كلا من المطلبين مرتبط بالآخر . وقد ثبت من شعرهم ما كان منه ذا معان روحية . فبذلك يصح تاليا نسبة شكله الى ذويه .

ولكن ما العلاقة بين صحة هذا وثبوت ذاك .

ذلك ما نود ايضاحه بشيء من التفصيل ، يتقبله الامكان . فنعرض الآن لما يعكسه الشعر الجاهلي من تلكم المعاني لنتمكن فى المقال الاخير المقبل من تحديد العلاقة التى تربط معاني الشعر الروحية بصحة نسبته جملة الى ذويه .

وهي معان لا يشترط لثباتها ان يكون لدينا منها قصائد كاملة نظمت لغرض البحث عن الله او لوصف الوجد به . فذلك ما يفتقده الشعر العربي حتى صدر الاسلام . بل ان الشعر الديني فى صدر الاسلام نفسه قصر بتخصيص القصيدة الواحدة لمثل هذه المعاني ، ولا يخدعنا شعر الدعوة الاول فقد كان الاتجاه الغالب عليه عراك السياسة وتأكيد صبغة الدولة . نعم ، نعرفهما ممزوجين بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وبالاعتقاد فى تعاليم الاسلام . وقد كان ذلك كافيا لما تتطلبه ظروف الدعوة الاسلامية . ولكن تخصيص قصيدة فى العصر الجاهلي بذكر الله كان نادرا لان بيئة الشعر الجاهلي لم تكن كلها وجدا بالقدر الذى كانت ظروفها تهويما .

وطبيعة الشعر الجاهلي — كما لا يخفى — لم تتهيأ لوحدة القصيد على نحو ما تهيأت لوحدة البيت . وما قد يصدق على طبيعة الشعر فى العصر الجاهلي يصدق عليه كذلك فيما بعده بقليل . لان الجانب الفني من نظم القول لم يمض فى تطوره المحتوم الا بعيد ذلك التاريخ .

ولتلك الاسباب جميعها ، فان ما سوف نعثر به من المعاني الروحية فى شعرهم وفى المتبقى اليسير من نثرهم ، انما هو أشتات مبعثرة منها بين القصائد ، من هنا وهناك ، او ضمن الجمل الحكمية المنثورة ، ولاسيما منها ما يرتبط بأيمانهم .

ولقد سبق القول بأن الشعر الجاهلي كان يعتمد وحدة المعنى فى وحدة البيت . ولذلك كان

من النادر ان نقابل منه موضوعا موحد المعنى فى قصيدة مفردة له يخصها الشاعر بمعنى معين ولهذا كان تعدد الصور الشعرية يتتالى فى القصيدة الواحدة ، ومن القصيدة الواحدة يمكن انشاد البيت الذى يهتم بسفاسف الحياة ، وبالبيت الذي يهدف الى ابراز مثل اعلى .

وبسبب هذا فان ما حفظ لنا من ادبهم يجعلنا امام اشتات من المعاني ، اذا تطرق بعضها لذكر الحياة الروحية فانما لخاطرة عابرة ، او لتصوير رؤية ملتقطة ، نتيجة حكمة ندت او نظرة تألقت ، او لمجرد قسم يساق لتأكيد قول أو للبرور بوعد . ولسنا امام موضوعات من الشعر الجاهلي تعنى بابراز مثل هذه المعاني باستثناء أمية بن ابي الصلت الذى تعانى منها بما لم يقو شاعر قديم فى العربية على مجاراته او الاحتذاء به . وان الحديث عن شعر امية عرضا يجحف بنصيب هام من شعر المعاني الروحية فى الادب القديم .

:) ◆ (:

لقد خلق الانسان مفطورا على الاعتراف بوجود اقوى فيما لم يكن مدركا واعية ، فانه سيتلمس « الاقوى » فى آيات الكون . ولذلك فان عبادة الكواكب واشباهها من الكائنات انما كانت تعنى جميعها عند عرب الجاهلية عبادة الواهب القوى الذى عجزت مدركاتهم عن تصوره باسمه الحق .

ولا ينحط العقل ــ مهما اسف ــ الى ان يعتقد بأن فى الحجر قوة تحميه ، ولذا فان الاوثان لم تكن الا مظهرا لخارقة القوى الالهية . وقد عبدوها لانهم ــ وهم عقل بدائي ــ عاجزون عن تلمس معنوية الحقيقة التى تحتاج الى قدرة على التصور لفهمها . وذلك ما كان يعوزهم بطبيعة بداءتهم ، فشكلوا لهذه المعنوية مجسما وهم يدركون أن الله أبعد مما يتلمسون ، ولكنهم متبينون بأنهم عجزة عن عبادته مباشرة . وانما يعبدون ما يعبدونه ، ليقربهم الى ما عجزوا عن تصوره . ومن ثمة كان يتسرب الى هذا التصور البدائي ان قوة الهيبة قد حلت فى المعبود ولولاها ــ فى وهمهم ــ ما كان لهم ان يعبدوا من دون الله شيئا .

ولقد تطرق الشعراء الجاهليون الى اعتقادهم بالله فى معان واضحة . ومن ذلك قول افنون التغلبي :

لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي
اذا هو لم يجعل له الله واقيا (1)

والبيت من قطعة للشاعر يعلن فيها استسلامه للقدر ، لان المرء مهما احتال لنفسه وعللها باقوال الكهان واحاديث الاماني فانه لا ريب سيلقى الذى قدره الله له .

ويقول زهير بن ابي سلمى :

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم
ليخفى ومهما يكتم الله يعلم

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر
ليوم الحساب او يعجل فينقم (2)

والشعر من معلقته يخاطب فيه خصومه بأن الله يعلم السر فلا يكتموه فيؤخر ذلك ليوم الحساب ، فيحاسبوا عليه ، او يعجل لهم فى الدنيا نقمته .

ويقول المثقب العبدي

وايقنت ان شاء الاله بأنه
سيبلغني اجلادها وقصيدها (3)

والشاعر هنا يحرص على ان توصله ناقته لهدفه ما بقي فيها من قوة . ولكن حرصه لا ينسيه ان ذلك منوط بمشيئة الله .

ويقول طرفة :

فلو شاء ربي كنت قيس بن خالد
ولو شاء ربي كنت عمرو بن مرثد (4)

---

(1) المفضليات 65 / 4 .
(2) الديوان 18 / 110 ــ 111
(3) المفضليات 28 / 13
(4) المعلقات السبع 89 .

والشاعر يرجو ان يكون فى مستوى قيس بن خالد وعمرو ابن مرثد السيدين المذكورين بوفور المال ونجابة الاولاد وشرف النسب وعظم الحسب ، ولكن رجاءه فى البلوغ الى منزلتهما وقدرهما يقيده بمشيئة الله .

ويقول أبو قيس بن الأسلت :

واحرزنا المغانم واستبحنا
حمى الاعداء والله المعين

فالشاعر هنا لا يبهره انتصار قبيلته على من دس عليها ، وانما هو يجعل ذلك النصر من عون الله .

والله باسط الدنيا وقابضها ، والمعطي والمعدم فى شعر ذي الاصبع العدواني :

ان الذى يقبض الدنيا ويبسطها
ان كان اغناك عني سوف يغنيني

الله يعلمكم والله يعلمني
والله يجزيكم عنى ويجزيني

لولا اواصر قربى لست تحفظها
ورهبة الله فى مولى يعاديني (5)

والله المجيب اذا دعي ، فى شعر عبيد بن الابرص :

من يسأل الناس يحرموه
وسائل الله لا يخيب

والله ليس له شريك
علام ما اخفت القلوب (6)

وعبيد شاعر جاهلي قديم شهد مقتل حجر والد امريء القيس وقد قتل عبيد بأمر من المنذر بن ماء السماء جد النعمان ابن المنذر .

وان الله مستأثر بكل شيء فى شعر الاعشى :

استأثر الله بالوفاء وبالعد
ل وولى الملامة الرجلا (7)

ويقضي الله بما قدره فى شعر طرفة :

اذا ما أردت الامر فامض لوجهه
وخل الهوينا جانبا متنائيا

ولا يمنعنك الطير مما اردته
فقد خط فى الألواح ما كنت لاقيا(8)

والله الباقي فى شعر الممزق العبدي :

هون عليك ولا تولع باشفاق
فانما مالنا للوارث الباقي (9)

والنصوص التى ترسم الاعتقاد فى الله لدى طبقات الشعراء الجاهليين كثيرة ومتنوعة ، منها ما يسجل ذكر الله اعتقادا بوجوده ، وعليه اقتصر التمثيل من الشعر فى هذا المقام ، ومنها ما نظم فى صيغة قسم . وهذا الصنف يسنده ايمان للعرب ما يزال بعضها محفوظا نثرا وشعرا فى مجاميع الادب القديمة . وهي فى جملتها مصداق لما ورد عن معتقداتهم فى القرآن الكريم، ولما سجله عنهم التاريخ القديم من كونهم يعبدون الله فى هيئة محرفة .

وهذا من شأنه ان يدعو الى الثقة بما نسب من الشعر الى ذويه يقينا بأن ما يتضمنه من معان روحية يؤكدها الكتاب الذى لم يشك احد فى ان صحة تدوينه وهو القرآن الكريم .

الرباط ـ جعفر الكتاني

---

(5) الاغاني 3 / 9 والمفضليات 31 .
(6) الشعر والشعراء 267
(7) الاغاني 8 / 76
(8) حماسة البحتري 2580
(9) المفضليات 80 / 5

صرامة الواجب في الفكر الأخلاقي

للأستاذ محمد الشوفاني

اذا كانت المرحلة اليونانية من التفكير الاخلاقي قد اولت اهتمامها بالفضيلة كقيمة عليا ، وكموقف رامز للكمال الانساني كما تصوره حكماء اليونان ، موقف الانسان الذى يبحث عن المعرفة والحكمة ، ويتصف بفضائل عقلية وخلقية بغية السمو بالروح، وتحقيق السعادة التى هي ليست الا نوعا من الانسجام بين الانسان وفى مثله ، أكثر منها ميلا الى الانغمار فى بحران من اللذات المائعة الزائلة ، واذا كانت هذه المرحلة قد اعتمدت على الضمير بصيغته الناهية كأساس للاخلاق ومشرع لها ، فان الامر سيعتوره تغير ، يغني ميدان الاخلاق بنظرة جديدة متماسكة، وان كانت تتصف بنوع من الصرامة والعسف ، وذلك على يد الفيلسوف الالماني « كانط » ، الذى راى لا جدوى من محاولات الفلاسفة وهم يخوضون فى مواضيع بسلاح اما ان يكون غير مشحوذ ، واما انهم لم يتمكنوا من استعماله على الوجه الذى تأتي منه فائدة .. واما انهم ــ مرة ثالثة ــ يستعملونه فى ميادين لم يخلق لها اطلاعا . وما ذلك السلاح الذى تولى كانط شحذه والعناية به كواجب اول قبل استعماله الا العقل .. العقل الذى هو فضيلة الكائن البشري الاولي ، الذى يعلو بـه على مستوى الحيوانات العجم . ونتيجة هذا الاهتمام الكانطي ــ بالعقل ، نجده يقسم ميدانه الى جزاين متقابلين : عقل نظري وشانه العلم ، وعقل عملي يهتم بالارادة الانسانية وما يصدر عنها ... وقد خصص كانط لهذا النوع من الدراسة جزءا غير يسير من تفكيره ،

وكتب آثارا مختلفة اهمها : « العقل العملي » و « اسس ميتافيزيقى الاخلاق » بين فيهما ما سمي بالاخلاق الكانطية ، فكان لهذه الاخلاق سمات جوهرية اصيلة جاوزت مرحلة الفضيلة اليونانية ، ووطدت لمرحلة جديدة اثرت فى التفكير الاخلاقي المعاصر . واذا كانت هذه الاخلاق ستتعرض للنقد من لدن فلاسفة لاحقين كشوبنهور او برغسون او دوركهايم ، فانه ، مع ذلك ، لا محيد عن الاعتراف بأن هؤلاء وغيرهم قد اخذوا عنها وتأثروا بها بنسب قد تزيد او تنقص ..

ولنتساءل الآن ما هي بذور هذه الاخلاق التى حظت وتحظى بهذا النفوذ فى التراث الاخلاقي الانساني ... وىم تستقي شرايينها ؟ اذا كان الجواب المباشر ميسورا فان التفوذ الى صميمه لا يخلو من مخاطر ليس الفوز من حظها ابدا .. فالاخلاق الكانطية تستهل تعاليمها برفض كل توجيه وارشاد او تحديد للفعل الانساني والارادة الانسانية يكون منابعها اللذة او السعادة . ان المصلح ، كل مصلح ، فى ميدان العلم او العمل لا يحصل على الصفة تلك الا اذا استبدل بجديد قديما ، والا اذا اقام تصميما للبناء قبل الهدم .. وكانط من هؤلاء الذين قالوا كلمة راوها صوابا .. وتركوا للاجيال اللاحقة ان تقول كلمتها بالتعديل او الاضافة ، فاذا اعمل فكره فى هدم اخلاق اللذة او السعادة فانه اقام مكانها اخلاقا للواجب رآها اسمى من سابقتيها

وتليق بالكرامة الانسانية التي اسها عقل محض ، بالاضافة الى الاحساس الذي يحوم حوله اللذيون والنفعيون و « اصحاب السعادة » مهما هوموا وابتعدوا .

فما هو هذا الواجب ، وما هي مميزاته ، وما هي انواعه ؟

« ان الواجب هو ضرورة اداء الفعل احتراما للقانون . » ها هنا نبلغ مرحلة عصيبة لا تخلو من تعقيد ، فما هو هذا القانون ؟ انه تشريع كلي قبلي موضوعي ، والانسان وحده هو القادر على تمثل هذا التشريع الكلي – والعمل فموجبه من دون الكائنات جميعا ، فالانسان اذن لا يمكن ان يسند اليه القيام بفعل اخلاقي اذا كانت بادرة من ميل او حافز طبيعي يدفعانه الى ذلك ، وانما الفعل الاخلاقي هو فعل يحترم القانون ، اي انه فعل يحترم الانسان كانسان في ذاته لا بقصد من ورائه الى غاية يكون الفعل وسيلة لها وطريقا ، والقيام بالواجب يستلزم ويفرض حرية للارادة التي هي شرط اساسي . ان الواجب بتعبير آخر هو الزام نفرضه على انفسنا بانفسنا لاننا نريد ذلك ، ثم اننا نريده لاننا احرار .

ولعل مثالا هنا ينير لنا الطريق : ان الانسان اذا ارغم على القيام بالصدقة والاحسان من طرف حكومة او هيئة سياسية ما ، فان احسانه هذا ليس له اي ميزة اخلاقية لانه ناتج عن العسف والاكراه ، وهو ليس فعلا اخلاقيا لان عنصر الحرية – وهو الاساس – مفقود فيه ، وهو ليس فعلا اخلاقيا لانه ليس صادرا عن الذات، وانما اوجبته سلطة خارجية. وعلى العكس من ذلك اذا قام المرء بفعل الاحسان بارادة منه تمليها عليه نفسه ، يفعل ذلك وهو شاعر بما يفعل ، وحر فيما يفعل ، فان فعله عندئذ فعل اخلاقي تحقق طبقا للواجب .

لكنه لا يكون بمقتضى الواجب الا اذا فعله صادرا عن احترام لهذا الواجب وتقدير عقلي له كقاعدة لا مشروطة للفعل .

هذا عن الواجب ، غير انه قد لا يمدنا بعلم به بعيد – وهو ركن ركين من الاخلاق الكانطية ، اذا لم نعرض الى خصائصه ومميزاته ، واول هذه المميزات هو ان الواجب صوري محض ، بمعنى انه ليس يقوم على التجربة ولا على اي اعتبار حسي آخر ، وانما قيامه اصلا في العقل . ودليل كانط على ذلك هو ان طفلا صغيرا يمكنه ان يميز حلا اخلاقيا صحيحا اذا عرضت له مشكلة ، وذلك بصرف النظر عن المنفعة او الكسب الذي يمكنه ان يحصل عليهما وليس رائده في ذلك الا الكرامة الانسانية ودواعي الشرف والنزاهة . والميزة الثانية للواجب هو انه منزه عن كل غرض ليس يبغي من ورائه اي منفعة ، فالانسان الذي يؤدي واجبه لا يؤديه وهو يتوقع ثوابا والا كان ثوابه بديلا له ، وعندئذ فان الواجب يفقد قيمته . والميزة الثالثة والاخيرة هي التي تعطي للواجب كيانه وهو انه قاعدة لا مشروطة للفعل بمعنى ان الفعل لا يبغي من وراء تحققه غير الفعل ذاته . . .

فاذا نحن نظرنا الى الواجب في مفهوم كانط رأينا انه يتسم بنوع من الصرامة لا تفسير لها الا ان كانط نظر الى الانسان كقيمة عليا ، واعطاه من التقدير ما قد لا يكون في مكنته القدرة عليه ، لان الانسان غالبا ما يميل مع اهوائه ورغباته ويحيد عن جادة واجبه وان كان يعلم ذلك ، وان الارادة الانسانية مطاطة الى حد كبير ، ولا يمكن حصرها في قواعد وقوانين ، وباسم الحرية نفسها التي هي اساس الواجب قد يخرج الانسان عن الواجب .

قلت ان الواجب هو ركيزة اساسية للاخلاق عند كانط ، لكنها ليست الركيزة الوحيدة ، فكانط يتكلم اول ما يتكلم عن « ارادة طيبة » واذا كنت قد اخرت الكلام عنها فانما لانها هي التي سنجعلها سندنا هنا لتدعيم الواجب عندما تحيد عنه الارادة البشرية في عمومها ، فالمعول عنه عند كانط لكي يأتي الفعل طبقا للواجب وبمقتضاه هو ان تكون ارادة الفاعل خيرة ، ولعل الارادة الخيرة في نظري هي التي تجمع كل تلك الصفات التي الحقت بالواجب والتي اتيت على ذكرها فيما سبق . لماذا ؟ لان الارادة الخيرة ليست فكرة مفروضة من خارج الذات ، لانها مفهوم نابع من ذات الانسان ، وهي متلازمة مع الواجب وموازية له ، وارى انه لا نفع في احدهما بدون الآخر ، فالواجب لا يسمى كذلك اذا لم يكن نابعا عن ارادة خيرة . والارادة لن توصف بالخيرية اذا كانت تتصف بالسلبية ولا تحيل الى الواجب وتحفز على القيام به . ان كانط يعتبر ان الارادة الخيرة تبقى تسطع كجوهرة حتى وان لم تحقق ما تريده ، وهنا تظهر كذلك صرامة الاخلاق الكانطية ، وقد يشعر الدارس لهذه الاخلاق بنوع من التناقض . فمن اين نشعر بهذا النوع من التناقض؟

انا قد نلمس اذا اعتبرنا ان الارادة الخيرة هي حافز للقيام بالواجب ، واذا علمنا ان الواجب ليس شيئا آخر سوى فعل تجاه النفس او الآخرين ، وعندما يقول كانط ان الارادة الخيرة لا تفقد قيمتها حتى وان **بقيت سلبية لا تقدمنا الى الامام ، ولا تملي علينا اي واجب نحو انفسنا ونحو الآخرين** ان كانط يستهل مؤلفه « اسس ميتافيزيقا الاخلاق » بالحديث عن الارادة الخيرة على اعتبار انها الدعامة الاساسية لاخلاقيته فيقول : « الارادة الخيرة » هي — من بين جميع الاشياء التي يمكن تصورها في هذا العالم او حتى خارجه — الشيء الوحيد الذي يمكن ان نعده خيرا على الاطلاق دون ادنى قيد او شرط . »

فقلت ان الارادة الطيبة هي — بوجه ما — الواجب نفسه ، او هي التي تقضي بفعل الواجب ، وقلت ان الواجب كما يعرفه كانط هو ضرورة اداء الفعل احتراما للقانون الاخلاقي . اننا نلاحظ نوعا من التماسك بين هذه الاركان الثلاثة والتي قد لا تكون في حقيقة امرها الا نوعا واحدا وهو الواجب ، حتى يمكننا ان نرجعها كلها اليه بطريقة او باخرى . فما هي انواع الواجب اذن ؟ هناك واجب تجاه النفس ، ويضرب كانط مثالا عليه بذلك الشخص الذي ضاق بالحياة وضاقت به الحياة ، وسدت في وجهه كل سبل العيش ففكر في وضع نهاية لها بالانتحار . وان واجب المرء في هذه الحالة الا يقدم على ما انتوى فعله لان ذلك يخالف واجبه من حيث حفظ نفسه والتمكين لها في العيش بشتى السبل والوسائل ، بمعنى أن وجوده هو غاية في ذاته وليس وسيلة لمتعة او لذة قد تضن الحياة عليه بها . وهناك واجبات نحو الآخرين تتلخص في التعاطف معهم ومبادلتهم حبا بحب ، واحترامهم كغاية في ذواتهم لا وسيلة لتحقيق اغراض شخصية فقط : ويحضرني كمثال على ذلك موقف بطل مسرحية امريكية اخرجتها السينما ، البطل موسيقي فقير يعطي دروسا في قرية صغيرة ليؤمن وسائل العيش له ولزوجته التي يتفانى في حبها ويغار عليها غيرة تبلغ حد الجنون . واتفق ان مر بقريتهم أحد المهتمين بالفن ، واضطر ان يمكث فيها وقتا ليصلح سيارته. فرأى احد اصدقاء البطل ان يقوم هذا بمحاولات لاقناع ذلك الزائر برعاية مقطوعاته والدعاية لها حتى ينتشل نفسه من وهدة الفقر ، ويحقق اطماعه الفنية . وحيث ان الزائر مغرم بالتسلية ، وبما ان الموسيقي يغار على زوجته الى حد الجنون ، فقد اقترح عليه صديقه مرة اخرى ان يبعد زوجته عن المنزل ، وان يحضر امراة عمومية يحقق الموسيقي اطماعه بواسطة اغرائها للزائر نظير مقابل ... وتنجح الخطة الى هذا الحد ، لكن الموسيقي بدافع من واجبه الانساني الذي يحتم عليه ان يحترم الانسان في ذاته وان يعتبره غاية لا وسيلة ، فانه يتراجع في آخر لحظة ويطرد الزائر من منزله . فالموسيقي لم يحتمل ان يتصور الزائر — حتى مجرد تصور خاطيء — انه يستخدم زوجته كوسيلة لاغراض خاصة ، وهذا يقلقه ، فالواجب الخلقي يعارض معاملته الانسان كوسيلة لاطماعه الشخصية ... ربما كان هذا المثال ذا دلالات اخرى ، ولكن الذي يهمني هنا هو هذه اللفتة الانسانية بدافع من الواجب نحو الآخرين ... ثم هناك واجبات تامة وناقصة كما يسميها كانط ويضرب لهما مثالين بذلك الشخص الذي يتوفر على موهبة لكنه لا يتعهدها بالعناية والدعاية ولا يواظب على انمائها ما دام يتوفر له كل وسائل العيش الرغيد .. فالواجب عليه لا يهمل مواهبه واستعداداته . وكذلك الشخص الميسور الذي يرى الآخرين يكافحون ويتعبون ولا يشعر نحوهم بأي نوع من التعاطف قائلا في نفسه ليسعد كل واحد بقدر ما تشاء له السماء ، فان هذا الشخص لا يعارض قانون الطبيعة في شيء ، ولكن واجبه كانسان يحتم عليه ان ينظر الى الآخرين نظرته الى نفسه ، لانه قد ياتي اليوم الذي يحتاج فيه الى مشاركة وجدانية من الآخرين ولا يظفر منهم بفتيل. وكانط يفرق بين الواجب كما عرفه وبين ما يسميه « بالتلقائية المباشرة » ، فمجرد المحافظة على الذات يقوم بها كل انسان ، وكل انسان يحرص على استمرار حياته وعلى تحديد اقامته على الارض بدافع من ميل طبيعي ، فان كان في هذا الشعور ما يسمى بالواجب ، فانما هو واجب ناقص ، اما الواجب الحقيقي فلا يظهر الا عندما تتكالب الآلام على الشخص ومع ذلك لا يفكر في جعل حد لها .

يظهر ان كانط اقلقه هذا الواجب وخاف عليه من عبث العابثين ، والذين في نفوسهم اغراض يتسترون بستار الواجب الموهوم لبلوغها ، ولهذا جعل له اوامر وقسمها الى قسمين : اوامر شرطية واوامر مطلقة ، اما الاوامر الشرطية فهي تلك التي تأمر بفعل للحصول على غاية كأن تقول : « اذا اردت ان تكون محبوبا فعامل الناس بلطف » يظهر هنا اننا نريد الوسيلة لاننا نريد الغاية ، واوامر من هذا

النوع ليست كلية ولا ضرورية وانما تعتمد على التجربة وغايتها نفعية ، ويدرج كانط تحت هذا القسم « قواعد مهارة » و « نصائح فطنة » والغاية منها جميعا انما هو تقديم النصح للحصول على مزيد من السعادة او التمتع بالحياة . اما الاوامر المطلقة فهي اوامر قطعية كلية قبلية لا تتصل بالتجربة ، وليس من ورائها غرض او غاية اللهم الا الواجب ، فقيمتها فى ذاتها ، وعندما تأمر بالفعل فانها تأمر به لذاته . والامر المطلق هو وحده الذى يمكن تعميمه كقانون عملي موضوعي لا كقاعدة تجريبية ذاتية ، ومثال الامر المطلق « قل الصدق ابدا » . فقول الصدق غير مرتبط بجزاء ولا هو مشروط بشرط بمعنى ان الانسان لا يقوم بالواجب الا عندما يقول الصدق من اجل الصدق وحده . ويقسم كانط الاوامر المطلقة الى اقسام ثلاثة كصيغ رئيسية للواجب ، والصيغة الاولى من صيغ هذه الاوامر رئيسية وتقول : « افعل من حيث تريد ان يكون من قاعدة فعلك قانونا كليا للطبيعة » وهذه القاعدة الاولى تعمم فعل الواجب ، فاذا امكن تعميم قاعدة فعلى من غير تناقض ، على الافعال الخارجية ، فهي بذلك تطابق الواجب ، اما اذا ناقضت نفسها فان الفعل حينئذ يكون متعارضا مع القانون الاخلاقي.. وكانط يذكر امثلة عرضت فيما قبل الى بعضها ، فالانسان الذى يعزم على الانتحار اذا ضاقت به الحياة ويستند على حب الذات كقاعدة لفعله فان الطبيعة تناقض نفسها لان غرضها الاسبق هو المحافظة على البقاء .

ونخلص الى الصيغة الثانية وهي « اعمل دائما بحيث تعامل الانسانية فى شخصك وفى اشخاص الآخرين كغاية لا كمجرد وسيلة » طبقا لهذه الصيغة فان الذى يستدين وهو يعد وعدا كاذبا يناقض الواجب ، لانه يعامل الانسان كأداة لتحقيق مصالحه. اما الصيغة الثالثة فهي « اعمل بحيث تكون ارادتك ـ باعتبارك كائنا ناطقا ـ هي الارادة المشرعة الكلية » فالانسان هنا خاضع للقانون ومشرع له . وقد عرضت لقواعد الفعل الثلاث بصفة مختصرة نظرا لصلتها بالواجب حيث انها تأمر بفعله بصفة قطعية كلية .

ولنتساءل الآن هل الواجب واحد ام متعدد ؟ النظرة الاولى تظهر لنا ان هناك واجبات متعددة ومختلفة .. فهنالك واجبات نحو الذات وتتلخص فى المحافظة على الحياة وفى تنمية المواهب الشخصية بكل انواعها وتدريبها على الفضائل ، وهنالك واجبات نحو الآخرين وتتمثل فى الحب والاحترام المتبادل وعدم استعمالهم كغايات لاغراض شخصية ... ولكانط حديث عن واجبات اخرى يسميها «واجبات الفضيلة » ، كما ان هناك غايات يمكن اعتبارها واجبات وتتلخص فى كمال الذات وسعادة الآخرين اما اذا عكستها فتفقد صفة الواجب اي سعادة الذات والعمل على كمال الآخرين ، لكننا بشيء من اعمال النظر فى جميع انواع الواجبات نجدها ترتبط ارتباطا مباشرا بالقانون الاخلاقي ، كما ان مبادئها الصورية ليست فى الحقيقة الا تعبيرا واحدا عن هذا القانون .

ولهذا يمكننا القول ان الواجب واحد وان الغاية من هذا الواجب هو احترام هذا القانون الذى تستخلصه قبليا من الذات قبل حصول اية تجربة ، وانه ناتج عن تمثل القانون الاخلاقي فى هذا التمثل الذى يولد فينا نوعا من الاحترام له . فالواجب يأمرنا بالفعل أمرا قطعيا بدون أن يراد من وراء ذلك غاية ، لانه هو مبدا الفعل ووسيلته وغايته في آن واحد ، واعترافنا بالواجب يحملنا على العمل على تطبيقه كقانون كلي للطبيعة نعمل طبقا له وبمقتضاه .

وبهذه القواعد كان كانط أكبر معبر عن صرامة الواجب فى الفكر الاخلاقي .

الرباط ـ محمد الشوفاني

الدكتور زكي محاسني في ذمة الله

للأستاذ عبد الله كنون

كانت وفاة الدكتور زكي محاسني في الشهر الماضي خسارة كبيرة للادب العربي . فهو اديب ضليع ومؤلف مبدع ، جاوزت شهرته حدود بلاده سوريا ، واصبح علما من اعلام الفكر العربي المعاصر في العالم العربي اجمع ، لا يختص به مشرق دون مغرب ، لانه من الافراد القلائل ، من حملة الاقلام في المشرق العربي ، الذين كانوا يهتمون بالنهضة الادبية في بلاد المغرب ، ويتتبعون آثارها بشغف واعجاب . وهو الى ذلك رجل اجتماعي له علاقات واسعة بعدد كبير من اهل العلم والادب في كل بلد عربي تقريبا ، لا يفتأ يتكاتب واياهم ، ويطارحهم من نفثات يراعه المتقف كل نفيس غال .

والدكتور زكي محاسني له ثقافة عالية ، درس في مصر وفرنسا ، بعد ما حصل على الاجازة في بلده دمشق . وهو يحسن اللغة الفرنسية ، يكتب بها ويقرأ ، ويتكلمها بطلاقة ، على خلاف البعض من المشارقة الذين وان كانوا يجيدون معرفة اللغات الاجنبية ، فان نطقهم بها يكون غير فصيح . ويمتاز الدكتور محاسني ببداهة القول ، وغزارة الانتاج ، وهو ينظم الشعر الجيد ، ويكتب النثر الرصين ، ويعتبر من الادباء المحافظين على الاسلوب العربي المتين في شعرهم ونثرهم . ولما اهديت له ديوان شعر « لوحات شعرية » كتب عنه مقالة رائعة، ولكنه استنكر ما جاء فيه من بعض القصائد على نمط ما يسمى بالشعر الحر ،وشبهه بالميني جيب ! تمسكا منه بفكرة المحافظة ، وامعانا في الحرص على تراث الاجداد ، وان كان في الايام الاخيرة ، بحسب ما قرات له من تعليق على بعض الدواوين الشعرية ، قد لانت قناته بعض الشيء ، ازاء هذا الشعر البدع .

واشتغل الدكتور محاسني بالتدريس في بلده وفي بلاد عربية اخرى ، كما عمل ملحقا ثقافيا في سفارة سوريا بمصر ، ومديرا عاما للتراث ودائرة المعارف بوزارة الثقافة السورية ، وغير ذلك . والف كتبا قيمة منها كتابه عن شعر الحرب عند العرب ، وكتابه عن المتنبي وديوان شعر كبير غير مطبوع وملحمة شعرية عن تاريخ العرب والاسلام . وقد نال باعماله هذه تقديرا كبيرا في الاوساط الادبية بالبلاد العربية ، واخيرا انتخب عضوا مراسلا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة في الدورة الثامنة والثلاثين لمؤتمره السنوي الذى انعقد في يبراير من السنة الحالية ، وكم كنت سعيدا بالتصويت على هذه العضوية التى كانت في محلها باتفاق الجميع .

وعلاقتي بالدكتور زكي محاسني ترجع الى نحو من ربع قرن، حين كتب الي واهداني بعض كتبه . فتوثقت الصلة بيني وبينه على البعد . ولما زرت دمشق في سنة 1957 تلاقينا وتعارفنا شخصيا ، وبالغ في اكرامي ، واهداني بعض طرائف دمشق وبعض كتب قرينته السيدة وداد سكاكيني الاديبة

السورية المعروفة ، الى قرينتي . واظهر كثيرا من السرور والاندهاش لرؤيته اياي بالملابس الافرنجية. فقلت له : ان ملابسنا غريبة على الناس فى الشرق والغرب ، ولذلك تكون مثار انتباه وتعجب ، وحكيت له بعض ما وقع لي من المضايقات فى اول سفر لي الى أوربا مرتديا الملابس المغربيـة . وانا لا اتحمـل تطلعات الناس وملاحقتهم ، ونداءهم : حاجي! حاجي! فضحك ، وبقي مع ذلك يذكر لقاءنا هذا والمفاجـاة السارة التى حصلت له وهو يراني بالزي الافرنجي ، وكان يعرفني من الصورة التى سبق أن قدمتها له بطلبه فى لباسي المغربي الفضفاض !

وكان كلما قدمت له بعض كتبـي يقرظـها فى الصحافة الادبية العربية ويبالغ فى اطرائها ويحليني بحلى واوصاف تكبر وتجل عني كثيـرا، ممنا كـان يوقعني فى خجل عظيم ، وكذلك كان يحليننـي فى رسائله الي ، والاحظ عليه ذلك فلا يبالي ويتمادى فى عمله . ولولا أني اعرف اخلاصه وطيب سريرته وكرم أخلاقه وحسن ادبه لقلت انه يسخر مني ويهزأ. وقد قلت له ذات مرة : انـك لم تـزر المغـرب ولم تعرف من فيه من كبار العلماء والادباء الذين لا اعـد شيئا بجنبهم ، فكيف تحليني بعلامة المغرب واديبه ، فاستمر على عمله وصار يحليـنـي بعلامـة المغـرب والمشرق ، وقال انك تعلمنا اشياء واشياء لا نعرفها !! فضحكت من نفسي واستغفرت الله عز وجل .

ولكني ازاء اصراره لم أملـك الا ان اعلـن فى الصحافة فى بعض اجوبتي له ، عن اعتـذاري ممـا يصفني به ، وابين للقراء انني لسـت عنـد نفسي ولا فى واقعي ، كما يقول الدكتور الصديـق ، وان المودة وعين الرضى وسلامة الصدر هي التى تحمله على المبالغة فى مدحي وتقديري ، فلا يأخذ احد ذلك على حقيقته ، ولا يظن انني راض به او موافق عليه.

ومن اللطائف الادبية التى جرت بيني وبينه انه كتب الي شاكيا من وضعيته فى الادارة، ومجـاوزة بعض الموظفين له ممن هم دونه كفاءة ومؤهـلات ، بل ترؤس بعضهم عليه ، فاجبته مسليا بما يقتضيه الحال ، وانشدته ابياتـا فى الموضـوع تنسـب الى الامام مالك وهي :

اذا رفع الزمان عليـك شخصـا
وكنت احـق منه ولو تصاعـد

انـ له حـق رتبتـه تجـده
ينيلـك ان دنـوت وان تباعـد

ولا تقل الـذى تدريـه فيـه
تكن ممن عـن السـواى تقاعـد

فكم فى العرس ابهى من عروس
ولكن للعروس الدهـر ساعـد

فحلت عنه هذه الابيات محـل الاستحسان ، واجاب عنها بأبيات من وزنها وقافيتها ، يمدحني فيها ويذكر أثر تلك النصيحة فى نفسه . فرجعت اليه جواب هذه الابيات :

صديـق فـى مكانتـه قـريـب
وان كـان المكـان به تباعـد

(زكي) النفس ذو خلق رضـي
فمما قد تنـازل قـد تصاعـد

(محاسنه) على الايام تتلـى
وكائن من بهـا قدمـا تـواعـد

بنى فيهـا علـى اصـل كريـم
ولم يـك عـن مداركـه تقاعـد

واشرت فى البيت الاخير الى سلفه المذكور فى نفح الطيب .

وكتب الي بعد غياب طويل رسالة ضمنها ابياتا ستة مطلعها :

سقى الله عهدا بات ندمان قاطعه
تسائلـه الافلاك ايـن مطالعـه

فأجبته عنها بهذه الابيات :

لئن سلـو الخـل مما يطاوعـه
فلم يفتأ الود القـديم ينازعـه

ومال عن الذكرى زمانا فما انثنت
تناشده العهد الذى هو قاطعـه

فلا يستهن بالود من علقـت به
ورفت عليه روحـه واضالعـه

فان مـودات الرجـال ذخيـرة
يفيء اليها من تضيق مشاعـره

اليك ابا ذكوان مني تحية
كأن شذاها من خلالك ساطعه

وعندي هيام ليس يخبو اواره
باتناجك السهل الممتنع بارعه

فصلني ولا تقطع أواصر بيننا
من الادب المستبدعات صنائعه

وخاطبني مرة اخرى بقصيدة بارعة مطلعها :

غن شعري على شطوط المغارب
ان لي في ربوعها خير صاحب

وتعرض فيها لمدح جلالة الملك. ولم أجبه عليها، لان جوابه المطلوب كان هو استدعاؤه لزيارة المغرب الذى يتلهف شوقا اليه ، مثل كثير من ادباء المشرق الكبار ، ولكن من يستدعيهم أو يحفل بهم ؟ فالدعوات توجه الى الصحفيين والكتاب الاجانب ، لا الى ادباء العروبة ورجال الفكر بالمشرق .

ولما علم بوفاة والدتي رحمها الله، رثاها بقصيدة عامرة وطلب مني ان انشرها فى مجلة «دعوة الحق»، ولكني لم افعل لان المجلة لم تنشأ لمثل هذه الاغراض.

وهذه الاشعار كلها مثبتة فى الديوان الموسوم (صنوان وغير صنوان) الذى ضمنته ما خوطبت به او خاطبت من الشعر ، ومحاورات الاصدقاء الادباء.

وكان الدكتور محاسني يلقي فى بعض الاحيان احاديث ادبية من اذاعة لندن ، وحين يكون موضوع الحديث يتعلق بالمغرب وادبياته ، يشعرني ببرقية حتى انصت لحديثه !.

كما كان يكتب فى بعض المجلات العربية كلمات تحية لي او تقريظ ويفاجئني بقصاصاتها من غير اعلام سابق . ومن ذلك كلمة نشرها فى أحد اعداد مجلة الاديب البيروتية بمناسبة صدور كتابي «لقمان الحكيم» فى طبعته الثانية عن دار المعارف بمصر ، ختمها بهذين البيتين :

لئن طلعت شمس الكواكب فى الشرق
فشمسك فى الآداب تطلع فى الغرب

كذا زين الانسان فى الكون صنعه
فيا باقع التأليف والفكر فى العرب

وذكرت هذين البيتين هنا ، وان لم يكن من المناسب أن أتبجح بشعر فى مدحي ، لاقول : ان فى جوابي عنهما كان تصديرا تضمينيا لقلب المدح الذى تضمناه في اليه ، وورد معناهما عليه، مع تلافي ما وقع فى عروض أولهما من الكف من غير تصريع ، وهذا هو التصدير والتضمين :

يقول صديقي محرز الخصل فى السبق
وناسج برد النظم والنثر بالذوق

(لئن طلعت شمس الكواكب فى الشرق
فشمسك فى الآداب تطلع فى الغرب)

فقلت وقصري ان اساجل وضعه
وانشد فيه ما يماثل طبعه

(كذا زين الانسان فى الكون صنعه
فيا باقع التأليف والفكر فى العرب)

وكان مع هذا الشعر نثر ارسل الى مجلة الاديب ولم اعرف هل نشر بها أم لا ، لان هذه المجلة لا لا تصلني بانتظام .

هذه صفحة من حياة صديقي الحميم المرحوم الدكتور زكي محاسني ، حرصت على ان اثبتها فى هذه المجلة التى كان من خاصة كتابها ، تعريفا بفضله ، واعترافا بجميله ، وتسجيلا لما ربما يغيب منها عن ذويه واصدقائه الكثيرين فى المشرق ، واحياء لذكراه بعد مفارقته لهذا العالم الذى طالما تنكر لامثاله من اهل العلم والفضل ، وتوفية لبعض حقه علينا نحن اصدقاءه ، الذين كان يملأ جنبات حياتنا حبا وصفاء ويفيض علينا من ادبه الخصب وخلقه النبيل، ما تشرق به نفوسنا وتغتبط به قلوبنا .

فسلام عليك ايها الاديب الفذ والاستاذ الاوحد، ورحمة الله عليك وبركاته ونفحاته ، تغشاك فى مرقدك الاخير، بالروح والريحان والمغفرة والرضوان، والعزاء الجميل للسيدة وداد ادبية الشام ، قرينتك ، ولانجالك الغر الميامين الاساتذة ذكوان وذكاء وسماء ، ولجميع اصدقائك وعارفي فضلك فى المشرق والمغرب ، والله يعوض الامة العربية منك خير العوض ، ويخلد ذكرك فى سجل العلماء العاملين ، وانا لله وانا اليه راجعون .

طنجة ـ عبد الله كنون



للأستاذ سليم الرافعي

هل نبرىء العبقرية من تهمة الجناية على الجماعات ؟

او ، هل نبرىء الجماعات من تهمة الجناية على العبقرية ؟

ايهما الجاني : العبقري ، ام التابع المعجب بالعبقري ؟

ثم ، هل العبقري البشري جزء من عبقرية الطبيعة ، فهو اذن يتمتع بطبيعة العبقرية ؟ او ان العكس هو الصحيح ، فتتمتع الطبيعة بعبقرية البشرية ؟

وفى كلا الامرين ، هل العبقرية ضربة لازب يتحملها المرء فيؤديها ، اداء المكلف ، ام هي اختيار يقع فى الضمير ، وفى الشعور ، ويقع فى العقل وفى الحواس ، ثم ينتقل الى الوجود كما تنتقل السلعة من المصنع الى حيث تباع ؟

هل العبقرية ــ هي طاقة الفرد ، او ، هي طاقة الامة ؟

وهل العبقرية فى الامة هي العبقرية فى الفرد؟

=\\//=

انك تنظر احيانا الى قمم الجبال العالية ، كستها الغابات أو كستها الثلوج . ثم تنقل البصر الى ما تحتها من سهول واودية فتحس فرقا شاسعا بين العلو والانخفاض .

القمة العالية زاهية مزدهرة ، حتى لو كانت جرداء ، واحجارها تبدو براقة لامعة ، لانها فى موضع يتلقى أشعة الشمس وأضواء القمر .

وهي ــ شاءت أو ابت ــ تطل على ما دونها من بحار وأنهار ووهاد . وقد يخيل اليك فى ساعة مقارنة عابرة أن تلك القمم تكاد تكون مسئولة عن المقاييس التى اصبحت تقيس بها الاشياء حولها . فانت تسمي الارض المنخفضة ازاءها : سفحا او سهلا او واديا . ولابد أن تتعالى بنظرك حين تتابع معارج القمة . كما لابد أن تخفض بصرك وتحني ظهرك حين ترقب مسارب الوادي او سفوح الجبل.

ولعلك تقول : لا ذنب للسفح ! وقد خفضته قوة لا قبل له بها . ولا ذنب للوادي ، وقد صار مأوى للضباع والافاعي رهيبا .

وانك لتسأل هذه الجحور المحتجبة عن الشمس : ما الذى قعد بها عن طلب المقام الاعلى ــ ما الذى هبط بها الى ذلك القرار السحيق ؟ تركبك الحيرة ، لانك تريد ان تنصف الاشياء ، فالغبن واضح ، والمحاباة لا لبس فيها .

الطبيعة ظالمة ، مظلومة .

وهل جنحت الطبيعة فى تكوينها الاساسي الى احداث هذه المغايرة ؟

سؤال ، ستجيبك عنه - فى صمتها - هذه الجحور والمغاور ، كأنها تقول :

- انك لن تجد فرقا بيننا وبين القمم . الصخور هنا فى الظلمة الكئيبة ، كالصخور هناك فى الاضواء البهيجة . اننا نتكون من عناصر واحدة . ويتداخلنا تراب واحد .

ان تقتنع بهذه الاجابة تماما . وستستمر تحدق فيها ، وتهز الراس أسى او استغرابا . فانه موقف يدعوك الى نبل المشاركة الوجدانية وقد يدعوك الى ابعد من ذلك .

لكن الجحور البائسة ستتابع توضيح بعض الامور بهمسها المؤثر قائلة :

- كل ما فى الامر ان القمم اتيح لها الظهور ، فهي تغرر بالناس كي يتجشموا مخاطر الصعود اليها ، ثم .. تقذف بهم من حالق . فتتلقاهم احضاننا . انك تجد فينا عمق الحقيقة ، فلا بد لك من الانحناء حتى تفهمنا ..

وهكذا تمثل لنا القمم مرتبة العبقرية . فاذا بنا ننظر الى افراد الانسانية بتلك المقاييس نفسها التى وضعتها لنا الطبيعة فى ارتفاعها وانخفاضها ، فنجعل من الانسانية وهادا وسفوحا بينها وبين القمم صلة الوحدة فى التكوين . لكن التقدير لا يزال يباعد بين هذه وتلك مباعدة لا سبيل معها الى اللقاء . فلو لم تكن العبقرية لكان الناس افرادا متساوين فى المواهب كما تتساوى السهول المنبسطة . ولما اضطرت اللغة الى وضع كلمات جديدة تؤدي معاني متباينة . وكنا لا نرى داعيا للقول : هذا الرجل عظيم ، او فذ ، او عبقري .

لكن الانسانية - لحسن الحظ او لسوئه - ظلت تبحث عن العلو والارتفاع والعظمة فى الاخلاق والمواهب ، فتقررت على مر الاجيال هذه المقاييس التى نستعملها الآن . وعلى هذا فالعبقري من الناس لا يختلف عن غيره فى التكوين ، اذ هو كائن بشري نابع من قلب الجماعة ، الا انه يمثل قدرة يحتاج اليها المجتمع ، او يمثل قدرة يسبق بها المجتمع . وترى الناس مسوقين - بحكم الفطرة - الى تتبع العبقري . فهل نعده من اجل هذا مسئولا عما يحدثه من آثار فى المجتمع ؟

لا ريب عندنا ان العبقرية مسئولة على كل حال . وقد راينا رجالا عباقرة قادوا شعوبهم الى مصائر متباينة . فلنذكر على سبيل المثال الاسكندر الاكبر ، ونابوليون بونابرت ، وهتلر وموسيليني ، وستالين وتشرشل ، وما قاموا به من اعمال البطولة فى الحروب بانتصاراتهم وهزائمهم . كانوا قمما تندرج تحتها السفوح والاودية والمغاور والجحور . تحركت فيهم نوازع الطموح والشوق الى المجد ، والحق ان هذه النوازع كثيرا ما تعتمل فى سواهم من عامة الناس واوساطهم ، الا ان القمة ترتفع تلقائيا وتبلغ مستواها الاعلى . فى حين تتجمد الاوساط والسفوح بفعل لا كيفية له ، فتقضى حياة الرغبة والشوق ، والانفعال الخائب . فتوضع لها القوالب ويركبها التشريع وتلزمها الطاعة .

ما من شك ان الجيش اليوناني كان مدينا لعبقرية الاسكندر . لكن . من اين جاء الاسكندر هذا بعبقريته ؟ ان عبقريته ما هي الا الجهد كل فرد من افراد جيشه ، لكن ، هل كل فرد من افراد جيش يستطيع ان يكون الاسكندر ؟ هكذا تحدد الاسكندر . ومثل هذا نقول فى نابوليون وهتلر وموسوليني وستالين وتشرشل . فقد صنعتهم شعوب كل فرد فيها يملك الشوق الى ان يفعل ما فعلوا . لكنه لا يملك الموهبة ، ومن هنا تبدا المأساة .

اصبح العبقري مسئولا حين عجز الآخرون عن بلوغ درجته ، فلماذا يهادن العبقري نظراءه الفاشلين ؟.

تتسع ساحات الحروب لكثير من العاجزين يقودهم منتصر ، قد ينهزم امام خصمه . لكن . ما قيمة هذا ؟ فهو منتصر على تابعيه بتفوقه - اليس هذا كافيا ؟ كان هدف هؤلاء العباقرة ان يبنوا لامتهم مجدا ، تدفع هذه الامة ثمنه من ارواح ابنائها . ثم يصبح مثل العبقري فى تاريخ الامة كمثل القمة الشامخة :ينظر اليها الناس نظرة ملؤها الاعجاب والاكبار .

لقد استغل هؤلاء العباقرة ميل الناس بفطرتهم الى الغلو والمبالغة ، والتفوق ، ولا شك ان المجتمع قد استغلهم ايضا لتحقيق هذه المعاني المتطرفة . فالمسئولية موزعة بين الطرفين .

=\\//=

وكذلك ، فان الحكمة تمثل العبقرية . فنرى الرجال العباقرة من اهل الفلسفة والهداية والمعرفة سواء اكانوا مرسلين ام مصلحين يقررون قواعد ثابتة لفهم نواميس الطبيعة ، او اسرار الاجتماع ، وينهجون للناس نهجا يؤدي الى تقويم السلوك الانساني . ويدعون الى التفاهم والمحبة والسلام ، ويزينون للناس القمم الاخلاقية والمثل العليا ، ويرسمون للاجيال طريق البقاء الصالح . فالفلسفة والنبوة مرتبتان من مراتب الثورة . لكن ، من ينجح في اداء الثورة ؟

هناك عظماء الفكر والوجدان المتصلون بالمعارج العليا ، يحملون شعلة الثورة ليشقوا بها طريق الحياة المظلم . انهم يتحرقون شوقا الى الحقيقة . يرفضون البدن او يقبلونه ، وفقا لخطة بازغة او الهام مشرق ، يقودون النفس او العلم او الحب لانهم لا يعترفون بخلود الجحور والمغاور ، فاذا نجحت الثورة شملت العالم كله ، لان هؤلاء مرتبطون بالعالم كله .

ان العبقري الحكيم يدعونا للاعتراف بلحظة الصفاء بلحظة الحقيقة، وكلنا نتداعى الى ذلك، لكننا لا ننجحق احداث الثورة المضيئة ، ومن هنا تتوافد المذاهب والاديان والمحاولات جيلا بعد جيل ، ويتنزل المدد العبقري في رسالات موسى وعيسى ومحمد . وتنتظم الجماعات او تتفرق ، لان الجماعات المؤمنة كالجيوش المحاربة ، قد تعجز عن فهم مرامي القيادة واهدافها . ومن هنا تبدا المأساة .

والفيلسوف اليوناني مثلا كان يشق بفكره حجب الظلام ، فاذا تراءى له شيء تراءى ـ على الفور ـ للانسانية كلها . فهو ليس يونانيا ، لكنه انساني ، وها هنا فرق عظيم بين الحكيم وبين الزعيم السياسي او العسكري . الحكيم ينشد الحياة والسداد والانتصار الدائم المنظم . انه يقود من الداخل وقيادته تشمل النفس والعقل والفعل المادي والمعنوي بكل اشكاله وصوره ، فهو لا يتزعم موقفا مبنيا على عقدة نقص ، او بؤرة كراهية ، كما يفعل الزعيم السياسي او العسكري . من اجل هذا اطرد سير المعرفة وانتصرت ، في وجه اباطيل المحرضين والمهيجين . ولنا ان نفسر ، من هذه الزاوية ، اخفاق حركات كبيرة جاشت بالحقد والبغض ، فكانت شرا على اصحابها ، كما نستطيع ان نفهم من هنا ايضا انتصار حركات متواضعة اتسمت بالعمق والرزانة ، والاطلاع الشامل .

ان هتلر مثلا ، لم يكن ضعيفا . بل كان قويا جدا . لكن قوته لم تكن هادية مضيئة ، فالنظر الى القوة لا بد ان يصحبه نظر الى الرشد والسداد . وهكذا اتجهت العبقرية الى هدفين متناقضين : هدف الحب ، وهدف الكره . وهكذا نقول : ان الفلسفة حب ، كما ان العلم حب ، اما الدين فانه حب لكونه مزيجا من الفلسفة والعلم .

=\\//=

وفي عالم الادب ، يعلم دارسو اللغة العربية وآدابها ، أن ابا الطيب المتنبي كان ينشد شعره بين يدي سيف الدولة جالسا ، مستقرا ، وانه اشترط ذلك على الامير اشتراطا . فما الذى دعا الامير النابغة الى القبول بمديح مشروط ؟

الجواب كلمة واحدة : العبقرية !

تجلس العبقرية مواجهة للعبقرية . لان القمم تتلاقى في السماء .

ونهض الشاعر بعبقريته وحلق بها ، فاصبح مسئولا عن مستواه ، كما اصبح مسئولا عن عصره . وروى التاريخ بعد ذلك ان شعراء كثيرين حاولوا منافسة المتنبي ، وانهم دسوا له كثيرا من التهم متعمدين الاساءة اليه . فقد تجاهل هؤلاء ان العبقريةاعلى من سرقة بيت او النظر الى معنى . فقد يتطرق المتنبي الى معنى تطرق اليه غيره من الماضين او المعاصرين له ، لكن الشاعر العظيم يقود المعنى طوعا او قسرا ، ولا يحتاج الى من يسعفه به. وهذا هو لب المسالة اذا اردنا تحديد الفرق بين شاعر وشاعر .

شعر العبقري شعر امته كلها ، اي شعر جاهليتها واسلامها ، فهو يلبس عصره مؤقتا ، ويرتدي ملابساته مؤقتا ، ويقوم بدوره الحياتي الخاص به مؤقتا ، ويعيش مجتمعه مؤقتا ، اما عبقريته فقد ارتبطت بالكل لا بالجزء . فمن الصعب جدا ان تقول ان المتنبي شاعر الامير الحمداني ، ومن السهل ان تقول : انه شاعر العصر العباسي ، ومن الاسهل القول : انه شاعر الامة العربية .

فالامة لغة . وكل شاعر يشتهي ان يكون لغة امته ، لكن الامة تحدد شاعرها بوضوح .

من اين اتانا المتنبي بهذه الحكم الفريدة ؟

لا شك انها حكم معروفة لكل انسان . لكن العبقرية اللغوية خصصتها تخصيصا . يدخل الشاعر عالم المعاني طليقا ، ويخرج منه اسيرا ، فهو يملك اسلوبه والناس لا يملكونه ، لكنهم يملكون اللغة ، فاذا قراوا للشاعر بيتا ادركوا على الفور ان المعنى قد انحبس في الفاظه، فنظروا حينئذ الى الشاعر نظرتهم الى سجان قادر لا يستطيع سجينه منه فرارا . لحظة اعجاب ، تليها لحظة من التامل والتروي ، ثم يصدر حكمهم على الشاعر ، فهم لا يقولون : يا له من سجان ! لكنهم سيعترفون بقولهم : يا له من شاعر ! لماذا حبسنا الشاعر بعده في سجن الاعجاب ؟ ما الذى جناه شاعرنا العبقري ؟

لقد وجد لغة فتناول منها ما شاء ، ووجد معاني فاخذ منها ما شاء ، ثم ذهب . اما شعره فلم يذهب. فماذا يقول النقاد ؟

ساجيب دون مبالاة : تبا للنقاد ! يضيع وقتنا عبثا في تتبع نظرياتهم العرجاء ، فلماذا لا ننصف الشاعر والنقاد معا ، فنقول : انهم حاولوا التقليل من شانه، فما استطاعوا ذلك . لانه جنى عليهم كما جنى على مناظريه ومنافسيه .

ان العبقرية في الشعر اكبر لطمة توجه الى النقد ، والى المعاجم ، والى كتب اللغة عامة !

الشاعر العبقري هو المجنون الذى يقلب القاعة على العقلاء راسا على عقب ، فيهرب هؤلاء . ولابد لهم من ذلك. لانشكل القاعة سيتغير حتما. وسينشا وضع جديد لا يسوغ لاذواقهم . وهكذا ينمو الادب ، وما اتخذوه الشعر مثالا الا لانه اوفى ضروب الادب كيانا ، والصق بالوجود اللغوي والوجود الانساني والعاطفي للامة ، فاننا عرفنا امما تجهل المسرحية ولم نعرف امة تجهل الشعر على الاطلاق . فاذا ورد هذا السؤال : اي الامتين اعظم نصيبا في الادب : اليونانية أم العربية ؟ كان الجواب حتما : انها الامة التى حبست وجودها المعنوي داخل اللفظة اطول مدة ممكنة .

الخلود انحباس . والعبقرية انحباس . لهذا تسقط الامم التى لا تنحبس في عقيدتها وشعرها ونثرها وفلسفتها .

فهل جنت العبقرية الادبية على الامم ؟ او ، هل جنت الامم على العبقرية الادبية ؟ وأيهما المسئول: الجاني ، ام المجني عليه ؟ ولماذا تمضغ البشرية ابيات الشعر ، وفصول النثر كلما ارادت ان تلجأ الى المنطق او العاطفة ؟ لماذا لا تلقي البشرية هذه الآثار كومة واحدة في سلة المهملات ؟ هل تملك انسانية الجراة على الاجابة بهذا القول :

– ان العبقرية مسئولية تلاحق الانسانية وتلاحقها الانسانية ؟

طرابلس – لبنان : سليم الرافعي



معالم أساسية في تاريخ الصحة العقلية

للأستاذ العربي الزنايدي

لم يكن الاهتمام بالانحرافات العقلية وليد العصر الحديث بل انه يرجع الى عهود سحيقة ، الا ان فكرة تنظيم الخدمات في ميدان الصحة النفسية بطرق فعالة لم تر النور الا في اوائل القرن التاسع عشر. وقد تاثر تطور العلاج العقلي بالمفاهيم السائدة عن العوامل المفضية الى الامراض العصبية . فكانت تعلل قديما هذه الامراض بمس من الشيطان ، ولا زالت ، حتى في ايامنا هذه ، شعوب ترى أن مرضى العقول متلبسون بأرواح شريرة . واليوم يحاول العلم الوقوف على اسباب المرض النفسي من الناحية التشريحية البحث من جهة ثم التعرف على العوامل الوظيفية من ناحية اخرى ، تلك العوامل التى ينشأ عنها خال في وظيفة الاعضاء وان كانت الاعضاء سليمة من الوجهة الطبية ، وكمثال على المرض الوظيفي ما يعرف بالعمى الهستيري الناتج عن عوامل نفسية ، حيث تكون العين سليمة لكنها تفقد في هذه الحالة وظيفة الابصار . فالدراسة العلمية الحديثة في هذا الميدان تحصر اهتمامها في العوامل الجسمية وظروف التنشئة الاجتماعية على اعتبار أنها المكونة للشخصية منحرفة كانت أو سوية .

وقد كان الاغريق القدامى اسبق الامم في الاهتمام بميدان الصحة العقلية فرعوه حق رعايته ، وتنبأوا قبل غيرهم بأسس العلاج العقلي رغم انهم وقعوا تحت تأثير الاعتقاد القديم الذى يقر بان حلول ارواح الجن في المرضى هو سبب الانحراف . وقد شاع بينهم الراي القائل بأن من اراد الله هلاكه اصابه بالجنون . وانصرف اهتمام اليونان الى تاسيس مراكز الاستشفاء مقتدين في ذلك بالمصريين قبلهم ، واولوا الجسم اهمية كبرى في حالتي الصحة والمرض على السواء وردوا اليه حالات كثيرة من الاضطرابات النفسية ، وقد اشتهر منهم على الخصوص هبوقراطيس في القرن الخامس قبل الميلاد كرائد لعلم الطب ، وقد افرد للصرع دراسة دقيقة وكتب عنه كثيرا ، وفكر في علاجه عن طريق حمامات خاصة وبواسطة التدليك وانواع معينة من الطعام . اما افلاطون فقد اوكل امر المريض عقليا الى اهله واوصى بعدم فصله عن اسرته ، فيقول في « جمهوريته » : « احجز المجنون في بيته ، واجعل اهله يحرسونه » .

اما العرب فقد فاق وعيهم الحد في مجال العناية بمرضى العقول ، وانشأوا مؤسسات للامراض العقلية شبيهة بما هو موجود في عالمنا المعاصر . ويحتفظ التاريخ بنبذ من ايام الرشيد والمامون تبرهن على تقدم العرب في هذا الباب . فهناك نص يشير الى طريقة العلاج بجس النبض ، وقد عالج ابن سينا بفضلها احد الامراء وابراه من سقمه ، فقد ظن ابن سينا ان هيام هذا الامير باحدى الفتيات هو الذى هد صحته واطار صوابه ، فطفق يجس نبض الامير ويذكره بامور تتعلق بمحبوبته وبذلك تاكد من ان قلب الامير متعلق بها وان شفاءه مقرون بزواجه منها . وتؤكد نصوص اخرى ان امراة اصيبت بشال هستيري فما كان من ابن سينا الا ان باغتها وحاول على مراى من الملا أن

يكشف على جسمها فقاومت وارادت منعه من ذلك ، فذهب عنها الشلل !

ولقد ازدهر الطب النفسي ايما ازدهار في بغداد خلال القرن الثاني عشر الميلادي وعرفت الخدمة الاجتماعية النفسية تقدما مطردا ، واستهدفت ابحاث المسلمين في هذا المجال الدوافع الاجتماعية والازمات الانفعالية اثناء عملية التنشئة في الاطار الاجتماعي وخاصة داخل الاسرة على اساس ان الامراض والانحرافات النفسية هي نتاج سوء توافق الفرد مع الجماعة في وسط دوامة الانفعالات الحادة .

واما اوربا القرون الوسطى ، فقد تبنت فكرة التلبس ، وساد فيها الاعتقاد بأن النساء المريضات عقليا ساحرات ، وتبعا لقانون السحر المعمول به في العصر الوسيط تعرض هذا الصنف من النساء للحرق ، وقد احرق منهن خمسة آلاف امرأة خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، وقد تركزت الخدمة العقلية على الخصوص ابتداء من القرن الرابع عشر في قرية تدعى غيل (Ghiel) حيث يوجد ضريح القديسة كانت بنتا لملك ايرلندي، ويقال انه راودها عن نفسها فهربت منه الى هذه القرية واقامت بها الى ان توفيت ، فأحاط الناس قبرها بهالة من التقديس واعتبروا ان من زاره شفي من مرضه العقلي ، فكان الناس يهرعون الى ضريح هذه القديسة صحبة مرضاهم حيث يعيشون بين اهالي القرية الذين نما لديهم الوعي والتقدير في شأن خدمة ومعاملة المرضى عقليا ، ولا زالت هذه القرية الى يومنا هذا مضطلعة بهذه المهمة واستعانت في ذلك بالوسائل العلمية الحديثة ويعد مستشفى الامراض العقلية بها من اعظم المستشفيات يقيم به حوالي ثلاثة آلاف مريض طلبا للاستشفاء .

وفي القرن الرابع عشر وما يليه وقع تقسيم المرضى عقليا الى طائفة البلهاء ضعاف العقول وهؤلاء يتعهد الملك بالمحافظة على املاكهم ، واذا مات المريض انتقلت ثروته الى الملك ، ثم هناك طائفة مرضى العقول او المجانين ، وكانت توضع املاكهم تحت رعاية الملك الى ان يتم شفاؤهم ، فالاهتمام في تصنيف المرضى لم يكن في اول الامر على اساس انواع الامراض العقلية وانما تبعا لدى قدرة المريض في تدبير شؤونه واملاكه . وفي هذه الفترة وحتى اواخر القرن الثامن عشر كانت معاملة الشواذ على اسوأ ما تكون المعاملة ، فكانوا يربطون بسلاسل من حديد ولا يؤخذ في شأنهم بمبدأ التصنيف تبعا للجنس والسن ونوع المرض ، وقد استعين في طريقة العلاج بالماء والصدمات المفتعلة وبيركة بعض العيون المائية والحمامات الساخنة والباردة ، ونحن نرجع جدوى بعض هذه الوسائل فتعرض المريض للصدمات المصطنعة كالالقاء به من شاهق فيقع على شبكة واقية او ربطه بعجلة تدور بقوة او ضربه ضربا مبرحا ، كل ذلك من شأنه احداث تشنج هستيري يكون مناسبة لاستقامة المريض وعودته الى عالم الاسوياء . وكان يدخل ضمن المعاملة القاسية ازاء المرضى حجزهم او بمعنى اصح سجنهم في سجون غاية في القذارة هي ذاتها التي يحجز فيها المجرمون ، ولم يقتصر الامر على تصفيدهم بالسلاسل والاغلال بل كانوا يتعرضون للسع السياط بعد أن يعطوا نوعا من المخدرات تجعلهم في حالة ذهول عند جلدهم ، والغرض من هذا الضرب هو طرد الجني الذي حل جسم المريض اعتقادا بأن مصدر الشذوذ العقلي فوق الطبيعي . واذا كانت هذه الاجراءات تثير دهشتنا اليوم ، فما يدرينا ان تهكم علينا احفادنا عندما يقرأون تاريخ الصحة العقلية فيجدون اننا استعملنا ضد مصابينا الصدمات الكهربائية ، الا يحكمون علينا باننا كنا قساة في معاملة مرضانا وانهم أراف بهم منا حين استبدلوا عملية تسليط الصدمة الكهربائية على المريض بغيرها ؟

وابتداء من القرن الثامن عشر تبلور اتجاه المحافظة على المجتمع من المرضى نفسيا ومعاملتهم معاملة رحيمة انسانية ، ومنذ ذلك شرع في تأسيس مؤسسات للعناية بهم ، وممن لهم يد بيضاء في الحث على معاملة المنحرفين باللين والشفقة جون هوارد John Howard الباحث والمصلح الانجليزي، فقد انصرف اهتمامه الى دراسة السجون الانجليزية ، فاعد بحثا شاملا لهذه المؤسسات توخى فيه الموضوعية والحقائق الواقعية المدعمة بالارقام ، فاثار الراي العام واستدعاه البرلمان للمشاركة في وضع قانون اصلاح السجون وانشاء المستشفيات . وفي كتابه « حالة السجون » نصح بمعاملة المرضى والمصابين عقليا معاملة راضية كما اكد ضرورة تصنيفهم من حيث الجنس والمرض والسن .

وفي الربع الاخير من القرن الثامن عشر تزعم في كل من فرنسا وانجلترا وامريكا ثلاثة اطباء فكرة

فك قيود المرضى عصبيا وضرورة ايوائهم في مستشفيات : بيني في فرنسا وتيوك في الانجلترا ورسك في امريكا .

ومن العوامل الاساسية في تقدم الوعي بالصحة النفسية انتشار دراسة حالات الهستيريا على يد بروير Breuer وفرويد Freud ، وقد سجلت دراساتهما بدء حركة جديدة في علم النفس والعلاج النفسي . وعندما اعتمدت العلوم في تقدمها البحث العلمي خلال القرن التاسع عشر استفاد الطب العقلي من ذلك بنصيب كبير ، ودخلت وسائل البحث العلمي ميدان علم الامراض العقلية على الشاكلة التي ولجت بها العلوم الاخرى .

وقد بدات حركة الصحة العقلية في امريكا سنة 1908 بظهور كتاب كليفورد بيرز وعنوانه « عقل وجد نفسه » وهذا الكتاب عبارة عن تسجيل لحياة المؤلف وخبراته الشخصية وهو مصاب بمرض عقلي داخل احد المستشفيات ، وبفضل حجته الدامغة سرحت حركة اصلاحية في طرق التعامل مع مرضى العقول على اسس ناجعة . وفي سنة 1909 شكلت هيأة دولية للامراض العقلية . وبعد ذلك بعشر سنوات فقط اصبح في الولايات المتحدة وحدها عشرون مؤسسة للصحة العقلية وما يعادل هذا العدد في جهات اخرى من العالم .

وقد نبهت حركة الصحة النفسية بامريكا الى ضرورة رفع مستوى الكفاية الطبية في المستشفيات وذلك بتمكينها من استيعاب عدد كبير من المرضى ، وعلاجهم طبقا لاحدث الوسائل ، ثم تصنيفهم حسب امراضهم مع التاكيد على ان هناك طوائف لا يستهان بها من ضعاف العقول ومن المصابين بالصرع يجب تمييزها وفصلها ضمن مجموعة مرضى العقول . كما لفتت هذه الحركة الانظار الى اهمية الاحصاء في هذا المجال ، فمثلا دلنا الاحصاء في دراسة الامراض العقلية بمدينة نيويورك على ان من بين اثنين وعشرين مريضا يوجد شخص قضى او يقضي فترة من حياته نزيلا باحد مستشفيات الامراض العصبية ، وثبت ان عدد المرضى المقيمين بالمراكز الخاصة بالمرض العقلي في تزايد اكثر اذا قيس بالعدد الذي تؤويه المستشفيات العادية ، ولوحظ ان نسبة ضعاف العقول كانت مرتفعة بل الغالبة بالنسبة لمرض العقول. كما اكتشف ان هناك نسبة عالية من الاطفال بمدارس الولايات المتحدة ممن لا يقدرون سواء من الناحية العقلية او الوجدانية على التوافق بله على تادية عمله المدرسي ، وتبين للمهتمين بالاجرام ان نسبة كبيرة من المنحرين تعزى الى الضعف العقلي وان طائفة عظيمة من مرتكبي الجرائم يمكن ان تنعت بالاضطراب العقلي .

ثم شملت حركة الصحة النفسية الميدان الصناعي متوخية توفير اسباب التوافق للعمال في شغلهم . وقد قامت ثلاثون دولة بمسح صحي عقلي طبعت تقاريره سنة 1927 مما نبه الاذهان وحفز الى سن قوانين خاصة لتحسين احوال المصابين عقليا ، ووضع نظم موحدة في ميدان المرض العقلي تتعلق بالوسائل الاحصائية ، وانشاء اقسام في المستشفيات على اساس التفرقة بين انواع الانحرافات العقلية .

وتلا هذا التطور انشاء العيادات « الخارجية » التي مكنت المريض من الحصول على العلاج بدون ان يقيم في المستشفى بل تعدى الامر ذلك الى معالجة المريض وهو في منزله دون ان يبرحه بعيدا عن المستشفى والعيادة معا على شرط ان تكون هناك تقارير متبادلة بين هذا المريض « الخارجي » وبين الطبيب المختص او المشرف على العلاج ، وبذلك اتسع نطاق الاشراف على مرضى العقول وعلاجهم .

هكذا اصبحت حركة الصحة النفسية شاملة تعم جميع الميادين وتستهدف تهييء البيئة الكفيلة برفع مستوى الوعي النفسي وتخفيف وطأة الانحراف الاجتماعي واتخاذ الاجراءات الوقائية في كل مرفق من مرافق المجتمع .

الرباط ــ العربـي محمد الزنايـدي

العوامل الداخلية في انحراف الأحداث

للاستاذ محمد شمس الدين

يركز الباحثون فى مجال تعداد العوامل الداخلية فى انحراف احداث على تفسير سلوك الانحراف بانه بيولوجي او نفسي ، وكلا هذين مذهبان فرديان يشددان على ان الانسان كفرد ـ هو المقصود بكل حال ، على أنه يخالف كثير من العلماء هذا الاتجاه اذ يربطون عوامل جنوح الاحداث بعناصر لها صلة بالبيئة المادية والاجتماعية .

ويأتي فى طليعة العوامل الفردية الداخلية للانحراف : الوراثة والاختلال الغريزي والضعف العقلي .

وفيما يلي المامة سريعة ببعض الاصول التى يتركز عليها اهتمام اولئك الباحثين .

الوراثـــة :

لا شك بان العالم الجزائي الايطالي « لمبروزو » يعتبر من المبرزين فى مؤسسة «الاجرام بالفطرة» اي انه يدرس شخصية المجرم على اسس بيولوجية محضة ، والمجرم فى نظره هو ذلك الذى يعتاد على الاجرام لاسباب اصيلة فى تكوينه البيولوجي وقد ورث الاستعداد للجريمة مع مجمل ما ورثه عن آبائه واجداده وله سمات وصفات مميزة يجب ان نبحث عنها فى تكوين اعضائه ووظائفها وفى حالته الروحية والنفسية ، اذ هو من حيث تكوينه الجسدي مديد القامة ضعيف العضلات متضخم كهف العين ، ضيق الجبهة .. الخ .. اما من حيث حالته الروحية والفيزيولوجية فهو مجنون او مريض او مصاب بمرض القلب وذلك ناشيء فى الاغلب عن اضطراب دماغه وسوء تكوينه وهو اخيرا ذو حساسية ضعيفة .

هذا الاتجاه الذى يضع للعامل البيولوجي الصدارة الاولى فى تكوين الاجرام كان موضع نقد قاس وقد اخذ بالانكماش والاضمحلال فيما بعد عندما تقدمت الدراسات الانسانية التى بينت لنا الدور الخطير الذى تلعبه البيئة فى تكوين شخصية الانسان وبالتالي فى تحديد سلوكه بحيث ان كثيرا من الحالات الاجرامية يختلط الامر فى تحليل نشوئها وسبب ارتكابها وهل هو موروث ام مكتسب ؟! وفضلا عن ذلك فان الاعتقاد بالاثر الحاسم للوراثة ينطوي على خطر بالغ اذ يشجع المربي على اغفال العوامل الاجتماعية التى تساعد على الانحراف ، وبذلك تتعمق المشكلة .

الغرائـــز :

الغرائز بمفهومها السيكولوجي هي تلك القوى الفطرية التى تدفع الانسان الى الاتجاه نحو سلوك معين ويذهب البعض الى تقرير انها مصدر الطاقة الحيوية للنشاط البشري التى تعمل على تحقيق اهداف او اغراض معينة وهي من هذا القبيل متصلة بالوراثة التى تشكل عاملا مهما فى تكوين الشخصية.

لا ريب في ان اهم الغرائز التي اولاها علماء النفس بحثا وتمحيصا هي غرائز الجنس والجوع والمقاتلة والهرب ، وهي بمجملها لا تعبأ في الحقيقة بالزواجر والروادع الخلقية وتحريم الشرائع الدينية والوضعية ما لم تتعدل وتتهذب بالتربية الصالحة والتوجيه السليم .

والدوافع الغريزية الرئيسية ترجع الى نوعين عضوية كالحاجة الى الطعام واشباع رغبة الجنس ورفع الضرر ونفسية تهدف الى تحقيق الشعور بالامن والطمأنينة في ظل بيئة كثيرا ما تقسو ... ولهذا فان انجع دواء في تقويم تلك الدوافع في حال انحرافها هو ازالة التوتر وابعاد الالم . ومن هنا يبرز دور التربية والتوجيه وفعاليتهما في اصلاح الناشئين والاخذ بأيديهم الغضة في طريق قويم لا عوج فيه .

الضعف العقلي :

يحسن بنا قبل الكلام على دور النقص العقلي في تعليل السلوك الاجرامي لدى المنحرفين ان نعدد درجات ومستويات هذا النقص .

ان النقص العقلي يتجلى في العته والبلاهة والغباء وكل هذه الحالات انما تعني عدم اكتمال النمو الكافي للعقل الانساني سواء اكان بسبب عوامل داخلية وراثية او بسبب اصابة مرضية تلحق بالمرء في حياته او في بطن امه قبل ولوجه باب هذه الحياة .

1) مظاهر العته

بادىء ذي بدء تشير الدراسات الى ان نسبة ذكاء المعتوه تقل عن 25 بالمائة ، وطبيعي ان من كانت نسبة ذكائه عند هذا الحد يعوزه بعد النظر لمعرفة وجه الخطأ او الصواب في تصرفاته ولذا كثيرا ما نراه قاصرا عن تقدير النتائج المترتبة على اعماله السيئة وافعاله غير المشروعة وعاجزا عن حماية نفسه من الاخطار . كما اننا نراه يتميز عن غيره من الاشخاص العاديين بتشوهات وعاهات مختلفة في بعض اعضاء جسمه وبمظاهر بادية في خصائص عقلية وانفعالية كضعف التخيل والتذكر وعدم القدرة على الاستنتاج ، وكل ذلك يجعله غير مشيب لسلوك مضاد نحو مجتمعه .

2) البلاهة :

ان المعيار المعول عليه في التفريق بين المعتوه والابله هو نسبة مستوى الذكاء فهي عند الاخير لا تزيد عن الخمسين بالمائة بينما تقل عن نسبة 25 بالمائة عند المعتوه كما قدمنا . والابله يعتبر ايضا متخلفا وعاجزا عن التكيف مع مطالب الحياة حتى العادية منها وعن متابعة التعليم وتحصيل القليل من المعرفة الا بعد جهد جهيد وعناية شديدة .

ولا شك بأن كلا من المعتوه والابله معرض لارتكاب جرائم ولكنها بمجملها ضئيلة نظرا لقلة التفكير لديهما ولكونهما موضع الحذر والحيطة من قبل ذويهما ومحيطهما في الاغلب .

3) الغباء :

يعلو مستوى ذكاء الغبي بنسبة النصف عن مستوى الابله ولهذا فانه يتسم برقي نسبي في قدرته العقلية عن زميله ، ومما يميزه تبلد الفهم والبطء في الاستدلال العقلي والاستفادة من تجارب الحياة .

وان بيت القصيد في بحثنا لانواع الضعف العقلي وتعداد صوره واشكاله هو تقرير ماذا كان ذلك الضعف يعد ملازما بالضرورة لجنوح الحدث .

لقد اختلف الرأي بين العلماء حول هذا الامر فقد ذهبت طائفة منهم الى القول بانه توجد علاقة ايجابية بين الاحداث المصابين بالضعف العقلي والسلوك المضاد للمجتمع ، بينما ذهبت طائفة اخرى الى العكس ، وفيما يلي اقوال تمثل رأي كل منهما .

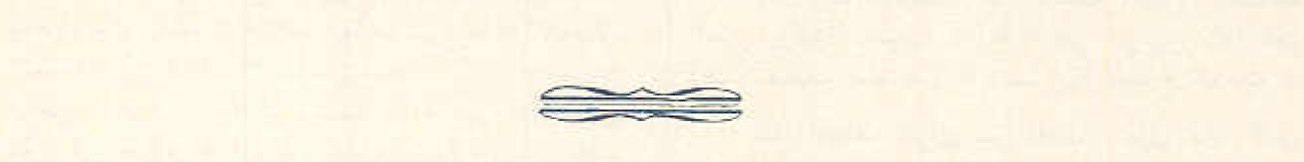
يقول بيرس Pearce ان متوسط ذكاء الاحداث الجانحين اقل بكثير من ذكاء الاطفال الاسوياء .

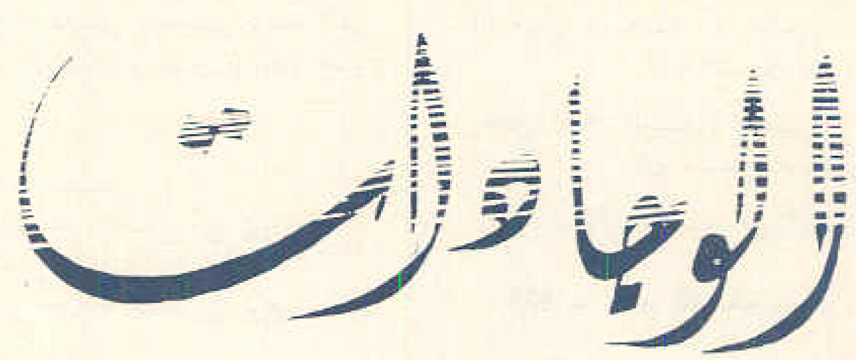
ويقول جوداد Goddad ان الضعف العقلي عامة يكفي وحده لتفسير السلوك الجانح . وخلافا لما تقدم اكد الطبيب ستيين Stein الطبيب العقلي لمحكمة احداث شيكاغو أن من دراسته عام 1937 على 705 حالات من الاحداث الجانحين تبين له ان توزيع ذكائهم لا يختلف عن توزيعه في غيرهم من الاحداث الاسوياء .

وقد اكد هيلي Healy ان المستوى الذهني عامة لا يميز بين الاحداث المنحرفين وأمثالهم من الاسوياء واذا جاز ان يكون له بعض الاهمية فان المسالة تصبح مسالة حالات فردية .

وخلاصة القول أن العلاقة بين مستوى العوامل الداخلية للحدث من ذكاء وغرائز ووراثة بالاجرام والانحراف فى شتى الوانه ليست علاقة العلة بالمعلول ، واذا وجد احد تلك العوامل فلا يعدو ان يكون طريقا يساعد على الانحراف اذا رافقته ظروف اخرى هي تلك الظروف البيئية والاجتماعية. . . ومن هنا كان على الباحثين ان يعتمدوا على بحث دافع الجريمة عند الحدث او سواه بصورة متكاملة ومن جميع جوانبها .

لبنان ـ محمد شمس الدين





للاستاذ : عبد القادر زمامه

401 ـ اكرام كلاب الضيوف ...!

وجدت في فهرسة ابي القاسم العميـري ... عند ذكر الشيخ احمد بن عبد القادر التساوتي :

« ومن ذلك انه وفد على صاحب الترجمة في داره فتية من اولاد الشيخ سيدي ابي يعزى نفعنا الله به . في خروجهم للصيـد فاكرمهم وطعـموا ، وشربوا ، ثم خرجوا من عنده . وخرج معهم فوجد كلابا بالباب اعدوها لصيدهم . فقال لمن هذه ..؟ فقالوا لنا ...! فعاتبهم حيث لم يخبروه بها . وقال فيما عاتبهم به :

ـ اليس بعار ان تكون هذه الكـلاب تصطـاد لكم ، وتنزهكم ...!! لم تدخلون وتتركونهـا . ولا تخبروني بمكانها ..! ما هذا شان صحبة الكرام ..! ثم اقسم عليهم الا ينصـرفوا حتى يصنع لها طعاما..! ثم اخذ في مداعبتهم ومحادثتهـم ومؤانستهم حتـى حضر ذلك الطعام ووضعه بين ايـدي الكـلاب ..! ووقف عليها بنفسه حتى اكلت ثم ودعهم وانصرفوا عنه شاكرين ولكرم خلقه وحسن ضيافته شاكرين..!!

راى المجنون في البيـداء كلبـا
فجـر لـه مـن الاحسـان ذيـلا

فلامـوه علـى ما كـان منـه
وقالـوا قـد انلـت الكلـب نيـلا

فقال : دعوا الملامة ان عينـي
راتـه مـرة في حـي ليلـى

402 ـ الحياة مع الحيات ..!

وجدت في وفيات الاعيان لابن خلكان ج 4 ص 118

« وفي اخذها ـ طليطلة ـ يقول ابو محمد عبد الله بن فرج بن عزنون اليحصبي ويعرف بابن العسال الطليطي ...

حثـوا روحلكـم يا اهل اندلـس
فما المقـام بهـا الا مـن الغلـط

السلك ينثـر مـن اطرافـه وارى
سلك الجزيرة منثـورا من الوسط

من جاور الشر لم يامـن عواقبـه
كيف الحياة مع الحيات في سفط

403 ـ تنتـــان ...!

وجدت في كتاب الاستبصـار ص 214 عند كلامه على السـوس الاقصى :

« من عجائب هذه الصحراء ان بها معدن الملـح تحفر عنه الارض كما تحفر عن سائر المعادن ويوجد هذا الملح تحت قامتيـن او دونهمـا من وجه الارض فيقطع كما تقطع الحجارة ويسـمى هـذا المعـدن تاتنتـــان ...!!! »

404 ـ مالـك بن وهيـب ..!

وجدت في مخطوطة « لمح السحر ، من روح الشعر ، وروح الشحر » هذيـن البيتيـن وهمـا في الوزير مالك بن وهيب وزيـر علي بـن يوسف ابـن تاشفيـن ..!

دولة ابن تاشفيـن علـي
قدست بالصلاح من كل عيب
غير ان الشيطان دس اليهـا
من خباياه مالك بن وهيـب

405 ـ يركبـه .. السائس ..!

ووجدت في مخطوطة « لمح السحر » ايضا هذين البيتين وهما من انشاد مالك بن وهيب ... وقد جلس في مجلس ابن تاشفين بعد قيامه ..! فوشي به اليه ... ! فلما دخل الامير انشده :

وقائـل ، قـام الهـدى
عن مجلس انت به جالس ..!
ان نزل الفارس عن سرجـه
يركبه ـ صونا له ـ السائس..!

406 ـ فوعدوه الى مكة ...!

وجدت في (تاريخ الموصل) المطبوع برعاية المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهـرة سنـة 1387 هـ في الصحيفة 259 عند ذكر معركة فخ .

« فكانت معركتهم يوم التروية ، فقتل حسين بن علي ، واسر حسن بن محمد بن عبد الله الكامل ، فقتل ..! وحملت الاسرى فقتلهم موسى صبرا ..!

وافلت ادريس بن عبد الله ، فدفع الى مصر ثم مضى الى طنجة ..! فاستجاب له من هناك خلق كثير ..! فوعدوه الى مكة ..! »

407 ـ فخـر وزيـر ..!

وجدت الحافظ ابن حجر في (الدرر الكامنة) ج 5 ص 191 من الطبعة الثانية ، يذكر يحيى بن طلحة وهو وزير ابي الحسن المريني ..

وقد جاء في آخر هذه الترجمة قول يحيى بن طلحة مفتخرا ..!

انا ابـن طلـحـة ولا ابالـي
ليث الشرى في الحرب والنزال
يحيي قناة البيـض والعـوالي
ان يسمعوا باسمي في مجـال
يلقوا بأيديهـم في النكـال ..!

408 ـ علـم الكتـف ...!

وجدت في النصوص المطبوعـة مـن (نزهـة المشتاق) ص 61 من طبعة الجزائر 1957 م

« .. واكثر زناتة فرسان يركبون الخيل ولهم عادية لا تومن ..! ولهم معرفة وحذق وكياسة وبد جيدة في علم الكتف ..! ولا يدرى ان احدا من الامم اعلم من زناتة بعلم الكتف ..!! »

409 ـ يرقع الحلـة بالتليـس ..!

وجدت في الصفوة ص 17 في الجواب الذى اجاب به العارف الفـاسي الشيخ القصـار حينمـا استشاره في قضية الاتصال بالمنصور ..!

ـ ترقع الحلة بالتليس ..!!

410 ـ ويـل لكـل همـزة ..!

وجدت في الجزء المخطوط من نفاضة الجراب رقم 256 ك من قسم المخطوطـات بالخزانـة العامـة بالرباط .. هذين البيتين . وهما من نظم لسان الدين ابن الخطيب .

قـال جـوادي عندمـا
همـزت همـزا اعـجـزه
الـى متـى تهمزنـي
(ويـل لكـل همـزه)

411 ـ زيتونـــة ...!

ووجدت في الجزء المذكور من النفاضة .. قول لسان الدين في شان طلب جارية تسمى زيتونة ..!

يا درة للمجد مكنونة
حاجة مثلي منك مضمونة

ومن يجد بالخبز من حقه
ان يودم الخبز بزيتونة ..!

412 ـ ارش اليمن ..!

وجدت في كتاب الروض المعطار للحميري ص 37 عند ذكر مدينة بجانة الاندلسية ...

« وانما سمي الاقليم ارش اليمن لان بني امية لما دخلوا الاندلس انزلوا بني سراج القضاعيين في هذا الاقليم ..! وجعلوا اليهم حراسة ما يليهم من البحر ..! وحفظه الساحل .. فكان ما ضمنوا من مرسى كذا الى مرسى كذا يسمى ارش اليمن اي عطيتهم ونحلتهم ..! »

413 ـ ترشيش ...!

وجدت في الكتاب الباشي المطبوع بتونس سنة 1970 م ص 81 قصيدة للشاعر علي الغريب جاء فيها هذا البيت :

كم بترشيش من مقام كريم
فات عنكم ونعمة وكرامة

وكتب في التعليق : ترشيش اسم قديم لتونس .. اهـ .

ثم وجدت هذا الاسم (ترشيش) مذكورا في كتاب المغرب للبكري ص 37 و ص 38 . وكذلك وجدته عند ابن حوقل ص 75 من طبعة بيروت .

414 ـ من نظم القصار ..!

وجدت في كناشة احد العلماء الثقات ما يأتي :
« وللشيخ عبد القاهر :

كبر على العلم يا خليلي
ومل الى الجهل ميل هائم

وعش حمارا تعش سعيدا
فالسعد في طالع البهائم

« واصلحه الشيخ القصار بقوله :

بكر الى العلم يا خليلي
ومل الى العلم ميل هائم
وعش عليما تعش سعيدا
فالسعد ملك لكل عالم »

415 ـ مذهب أشهب ..!

ووجدت في مخطوطة « لمح السحر » ايضا هذين البيتين وهما لمالك بن المرحل .. في رجل اشهب انتحل شعره ..!

خالفني اشهب في مذهبي
ومالك وافقه أشهب ...!
فمذهبي مخترع نادر
وسرقة الشعر له مذهب ...!

416 ـ فليذهب لزيده وعمره ..!!

وجدت في كتاب « منهج الارتحال » المطبوع بالرباط سنة 1956 م ص 136 .

« وذكر بعضهم ان الشيخ ابا حيان الذى تضرب به الامثال في العلوم قد انكر على بعض الصوفية في ذكر اسم الجلالة مفردا هكذا ... الله .. الله .. الله ..! فقال ابو حيان : هذا لا يسمى ذكرا ...! لان اسم الجلالة مفرد ..! والمفرد في قواعد النحو لا يسمى كلاما ..! فحينئذ لا ثواب للذاكر ..! فقال له ذلك الصوفي البيت المشهور ..

صارت مشرقة وصرت مغربا
شتان بين مشرق ومغرب ..!

ثم قال : فليذهب أبو حيان لزيده .. وعمره..!!
يعني لعلم النحو ..! »

417 ـ ابن القويع ..!

وجدت في الترجمة التي افردها الحافظ السيوطي في كتابه .. بغية الوعاة ص 97 .. لابي عبد الله ابن القويع التونسي دفين القاهرة .. جاء فيها :

« ... وقال ابن سيد النـاس ، لما قـدم ابن القويع قعد فى سوق الكتب ، والشيخ بهاء الديـن ابن النحاس هناك .. ومع المنادي ديوان ابن هانيء ... فنظر فيه ابن القويع .. فترنم بقوله :

فتكـات لحظـك ام سيـوف ابيك
وكؤوس خمرك ام مراشيف فيـك

فقراه بالنصب فى الجميـع ..! فقـال له ابن النحاس يامولانا هذا نصب كثير ..!! فاجابه بشـدة .. انا اعرف الذى تريـده من رفعها علـى انها اخبـار لمبتدآت مقـدرة ..! والذى ذهبـت اليـه اغـزل وامدح .. وتقديره : اقاسي فتكات لحظك ..! فقال له يا مولانا .. فلم لا تتصـدر .. وتشتغل الناس ؟ فقال .. واي شيء هـو النحـو فى الدنيـا حتـى يذكـر .. » !

418 ـ اريـــد الا اريـــد ..!

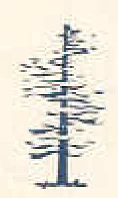
وجدت فى كتاب (نزهة المجالس) الذى الفـه ابو العباس ابن العريف دفين مراكـش ص 77 من طبعة باريـز :

« ... ثم قال اتريد التحف ..؟ قلت : لا . ثم قال : اتريد الطرف ..؟ قلت : لا . ثم قال لي : اتريد الغرف ..؟ قلت : لا قال : فماذا تريد ..؟

قلت اريد الا اريد ..!! فان ارادتي لا تـساوي شيئا لاني جاهل من كل الوجوه ..!

وانت يا رب عالم بكل الوجوه ..! فاختر لي ما تعلم ان فيه الخيرة ...! »

فاس : عبد القادر زمامه



ديوان المجلة

فاسألوا الشعب....

للشاعر: مفدي زكريا

اي ذكرى ، جلالها يتعالى ؟ اي بشرى ، جمالها يتلالا ؟
اي سحر من البيان ، يناغيـ ـها ، اذا انصف البيان المقالا ؟
اي شعر مجنح يرقص الدنـ ـيا ، اذ الشعر خلد الابطالا ؟
قصر الشعر ان يطاول فى الابـ ـاد ، من لقنوا الزمان ، فقالا ..
فاعزفوا اللحن من حنايا ضلوعي واقيموا للخالدين احتفالا
واسالوا الشعب ، يوم حالفه الرب ، فهز الدنا ، ودك الجبالا ؟
وتنادي ، يصارع القدر العا تي غلابا ، ويلهم الأجيالا
وتسامى ، يغزو المنى ، والمنايا وترامى ، يحطم الاغلال
رافعا راية (ابن يوسف) لما اقسم الشعب أن يكون المثالا !!
وانبرى فى صقوفه (الحسن الشبـ ـل) بروح الفدا ، فصال وجالا
قد اتى امرنا ، و (مؤتمر البيـ ـضاء) من وحينا تجلى نضالا
وتعالى (لوائحا) ردد الكـ ـون صداها على الليالي الحبالى
وصمدنا ، فلا المذابح تثنيـ ـنا ، ولم نرهب الشقا والنكالا
وسخرنا ، من قارعات (قبريـ ـال) .. وهل توهن الخطوب الرجالا؟
وخسفنا (حماية) دسها القد ر ، فكانت على البلاد وبالا
وكشفنا (خرافة) حبك (الاصـ ـلاح) منها خديعة واحتيالا
نحن قوم ، لا نقبل العار بالعـ ـار ، ولا نلبس الضلال ضلالا ..!
فوزنا بالخلاص ، مطمحنا الاسـ ـمى ، فسموا اخلاصنا استقلالا

وكثيـر يشبـه القـم منـي ضاحكا ، قائلا : ارى فـاك ...!

والغواني افـر منهـا فـرارا اذ اراني كانني صرت رجسا

وانـا فـي لقائهـا لحريـص غير اني اخـاف تاسى وتنسى (3)

هذه حالتـي ، وامـا طعامـي كسكسا دائما يكـون وحيسـا

* * *

آه من حيرتي اذا ما بـدت لـي فوق صحن دجاجـة لن تمـس

وانـا عاجـز عن الفتـك بالصـدر وقد جمـروه فارتـد ورسا

وكانِي اصـاب بالمـس من عجـزي ، وحقا قد صار عجزي مسـا

* * *

يا اخي .. لم اجد حبيبا يسليـني لانسى الهمـوم او اتاسـى

غير مغنى الخريف ، وهو جميـل يبسط الروح لا يسبب عكسـا

بيـن زيتونـه ورمانـه السفـري وتين قد طاب طعما وغرسـا

تحت كـرم اعنابـه فاتنـات به تلك الربى تحـلى وتكسـى

وغصـون الاشجـار لم تعـر تتغنى طورا وتهمس همسـا (4)

وبقايا الطيور فى اهبـة التـر حال ، والهى من الفراق وخرسـا

لم تطق فرقة المغانـي التـى سو ف بعصف الشتاء تصبح نحسـا

(وسبو) فى مـزارع عاريـات بعد عنـف قياده صـار سلسـا

يتلـوى يرجـو الربيـع يحليـه بازهـاره ليـزداد ميسـا

رب ليل يـذوب البـدر فيـه ونهار صاح ، يـذوب شمسـا

وهـو فـى حالـه ، مجـرة ارض لاسماء بالشمس تعمس عمسا (5)

* * *

يا اخي .. حسبي المناظـر من فا س نهـارا بها همومـي انسـى

ولدى الليـل فى دواويـن شعـر غامس روحـي العزيـزة غمسـا

وعليـكم منـي سـلام مشـوق للقـا يرتجـى بقـربـك انسـا

بعـد تعويـض بائـد الثغـر بالا شنب والانـس المطيـب نفسـا

لأوالـي بخـد حسنـاء تسبـي قبـلات تـرد المـروح حسـا

واناغـي الجمـال منهـا بشعـر وهي تعطي كاسـا وتاخـذ كاسـا

الرباط ـ عبد الملك البلغيثـي

---

(3) تاسى علي وتنسى حبي بسبب مشاهدتها لحالـي .

(4) لخفة النسيم الذي يهب على الاشجار التى مازال ماسكة لاوراقها يسمع منها الحفيف مرة وطورا يشبه همس والمقصود هو وصف الجو بالاعتدال والاشجار ما تزال مورقة والنسيم عليل الخ ..

(5) لا تنمحي مجرة الارض (واد سبو) كما تنمحي مجرة السماء بشروق الشمس الخ ..

وإذا ما الشباب ولى

للشاعر مولاي عبد الملك البلغيثي

ان تسل عنه: كيف أضحى وامسى   يا اخا وده الذى ليس ينسى
ان تسل عنه بعد ما لم يدع فى   فيه سنا ـ قد اوجعته ـ وضرسا
فهو فى حالة يرى الدهر فيها   قاسي القلب ، ليس يرحم انسا
يسلب النعمة التى وجد الا   نسان فيها ، فيفقد المرء انسا
ينشا الناس والشباب كتربيـن تردى (1) الوئام زيا ولبسا
سيرة الدهر فى الاليفين تفريـق ومحق ورد يومك امسا
لم يرقه مراهما ففدا يحـفر بين الشباب والمرء رمسا
فاذا المرء فى مراحل عيش   يفقد الترب حين لقن درسا
درس بعد عن الوجود ، هروبا   من اليف يراه للموت جنسا
واذا ما الشباب ولى فايقن   ان اتباعه ستفقوه باسا
هو كالعقد ، من جواهره الثغـر ـ اخي ـ لا عدمت ثغرا وضرسا

* * *

ان تسل يا اخي فاني اراني   مثل شيخ اخاطب الناس همسا
ساترا فاي تارة بيمين   وشمال ، والويل لي حين انسى
ففضول الكثير تفرق بالي   وكأني فقدت مني خمسا (2)
لم قلعتها يقول لي البعـض ، وبعض يحبذ القلع راسا

---

(1) تردى وارتدى معناهما واحد وكان الواجب ان أقول ترديا ليعود الضمير على الناس والشباب لكن ذلك جائز ـ كما لا يخفى عليكم ـ عند العرب فهم يخرجون من الاخبار عن الاثنين الى الواحد والعكس ومثل هذا قول شاعرهم وقد ذكر اسمه فى شرح الحماسة وقد غاب عني الآن
خليلي قوما فى عطالة فانظرا   انارا ترى الخ .. فلم يقل تريا
(2) اي الحواس الخمس يفقدها بسبب كثرة اسئلة الفضوليين واشاراتهم واقتراحاتهم الخ ..

ان يكن وقعه ثقيلا على (القـــوم) نهدنا له ، خفافا ، ثقـالا !!
وانتصرنا ، فانجز الله وعــدا وصدقنـا ، فحقـــق الآمـــالا
واذا الشعب ، انجدتـه يد اللــــه ، تحد الخطوب والأهــوالا

* * *

ايها الشعب .. انت بدع من الخـــــلق ، طباعا ، وحكمة ، واعتدالا
فيك آمنت بالذي خلـق الشعـــــب ، ولقـاه نضـرة وجـــلالا
فى سبيل البقا ، جهادك يا شعـــب ، وفي حبه بلغت الكمـــالا
راقب الله في مصيرك ، يا شعــــب ، يراقبك ، حاضرا ومئالا !!
وارع فيه الذمام ، تصنع ذماما صادقات ، افضالهـــا تتـــوالى
كتب المجد للذى ينشـــد المجــــد ، فتبا للقانعين الكسالى ..!
واذا الشعب حاد عن سنن اللــــه ، ترقب فنـــاءه والـــزوالا
واذا الخلف في الجمـوع تفشى زرع الخلف في الجموع انحلالا
وبناء الحياة ، عقـــل ورشـــد ظل من يحسب الحياة ارتجالا ..!
وصمام الامان ، صدق ضميـــر واذا خاس ، كـان داء وبـالا !!
ضحت الأرض والسما من (قفا نبـــك) وعفنا تخـاذلا واتكـالا !!
فخذوا من دم الشهيد شهـودا واحفظوا العهد واستقيموا فعالا
ان هذا التراب ، بعض من الخـــلد، فلا تمسخوا الخلود ابتذالا
وازرعـوا في رحابـه (الحب ، والحب) ولا تندبـوا بـه الاطـلالا
واهتوا بالفلاح في عيـد ذكـرا ه، وتيهوا على الزمـان دلالا

الرباط ـ مفـدي زكريـا

الأرضُ وغزوُ الفضاء

للأستاذ المدني الحمراوي

يا غزاة الفضاء ـ بالعلم ـ مهلا ... هذه الارض بالكوارث تصلى

شعب « فتنام » ضرسته حروب ... طاحنات تشيخ حولا فحولا

ما جناها ، ولا اراد رزايا ... يتاذى بهن صبحا وليلا

فرضوها عليه قهرا لتبقى ... نحلة ، اوتزول اخرى وتجلى

شب جيل من شعبه فى شقاء ... من رداها يطيق الارض قتلا

ليس يدرى من الحياة سلاما ... انما الحرب عيشه ليس الا

عاش فيهامن ربع قرن رضيعا ... وفطيما ، ويافعا ، ثم كهلا

ما حياة ترافق الحرب فيها ... امة لم تجد من السلم نيلا ؟

راحة الموت فى فناء عميم ... هي من تلكم المعيشة اولى

اي ذنب لأمة مزقتها ... عاصفات من الهوى تتقلى ؟

ريح شرق وريح غرب اليها ... تحملان الصراع فعلا وقولا

انصفوها وحولوا الحرب عنها ... ودعوها تزاول العيش سهلا

* * *

و « فلسطين » هل نسيتم اساها ... وعدو السلام فى « القدس » حلا ؟

فاستباح الحمى المقدس بغيا ... ونفى امة ، وشتت شملا

شعبها ضائع الحقوق شريد ... غصب المعتدون قطره ختلا

ثم اجلو جموعه عن ديار ... واستطالوا على البقية صولا

وجد المعتدون فيكم معينا ... لم يزل ينصر التعدي ميلا

و « فلسطين » لم تجد اي عون ... من يديكم ـ لها ، ولم تلق عدلا

انها وصمة القرون ستبقى ... فى جبين الزمان عارا وويلا

كيف يجلى عن أرضه أي شعب ... ثم تهدى الى عدوه بذلا ؟

حرم الانبياء دنس فيها ... بيد الآثمين بغيا وغلا

ورايتم مع الانام جميعا ... فخذلتم معابد الله خذلا

وتجاهلتم الجرائم عمدا ... فتركتم « صهيون » تسحب ذيلا

وفتحتم بها على العرب بابا ... ليذوقوا — كما تشاؤون — ذلا

ورضيتم بان تكونوا عليهم ... مع من فاق فى الشنار وجلى

ويرى من سواه من كل شعب ... كمتاع يباع وزنا وكيلا

ويرى الكون كله ليهود ... وسواهم منه البهيمة اعلى

وغدا — ان تركتم الشر ينمو — ... ستذوقون منهم الويل نفلا

وعليكم للعرب دين قديم ... وإياد من الحضارة جلى

علموكم بالأمس ؛ ثم انقلبتم ... فصرمتم من المعلم حبلا

وجزيتم احسانه بمخاز ... لطختكم بالعار طبعا وعقلا

فحملتم اليه كل نكال ... وهجمتم عليه خيلا ورجلا

ومكرتم بداره كل مكر ... وبنيتم به الحواجز فصلا

ونصبتم لركبه كل فخ ... ووضعتم على تراقيه ثقلا

وخنقتم أنفاسه فتمطى ... ورمى الثقل ، ثم ناضل فحلا

فغدا بعد ذاك حرا عزيزا ... مثلما كان للتحرر اهلا

فلدى العرب — لو عقلتم — معال ... وإياد تعطر الكون نبلا

ولديهم عزيمة هي أقوى ... عدة حققت ليعرب سؤلا

لم يكن شعبهم ليرهب هولا ... مثلما لم يكن على الناس كلا

وغدا يستعيد حقه ؛ شئتم ... ام ابيتم ؟ ويغسل العار غسلا

وسيبقى كما تعود حرا ... عبقريا يعلم الناس عدلا

وينير الشعوب علما وفنا ... ويمد السلام فى الارض ظلا

* * *

يا غزاة الفضاء ! هذه اخرى ... هي اشهى الى الفلاة واحلى

فى « روديسيا » وفى جنوب وغرب ... أمطر العسف من حميمه وبلا

سجن الزنج فى اخاديد نار ... وعلى بابهن أغلق قفلا

وغلاة العلوج صاروا وحوشا ... بأفانين فتكها تتملى

وردوا مرشدين شعبا وديعا ... ثم صاروا عليه قيدا وغلا

وبراكين فجرت كل هول ... ذاق منه الزنوج محقا وغولا

غصب الواغلون منهم ديارا ... ثم سووا بهم ترابا ونعلا

ونفوهم من نسل آدم زورا ... زعموا البيض وحدهم له نسلا

ليتهم يتركونهم ، وليكونوا ... مثلما زوروا غثاء ورذلا

كذبوا ، انما التعصب اعمى ... ثم اطفى عقولهم واستزلا

امة الزنج امة ذات شان ... ويل من بات يزدريها ويقلى

ويل جلادها الغشوم اذا ما ... قرعت يوم فورة الياس طبلا

سيؤدي مقارم العسف ضعفا ... ويؤدي الى ضحاياه ذحلا

فليقلل ان شاء او فليكثر ... من جناياته سياخذ مثلا

* * *

هكذا تنتهي حضارة قوم ... نسجوها من السفاهة خبلا

فهي اليوم فى مخاض البم ... وهي اليوم بالكوارث حبلى

يا غزاة الفضاء ، هلا عطفتم ... نحو ارض تئن حزنا وسهلا

ملأتها فجائع القرن شؤما ... وسقاها سقاته السم علا

فالملايين من بنيها جياع ... ومئات الالوف جرحى وقتلى

والوف النفوس مرضى بضيق ... والوف الاجسام بالداء تبلى

أين غزو الفضاء من حال ارض ... لم تزل من يد العدالة غفلا ؟

فارحموها بنعمة السلم والحـ ... ـق ، وصونوا بها قبائل عزلا

وتلافوا بها فضائح جيل ... ثم شدوا الى الكواكب رحلا

الرباط ـ المدني الحمراوي

يا خير من نشر العلوم بربعنا

للشاعر مصطفى النجار

نص القصيدة التى القيت فى حفل تأبين العلامة شيخ الجماعة بسلا سيدي أحمد بن عبد النبي بمناسبة الذكرى الاربعينية لوفاته .

بخلت علي بمدمع اجفاني ... فنثرت دمعي من جفون جناني

ونظمت والذكرى تهيج مشاعري ... لحنا يثير كوامن الاشجان

وشدوت فى فني المآتم ناظما ... ما نالني من نائبات زماني

يا موت امهل فالقبور مليئة ... باللب من مهج ومن ابدان

يكفيك ما سرقت يمينك حقبة ... او ما رثيت لعالم الانسان

تسطو فتختلس النفوس كريمة ... وتعود للماوى بكل امان

فى كل دار من حديثك قصة ... تحكى فتوقظ غافي الاذهان

فى كل نفس من جلالك هيبة ... تدع الجميع نواكس الاذقان

فى كل قلب من جراحك انة ... او ما رايت مظاهر الاحزان

فانظر فسحب الدمع تسكب وبلها ... عين الزمان دما على الاعيان

يا موت ادميت القلوب ولم تدع ... بين الجوانح موضع اطمئنان

وسلبتها معنى السلو فلم تعد ... تحظى القلوب بلذة السلوان

يا دهر حقا مات عالم قطرنا ... وغدا رهين القبر والاكفان

واجاب داعي ربه مستسلما ... يرجو لقاء المالك الديان

اعزز علي بان اراه موسدا ... صم الجنادل ساكن الجثمان

اعـزز علـي بـأن اراه مفارقـا   مغنى الاحبة مجمع الاخـــوان
أعزز علـي بـأن أراه مغـادرا   مأوى الرفاق ومنتدى الخـلان
يا عالما وقف الجهـود مناضـلا   للـه فى سـر وفـى اعـلان
ما ابصرت عيناي مثلك هائمـا   بالعلـم ينشـده بكـل تفـان
غرست يمينك فى العقول معارفا   وسقيتهـا بالعـارض الهتـان
وفتقت ألسنة الشباب فاصبحت   تشـدو بلحـن سـاحـر الأوزان
هذي مآثرك العديـدة آيـة   تتلـى صحائفهـا بكـل مكـان
فاسمع الى الذكر الجميل يصوغه   قلم الوفـاء وريشة التبيـان
ويذيعه فى السامعين قصيـدة   تبقى مخلدة مـدى الأزمـان
تزهو بسر الصدق فى ابياتهـا   والصـدق فى الاقوال خير بيـان
يا دهر حقا مات مفتي ديارنـا   شيخ الشيوخ وقدوة الاقـران
من لم تـر الاجيال مثـله عالمـا   وهب الحياة لخدمـة العرفـان
فـسل المساجد وهي اطهر بقعة   تنبيك عنه بساطع البرهـان
وسل المنابر وهي اعدل شاهد   تنبيك عن صـدق وعن ايقـان
وسل المدارس وهي روض معارف   تنبيـك عن مجهـوده المتفانـي
وسل القضايا وهي غير يسيرة   تنبيك عـن عـدل وعن اتقـان
وسل الفتاوي وهي خير وثيقـة   تنبيـك عمـا خطـه ببنـان
يا دهر حقا غاب شخص امامنا   رمز المكارم مصـدر الاحسـان
من قد علا فى المكرمات مكانـة   ابناؤها تروى بكـل لسـان
ستون عامـا قد قضـى ايامهـا   فى العلم يبـذره بغير تـوان
جهد وربك قد تكامـل صـورة   قل لي بربك هـل له من ثـان
يا موت هل علمت يمينك ما جنت   لما سطوت بكامـل العـدوان
وسلبت من صبح الزمان ضياءه   فكسـا الظلام مظاهر الأكـوان
وتركته يبكـي الفقيـد مولهـا   أوما تـراه مقـرح الأجفـان
كنا نؤمـل ان تطـول حياتـه   للدرس ينشره مـدى الاحيـان
كنـا نؤمـل ان تطـول حياتـه   للعـلـم الاسـلام للايمـان
كنـا نؤمـل ان تطـول حياتـه   للفقـه للتوحيـد للقـرآن
كنـا نؤمـل ان تطـول حياتـه   للنشء يغمـره بفيـض حنـان
يا من له فى المآثرات مشاهـد   تربو عن الاحصاء والحسبـان
كنت الرجـاء لسائـل او زائـر   كنـت الملاذ لطـالب ظمـآن

كنت المنال مكارما ومعامدا … كنت الدليل لسائر حيران

تمشي الهوينا والعيون نواظر … ترنو اليك بغاية الامعان

وترى وجودك فى الوجود ضمانة … للصالحات وانت خير ضمان

يا خير من نشر العلوم بربعنا … وانار عقل الشيب والشبان

ودعا الى الاخلاق دعوة صامت … وهفا الى العلياء كل أوان

نم يا ابا العباس نومة صالح … متفيئا ما شئت من رضوان

واقطف من الخلد الكريم منابتا … ما شئت من روح ومن ريحان

وانزل كما تهوى منازل جنة … وانعم بما ترجوه من غفران

وعليك يا شيخ الجماعة رحمة … تهمى بغيث دائم الهملان

ما دام ذكرك فى القلوب مخلدا … ومثال شخصك ماثلا لعيان

سلا ـ مصطفى النجار

التاريخ الذي لم يكتب...

للأستاذ محمد بن علي الكتاني الحسني

تهتم الشعوب والامم بتاريخها اهتماما بالغا ، وتوليه ما يستحقه من عناية ، بل وتبرز احداث هذا التاريخ فى اطار مشرق لامع ، تحوطه بكل رعاية ، وتصونه بكل انواع الصيانة ، حتى يبقى فى امن من كيد الكائدين ، وفى حماية من زيف المزيفين والوضاعين .. وذلك كله ايمانا منها بالدور الحيوي الذى يلعبه فى حياتها ، وثقة بما يقدمه لاجيالها من عزة وكرامة واعتداد بالنفس .

وليست العبرة فى ان الاحداث تبقى مرسومة وواضحة ، رهينة الكتب والوثائق ، حبيسة الصدور والعقول ، لكن المهم انها تعطي الصورة الحقيقية لهذه الشعوب بكل ابعادها ، وبكل ما تتميز به من صفات ومزايا واخلاق ، ومظاهر حضارية ، كيفما كانت هذه الصفات وهذه المظاهر ، بقطع النظر عن كل الاعتبارات والعوامل ... فالتاريخ الحق هو المعيار الدقيق الذى نزن به الاشياء ، ونقيس به الاعمال ، ونستخلص منه النتائج ، ونصل به الى الحقيقة، مهما كثر الغموض واحاط الشك واعتورتنا الاضطرابات .. وقد تختلف الشعوب والامم فى تصوير هذا التاريخ وابرازه ، وقد تتباين الافكار فى اظهار الحقائق او طمسها ، او فى تعميتها واحاطتها بسياج من المباهاة والمغالاة .. وقد تقع المبالغة احيانا فى تسجيل بعض المظاهر ، او فى تحلية بعض الاشكال والانماط والسمات من الحياة ، وقد يشتط القلم فيصور الحقيقة تصويرا بعيدا كل البعد عن الواقع .. وقد يكون ويكون .. لكن القيمة الحقيقية تبقى رغم ذلك موجودة ، لا يشينها ما يحيط بها من غموض ، او يعلق بها من اوهام وايحاءات ، او لبس واضطراب ! اذ الحدث التاريخي فى حد ذاته المادة الخام التى تزود المؤرخ ، والتى يجعلها ركيزة فقط ، ويبقى عليه بعد ذلك ان يكون دقيقا فى احكامه ، منصفا فى تصرفاته ، نزيها فى استنتاجاته ، مرنا فى ضبط خطواته ، صارما اولا واخيرا فى اتخاذ قراراته !!

والمغرب ليس بدعا فى هذا المجال ، فقد احتفظ بتاريخ مجيد، وساهم فى تنشيط الحضارة الانسانية، وواكب الامجاد فى عزة واباء ، وكان فحلا مبرزا فى عصوره القديمة وطيلة الموجات الاستعمارية التى توالت عليه من الشرق واوروبا ، ثم اتخذ لنفسه طابعا ممتازا فى عصوره المتوسطة بعد ان أصبح اسلاميا عربيا ، واتسم بذاتية خاصة فريدة ، ابانت عن مقدرة فى النضال ، وحكمة فى السلوك ، وظل يصارع الاحداث ويقاوم ظروف الزمن ، بهمة لا تعرف الملل وعزيمة لا تفل ، وصاحبته الامجاد – رغم بعض الصعاب – حتى الى عصوره المتأخرة ، فلم يتهاوى بسرعة كلما تهاوت دول وامم ، ولم يرضخ الا بعد ضروب من المقاومة قل نظيرها ، ورغم ذلك ظل شامخا فى وطنيته ، محافظا على روحه ، واستمر رغم العراقيل يقوم باعبائه المنوطة به فى دائرة الامكان ، وقدر طاقته وما حبته به الطبيعة ،

فلم يتخلف عن الركب ، ولم تقعد به العزيمة ، بل ظل يحارب ويناضل ويتحدى الزمن لينهض من كبوة الرجولة ، ومن جولة الى صولة ، وتلك هي الخاصية التي ميزت تاريخ المغرب الطويل !!

ولست اريد هنا ان اذيع القصائد في التغني بالامجاد ، والثناء على الماضي ، فذاك امر قد فرغ منه ، انما اريد ان اثير الانتباه الى ان التعرض لهذا التاريخ على مداه ، وتجلية غوامضه وتوضيح مسراه ، مجهود لا يستطيعه الافراد والاشخاص وحدهم ، وانما هو حمل ثقيل وعبء ضخم ، تنوء به العصبة اولو القوة ، ولن ينجح العمل فيه الا اذا تضافرت الجهود ، وخلصت النيات ، وابعدت المغانم عن الحساب !! وانما همي في بعض احاديثي المقبلة ان شاء الله ان اضع اللمسات على بعض هذا التاريخ الحي ، النابض بالحيوية ، المتدفق بالنشاط لنتعرف من خلاله على واقع عاشته هذه التربة ، وعرفه هذا الوطن الذى نعتز به .

واود ان اتعرض لموضوع نخلص منه الى نتائج تعيننا على عملنا ، ذلك ان هذا التاريخ الذى نتحلى به ، ونملأ الدنيا ضجيجا بوجوده ، والذى هو حقا بهذه المثابة من القوة والنشاط ، والخصب وسرعة الحركة ، لماذا يظل هكذا مجهولا يتخبط في دنياه المتخبطون ؟ ويتيه في دربه العلماء والمتخصصون ؟ لماذا وحتى الآن لم يكتب كتابة نزيهة ، منظمة مركزة؟ لماذا لم يمط اللثام عن اسراره ودقائقه ، وتفك الاحجبة عن كنوزه وذخائره ؟ لماذا لم يوضع في اطاره الطبيعي ، وتسجل احداثه تسجيلا صادقا ، فيه العظة والعبرة والمنفعة للاجيال اللاحقة ؟ لماذا ننبشه هذا النبش الخفيف الفينة بعد الفينة ، ونتناوله هذا التناول الخاطف وكاننا على ميعاد ! الم يحن الوقت بعد لنتعاون مخلصين لصياغته الصياغة الكاملة المشرقة ؟

لقد كتب الكاتبون وجر الباحثون ، ولم يقصر الاجانب بدورهم فأماطوا اللثام اما صادقين او لاغراض اخرى ، عن جوانب مهمة من هذا التاريخ ، وصوروا الواقع المغربي حسب ميولهم وافكارهم ، وضمن التوجيه الذى وجهوا به ، فلم نبق هذا الركام على حاله ، ولم لا نكمل ما بداه الاجاد ، ونصلح ما انحرف فيه المنحرفون او اختلط فيه الامر على غيرهم .. فالمصادر ليست شحيحة ، والوثائق ما انفكت متوافرة ، والسجلات الخاصة والعامة ما برحت تملأ الرفوف ، والابحاث والدراسات التى ظهرت ليست من الكثرة بحيث تكفي المتلهف ، ولن تروي الظمأ وحدها ، فهي لا تخرج عن كونها بحثا معينا وفي نطاق خاص ، ومن اجل مهمة خاصة ، فنحن نقدر جهود اصحابها ، ونكبر فيهم التضحيات التى قاموا بها ، والجهود التى بذلوها من اجل القيام بعملهم على الوجه الاكمل والافيد .. ورغم هذا فنحن نلاحظ التقصير ونتحمل مسؤوليته .

بقي ان نتساءل عن السر في هذا ، وهل هناك عوامل تدفع اصحاب الاختصاص الى الهروب والانكماش . وقبل كل شيء اود ان اسجل او بالاحرى اشير الى حقيقة معروفة منذ قرون عبر عنها صاحب كتاب مرآة المحاسن العلامة العربي الفاسي حين قال « ان المغاربة وسموا بالاهمال، وبدفن فضلائهم في قبري تراب واخمال ، فكم فيهم من فاضل طوى ذكره عدم التنبيه ، فصار اسمه مهجورا كان لم يكن شيئا مذكورا » وردد العلامة الحسن اليوسي نفس الافكار في كتابه المحاضرات صفحة 59 ونقل عن شيخه ابي عبد الله بن ناصر ما يفيد ما قلناه . ولما جاء صاحب السلوة عقب بقوله : « وانه لقلة اعتناء اهل هذا المغرب بالتاريخ ضاع اكثرهم ، وخفي على كثير من الناس جمهورهم ومعظمهم » ورغم ما في هذه العبارات من الم دفين ، مصدره الحب لهذا الوطن ، والاعتزاز بابنائه والعباقرة منهم ، فان هناك بعض المبالغة بالنسبة لعصور اولئك العلماء الذين قالوا ما قالوا ، فاننا حين نرجع الى ما خلفوا : من تقاييد وفهارس ونوازل وبحوث ، نجد الشيء الكثير الذى نحن في اشد الحاجة الى اماطة اللثام عنه واظهاره للعيان في حلة ناصعة ، وطباعة مناسبة .. لكن علامات الاستفهام تبقى رغم ذلك بارزة ؟

أيكون السبب هو كثرة المصادر وتنوعها ، واختلاف مشاربها ، وتعدد مظاهرها ، واختلاط المواد بعضها ببعض ؟

أيكون ذلك مرجعه الى انها ما تزال مخطوطة او كالمخطوطة ، اذ ما طبع في المطبعة الحجرية الفاسية اصبح نادر الوجود ، واذا ظهر فباغلى الاثمان ؟؟

أيكون السبب هو اختفاء هذه المصادر في خزائن لا يمكن الوصول اليها بسهولة ، بل يتعذر الحصول عليها ، ويصعب بالتالي الاستفادة منها في اغلب الحالات ؟

ايكون الفراغ المادي ، وعدم توفر وسائل النشر والاستفادة السريعة ، احد العوامل التى دفعت الكثير الى هذا الابتعاد ، اذ التشجيع عامل رئيسي ومهم فى دفع كل حركة ونجاح كل خطوة ؟

ام يكون الكسل العقلي الذى ران على النفوس، وخيم على الافئدة ، وجثم على القلوب هو الذى شل كل حركة ، واوقف كل نشاط ، وجعل المخلصين من العاملين والباحثين يكتفون من الغنيمة بالموجود ؟!

ام ان هناك عوامل اخرى ، انضمت الى ما سبق ، فكونت هذا الركود العام الذى لا نشهده فى هذا المجال وحده ، بل نلاحظه ونلمسه فى كل مجالات الفكر !؟ فاين الشعر المتدفق من افواه الملهمين ؟ واين القصة الواعية التى تصور الواقع وتلهب الشعور ؟ واين البحث الجاد المركز ، الذى يزيد لبنة ، ويرفع سترا ، ويوضح مشكلا ؟

بل اين نحن من مجهودات القدماء ، وكفاح من سبق ؟ اين نحن من تاريخ كالاستقصا للناصري ، ومن مجهود امثال ابن زيدان ، وابي علي الدكالي السلوي ، وابن ابراهيم المراكشي واضرابهم ممن عكفوا على تاريخنا فاسهموا فيه بنصيب لـه وزنـه وثقله؟ بل اين نحن من الانتاج الذي طبع ونشر بواسطة المطبعة الحجرية الفاسية ؟

والواقع اننا امام عراقيل كثيـرة تقـف امـام المتصدي للبحث والتاليف ، وعلى الاخص فيما يتعلق بكتابة التاريخ. هذا التاريخ الذى يقدم ـ باستمرار ـ فى كل الشعوب بصورة زاهية مشرقة ، تبعث الحماس فى نفس الطفل والمراهق والشاب والمثقف والعامل وعلى جميع المستويات !!

فهل ياتي الوقت الذى نستطيع ان نفخر باننا قدمنا لاجيالنا تاريخا واضحا ؟ وهل تزول الصورة الأليمة التى تراها صبح مساء ، حين يسال اطفالنا عن تاريخهم ، فنقدمه اليهم فى صورة شبه مبتورة ، روتينية ... لا تخلو من ملل ، ولا تبعث الشوق فى نفوسهم ، ولا الدفء فى حياتهم ، ولا الاحساس بعزتهم وكرامة امتهم !؟ ذلك ماؤآمله .

فاس ـ محمد بن علي الكتاني



دراسة علم التاريخ بالمغرب

للمرحوم : الحاج امحمد بنونة

هذا بحث قيم حول دراسة علم التاريخ بالمغرب كان الاستاذ المؤرخ المرحوم الحاج امحمد بنونة رحمه الله بعثه لمؤتمر طلبة الشمال الافريقي المنعقد بفرنسا قبل الاستقلال ، وقد وجده الاستاذ السيد محمد الطنجي رئيس قسم الوعظ بوزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية ضمن أوراقه الخاصة وبخط الكاتب الاديب ، فاستاذن بعض ورثته فى نشره بمجلة « دعوة الحق » لما فيه من الفائدة حول دراسة تاريخ المغرب بالقرويين ، وكيف ينبغي تصنيف هذا التاريخ ، وان يكون بمجموع الشمال الافريقي نظرا للوحدة التي كانت قائمة بين الاقطار الثلاثة : تونس ـ الجزائر ـ المغرب ، حتى يشكل دائرة معارف تاريخية مغربية تكون أسمى مرجع للاساتذة والمؤلفين والطلبة ، وبذلك نكون قد ادينا ـ يقول الاستاذ المرحوم ـ بعض الواجبات نحو وطننا المشترك .

وأسرة التحرير تشكر الاستاذ السيد محمد الطنجي الذي امدها بهذه الوثيقة التاريخية التي كتبها فى ظروف غير الظروف التي عاشها الاستاذ المرحوم الحاج امحمد بنونة ...

نحن الآن اذا تكلمنا فى هذا الموضوع عن دراسة علم التاريخ بالمغرب فانما سنسرد عليكم وصفا للدور الاخير من حياتنا ، وتبيين رأينا فى كيف يجب ان يدرس هذا العلم القيم . اذ ليس لنا من الوقت ما يسمح بغير ذلك . (فعلى الطبيب ان يبحث فى اسباب المرض المباشرة والتى ادت فعليا الى انحطاط القوى ليستخرج الدواء ، وليس عليه ان يبحث عن تفصيل دقائق حياة المريض الا بحسب المناسبات ، واسنا فى حاجة ولا مضطرين الى تلك المناسبات التى قد لا نصل معها الى غايتنا المنشودة ، او نصل اليها ولكن بعد تطويل ممل . وقد تكون النتيجة ليست بذات قيمة فى نظر المحقق خصوصا اذا لاحظنا فقر الخزانة المغربية من هذه الناحية) .

لم يكن علم التاريخ على جلالة قدره وعظمة منفعته من المواد الاساسية المحوطة بكامل العناية بكلية القرويين وفروعها بباقي المغرب ، ولم نعلم فيما نعلم انه كان يدرس لا بصفة عامة ولا بصفة خاصة ، ولم تكن له حلقة بين حلقات الالفية والاجرومية والشيخ خليل والعاصمية وغيرها . وكل ما هناك ان الطالب الذى يريد ان يتخرج فى علم الادب يرى نفسه مضطرا بحكم الحرفة الادبية ان يضطلع على بعض العصور من التاريخ الاسلامي وآخر عصور الجاهلية ، ونحن اذا فحصنا دراسته هذه بمجهر البصيرة نجدها قاصرة على الناحية الادبية من التاريخ ونجده راميا وراءه الناحية السياسية والناحية الاجتماعية والاخلاقية والفنية والاقتصادية والعلمية وغيرها ، فتراه يحفظ اصول الامثال ونوادر مستظرفة ولطائف مستملحة ويستظهر عدة قصائد لشعراء مختلفي الذوق والقصد والغايات وبعبارة فلم يكن الاديب اكثر من كشكول لقصص ونكات تاريخية

لا تجمعها جامعة ولا ينظمها علم بقواعد واصول ، وانما هي محفوظات تحلى بها مجالس السمر، حتى اذا خلقت من كثرة الاستعمال عمد الى اسفار التاريخ واستقى منها غيرها ليستجد بها احاديثه ، وهكذا كان شان الطالب المضطر الى دراسة التاريخ ، وهناك طائفة اخرى كانت تدرس التاريخ وتتخرج فيه بنفسها لنفسها ، ومن بين هذه الطائفة وجد بعض الرجال الفوا كتبا اسموها بالتاريخ ، والحق ان ابوابها وعناوين فصولها تاريخية ، ولكن الواقع انك اذا نقدتها لم تجد اكثر من سرد حوادث وتراجم اشخاص من الاولياء والفقهاء والملوك وغيرهم ، وانما هذا لا يمنع من تصريحنا انها مادة قيمة ومراجع مفيدة لمن وفقه الله لتاليف تاريخ وطني للمغرب بطريقة فنية على الاسلوب العصري القويم . وبعد فانك ترى اننا لم ندرس هذا العام الجديد دراسة منظمة ولا غير منظمة بكلية القرويين ولا بفروعها ، وكل ما هناك اننا طالعنا كثيرا واطلعنا على ان هذا العلم مغبون في بلادنا وان الكتب المتداولة منه لا تصلح لان تكون مادة درس سواء للدراسة الابتدائية او الثانوية او العالية، بسبب تخليطها المسائل ولصعوبة فهم بعضها او غير ذلك من الامور التى تسلبها ثوب الفن القشيب .

اذن يجب علينا ان نفكر في اسهل السبل للوصول الى هذه الثغرة في حياتنا العلمية الجديدة وقبل ان نعرض عليكم اقتراحنا في هذا الموضوع نرى ان لا باس من تبيين راينا في كيف يجب ان يؤلف ويدرس هذا العلم القيم !

ليس في استطاعة احد ان ينكر ما لدراسة التاريخ من الفضل العظيم على المشتغلين بتحصيله زيادة على ما يجدون في دراسته من اللذة والانشراح، ففي التاريخ يطلع الانسان على تراجم مشاهير الرجال وعلى حياتهم وما اتوا فيها من اعمال الشجاعة والاقدام وما قدموه من الثمرات الجليلة لبلادهم ، فيعجب بالفضيلة ويجعلها شعاره اقتداء بمن اعجب بهم من ابطال الامم وبذلك ينشأ عنده حب الوطن واسترخاص كل نفيس في سبيل نفعه ، ويزداد هذا الحب عنده كلما راى مايدل على عظمة اسلافه وحضارة بلاده . وفي التاريخ تتولد في التلميذ قوة الحكم ودقة الملاحظة وملكة النقد فيستطيع بعدئذ ان يفرق بين الغث والسمين . واذا كان احد فلاسفة الاغريق يقول : ان في تعليم التاريخ تعليما للفلسفة بالامثلة، فانا نرى ان التاريخ من اكبر العوامل التى تحرك العواطف وتنبه الالتفات فيتسع نطاق التخيل وتربى به ملكة الاستدلال والتعليل باعتياد تتبع الاسباب والنتائج، في نحو ارتفاع امة او انحطاطها او انقلاب في نظام الحكومات او اختراع علمي او اكتشاف جغرافي ، ولا ريب ان لمعرفة مثل هذه الحقائق قيمة في ذاتها.

اذا تقرر هذا فانا نرى : ان تقسم دراسة التاريخ من حيث الموضوع الى ثلاثة اقسام :

1 ـ التاريخ العام المحتوى على دراسة التاريخ القديم والمتوسط والحديث .

2 ـ التاريخ الاسلامي ، ليطلع التلميذ على ما لحضارة الاسلام من الاثر العظيم في حياة البشر وعلى ما جاء به صاحب الشريعة الاسلامية من المبادىء العالية التى كانت العامل القوي في تحرير الانسان من استعباد الانسان ، وعلى ما قام به رجال التاريخ الاسلامي من الاعمال الجليلة فينشأ مسلما بالمعنى الكامل .

3 ـ التاريخ الوطني ، وهذا القسم يجب ان يتناول جميع النواحي بتفصيل تام فيبدأ من عصر ما قبل التاريخ وينتهي بالعصر الحاضر ويدرس في جميع ادواره بتدقيق كاف وبحث ضاف .

اما كيفية تدريس او تاليف هذه الاقسام الثلاثة فارى أن من الواجب على المدرس او المؤلف ان يرمي في كتابة التاريخ او تعليمه الى ما ياتي :

1) اعطاء المعلومات التاريخية للتلاميذ بحيث يمكنهم من اداء واجباتهم على انهم وطنيون يتبعون العقل والروية .

2 ـ تحري الحقائق في وصف ابطال التاريخ، وجعل كل في المرتبة التى يستحقها .

3) جعل احوال الشعوب التى يبحث في تاريخها أساسا لدراسة التاريخ ، وينبغي الا يقتصر على الوقائع .

4) تعويد التلاميذ حدة الملاحظة فيما يختص بالحالة التى هم عليها سياسيا واجتماعيا والبحث معهم في الحوادث المهمة

5) جعل الدروس التاريخية دائرة حول حب الوطن والعظمة باعمال السلف .

6) جعل الحد الفاصل بين الغث والسمين واضحا ، وهذا من اشرف الاغراض التى يجب ان يرمي اليها المدرس .

7) تخريج تلاميذ مجبولة نفوسهم على حب الحرية والاستقلال والشعور بالواجب والاتصاف بمكارم الاخلاق والاعجاب بالشجاعة وبالمروءة وبالظفر بحق ، والافتخار بالسلف واتباع الكريم من اخلاقهم والشريف من أعمالهم وبالجملة الحرص على فائدة الوطن .

هذه بعض النقط التى رايناها واجبة من الناحية العلمية والوطنية والتى يلزم ان يلاحظها كل مؤلف او مدرس للتاريخ .

اما الوصول الى سد هذه الثغرة فى حياتنا العلمية الحديثة من اقرب السبل ، فانا نقترح على اعضاء المؤتمر الكرام ما يأتي :

لا ريب ان كل من يضع امامه خريطة افريقيا يرى ان ما بين مدينتي تونس وطنجة وطن واحد ترتبطه طبيعيا سلسلة جبال الاطلس من اقصاه الى اقصاه . وتجمعه تاريخيا وحدات متعددة من قومية الى دينية الى سياسية الى اجتماعية الى لغوية ، وتحكم هذه الروابط حلقات متينة هي حلقات الجنسية المغربية التى يشعر بها كل تونسي وجزائري ومراكشي من نفسه . ومن غير ان يوحى اليه بها . فلا حدود طبيعية تفصلنا ولا دين يفرقنا ، ندرس حياة « انبال » كما ندرس تاريخ عبد المومن ابن علي وكل ذلك شاهد عدل على اننا امة واحدة مهما فرقتنا الاطماع السياسية الحديثة واذا كنا امة واحدة وعنصرا واحدا ونريد ان نعمل لاحياء وحدة شمال افريقيا يجب علينا ان ندرس تاريخنا دراسة متحدة تكفل للتلميذ ان يخرج من المدرسة وقد رضع من ثديها لبان هذه الحقيقة الواضحة العمل لخير هذا الوطن الواحد وطن الامازيغ الأباة والقحطانيين الاحرار وليس بيننا وبين هذه الغاية المنشودة الا ان تؤلف لجان فى كل قسم من اقسام وطننا المغرب المحبوب « تونس والجزائر ومراكش » وتعتني بوضع تاريخ وطني للمغرب على الطريقة الفنية وعلى احدث طراز فى التأليف ، وتكون هذه اللجان تحت رعاية المجلس الاداري لجمعية طلبة شمال افريقيا المحترمة. ومرتبطة ببعضها ، متحدة فى ابحاثها ، وبعد وضع التاليف المدرسي للمراتب الثلاث حسب تقسيم علماء التربية يجب علينا ان نشرع فى تأليف دائرة معارف تاريخية مغربية تكون أسمى مرجع للاساتذة والمؤلفين والطلبة، وبذلك نكون قد ادينا بعض الواجبات نحو وطننا المشترك . والله الموفق .

اما نفقات التاليف والطبع والترجمة والنشر فاني أرى توزيعها على اقسام وطننا المغرب المحبوب. وما يستفاد من ربع هذه التآليف فيرجع لصندوق جمعيتنا المحترمة وللمؤتمر حق توزيع الاعمال على هذه اللجان وتعيين اوقات البدء وامكنة الاجتماع ان اقتضت المصلحة ذلك ، وعلى لجنته التنفيذية او مجلس الادارة ان يشرف على سير الاعمال ايام غياب المؤتمر .

هذا اقتراحنا نعرضه على المؤتمرين الكرام ونود منهم ان يناقشوه ويكملوه ان كان به نقص اذ افكار الجماعة غير افكار الفرد ، ويد الله مع الجماعة

تطوان : الحاج امحمد بنونة

مظاهر الثقافة في عهد الأدارسة

فاس مدينة الشعر والشعراء

للأستاذ عبد الكريم التواتي

اتحتاج فاس عروس مدائن العالم الاسلامي قديما وحديثا ، فى كل المجالات ، وخاصة فى دنيا العلم والثقافة والفكر والادب ، والشعر والشعراء .. الى التعريف بها ، او الاشادة بذكرها ، وما انتجته قرائح ابنائها ، وما تزال - فى ميادين الحضارة الفكرية وشتى فنون العمران ؟

اتحتاج فاس كعاصمة علمية من عواصم الدنيا منذ نشأتها على يد مؤسسها ادريس الازهر ، والفئة المؤمنة من اصحابه ومريديه ، الى البحث لها عن اثباتات وشهادات للتدليل على المركز المرموق الذى احتلته عبر العصور التاريخية التى توالت على هذه الديار وما تزال تحتله، فى عالم القيادة الفكرية، والتوجيه الروحي ، لكافة ابناء هذه الامة البررة الكرام ، ولكل الحركات الاصلاحية التى شاهدها المغرب ؟..

اتحتاج فاس الى من يأتي بعد القرن الحادي عشر لتأسيسها ليتحدث عن عظمتها وعبقرية ابنائها، ويبرز مدى اسهاماتها فى حركة المد الحضاري الذى واصلته الانسانية فى صبر وأناة ، فى صمت وهدوء احيانا ، وفى شغب وغوغائية احيانا اخرى ؟..
ايمكن ان تذكر فاس ولا يخطر على الفكر ، العلم الواسع ، والثقافة المنفتحة والحضارة العريقة والمجد الطارف والتالد ، والعز الشامخ الباذخ ، والنضال المستميت من اجل اثبات الوجود ، واحقاق الحق وازهاق الباطل ..؟

ايمكن ان تذكر فاس ، ولا تمثل امامنا القباب الشامخة ذات القرميد الاخضر والفسيفساء المزركشة ، والنقوش البديعة ، والرسوم المحيرة ، مما يدل على عريق حضارة ، واثيل مجد ، وقدم عمران ؟.

ايمكن ان تذكر فاس ، ولا يتمثل المتذكر لها (سبو) ومنعرجاته ومنعطفاته وشطحاته الصخابة التى تنتشي احيانا بأزهار الرياض العبقة ، واناشيد الاطيار الصادحة المغنية ، فتهتز شطآنه . ثم تبلغ بها النشوة فتدمدم ، فاذا هي خيرات وبركات وطمى ؟

ايمكن ان تذكر فاس ولا يتجسم امام متذكرها وادي الجواهر الذى يشقها نصفين ، مكونا الشرايين والاوردة لقلبها الحي النابض ، او لا يتجسم اولئك النفر الزهر من ابنائها الذين كانوا يتخذون من هذا الوادي ملاعب ومراتع ومغاني تسرح فيها الظباء الانسية ، وتمرح العذارى ، ويسمع للموسيقى الحان ، وللطرب أوزان ، وللشعر والشعراء مساجلات ومطارحات واجازات ؟

ولمناظرات العلماء احاديث شيقة رائعة ، ولمباهجهم حفلات ، كان من ابهجها اسبوع الادب والعلم الذى كان ينظم تحت شعار سلطان الطلبة ؟..

ايمكن ان تذكر فاس ، ولا يشمخ امام المتذكر جبلاها التوأمان الرابضان فى شمالها وجنوبها :

(زلاغ وتفات) ، انهما يكونان حاجبين يحفان بعيونها ، وما تتفجر عنه من ينابيع ثرة عذبة ، ويحوطان ببساتينها المزهرة الفينانة ، ويرعيان ابناءها القيورين النجباء ؟..

ومن يستطيع ان يذكر سبو ، ولا يتذكر ما قيل فيه من اشعار ، وما سجل عنه من اخبار ؟.. لقد تخصص شاعر فاسي – تقريبا – في الاشادة بهذا الوادي الثر الثجاج ، وما يحف به من بساتين ضواعة الازهار ، فواحة الورود ، رنانة الطيور ؟..

اجل لقد خص الشاعر محمد الشرقي – وسنخصص له في هذه الحلقات ، استقبالا ، ان شاء الله حديثا خاصا – كثيرا من اشعاره في التغني بهذا النهر ، والاشادة بما ظل يشاهده من احاديث واسمار واخبار ، يقول المرحوم محمد الشرقي من بين ما يقوله عن وادي (سبو) :

كان سبو اذ جاء يسحب ذيله
على فرش من سندس نظمت درا

زرود لجين احكم القين سردها
تسلسل في احشاء يا قوتة خضرا

وفي نفحة اخرى ينشد واصفا تلك الجماعات التي تنتشر على جنباته ايام الربيع ، تشرب الشاي الاخضر ، وتتمتع بما لذ وطاب من اسمار واحاديث، في صباح، طابت انسامه، وتفتحت زهوره واكمامه، وعبق الجو باغاريد طيوره وبلابله وحساسينه :

اذا شئت انشراحا في انشراح
بنهر سبو انزلن عند الصباح

وصب من الآتاي مذاب تبر
باقداح اللجين مع الملاح

وقل ، طربا اذا استروحت راحا
على اللذات : ذا يوم الصباح

ويتفنن الشاعر الشرقي في وصف هذا النهر وما يتيه به على باقي انهار الدنيا فيقول :

جر الذيول وسارا
(سبو) وقال افتخارا

انا على كل نهر
في الارض نلت الفخارا

وشدقته شهود
فيما ادعاه جهارا

حصباؤه كاللآلي
والماء يحكي العقارا

والعرف مسك ذكي
والجسر زاد وقارا

فاشرب عليه صباحا
عتيق كسرى ودارا

ما بين نغمة عود
وشادن وعذارى

واقطع زمانك لهوا
لا تخش اثما وعارا

ولا تعرج على من
للنسك شاد المنارا

تكفيك ذمة فرد
شفيع قوم حيارى

فهو خير رسول
وخير من قد اجارا

(فواصل الجمان ج 1 ص 51 – 52)

وقد ظل هذا النهر ، كسميه وصنوه وادي الجواهر ، عبر العصور – ملهم الشعراء ، وممدهم بفيض من الخواطر وافكار ، والى الدرجة التي يقول معها الشاعر عبد المالك البلغيثي :

عشرون عاما في ابي رقراق
لم تنسني حبي ولا اشواقي

لم تنسني فاسا ولا جناتها
مأوى الطبيعة ملتقى الاذواق

.. لم تنسني وادي الجواهر او شذا
ازهاره المخضلة الاوراق

او من سبو خلجات منعرجاته
في فرقة من بعضها وتلاق

وادي الجواهر لم تشبه ملوحة
فمعينه عذب شهي مذاق

(دعوة الحق ع 7 سنة 70 ص 69)

فكانت فاس لكل ذلك ، ولغيره مما سنذكره فى بحث خاص ، عما قاله الشعراء عنها ، وفيها منطلق الحركة الفكرية فى ربوع هذا الوطن بل وفى اقطار الشمال الافريقي ، بل وفى القارة الافريقية بما فيها مصر اذا تذكرنا ان باني جامعتها العتيقة : الازهر الشريف هو احد ابناء هذا الوطن ، جوهر الصقلي قائد قوات المعز لدين الله الفاطمي .

ومن هنا صح لنا ان نؤكد ان فاسا ـ وكما سنرى فى ابحاثنا المقبلة بحول الله ـ كانت حاضرة شعراء المغرب غير مدافعة ، ويكفي ان نعرف ان المرحوم الفقيه العلامة الشاعر احمد النميشي احصى فى كتابه (تاريخ الشعر والشعراء بفاس) حوالي مائتي شاعر ، كانت تحتضنهم فاس ، هذه الحاضرة العالمية الفيحاء ، ابتداء من المولى ادريس الازهر ، الى غاية سنة 1343 التى هي تاريخ طبع هذا الكتيب الذى كان فى اصل نص محاضرة كان القاها السيد النميشي فى نادي المسامرات بثانوية المولى ادريس ، هذا النادي الذى كان يشرف يومئذ على ادارته ضابط فرنسي يدعى (مارتي) ..

واذا كان السيد النميشي قد سرد ضمن محاضرته القيمة اسماء كل من استطاع ان يعثر لهم حتى على بيت من الشعر او البيتين ، لان غايته كانت مجرد السرد او القيام بجرد تقريبي للشعراء.. فاننا ، فى محاولتنا نحن ، سنعمل على غربلة اولئك الشعراء وتقديم انتاجهم ، الذى من الانصاف ، الاعتراف بان فيه ما يشوق ، لا بخصوص مجهر واقعهم الخام ولكن حتى من حيث المواضعات الحديثة ، ما دام الشعر ، وكما قلنا فى رحلتنا عن الشعر العربي والتى لما تتم بعد ـ صورة الواقع، ومرآة المجتمع الذى يعيش فيه الشاعر ومحاولة لابداء لمساته الخاصة ، وتطلعاته الذاتية ، وما دام الشعر فى نفس الوقت ، نغمة تسكر ، ولحنا يأسر، وموسيقى تحمل الانسان من عالم المعاش والمادة الى عالم النور والخيال المجنح ، وتجعله ينظر الى الحياة على انها محبة مشوقة ، فيها ما يستحق هذا العناء والمشاق التى يتحملها الانسان فى سبيل الاحتفاظ بها ، والتشبث بمفاتنها ، والحرص على ملذاتها .

واي مكان يمكن ان يزركش الحياة ، ويضفي عليها من الوان الحب والطهر والصفاء كفاس ، ومن هنا صح لنا ان نصفها بأنها مدينة الشعر والشعراء .. وما من شخص ذي احساس مرهف شاعري يزور فاس ، ولا يتألم لفراقها ، ويتحسر على مغادرتها ويعجبني ان اسجل هنا النفحة الشعرية التى ابدى فيها الشاعر العراقي محمد محمود الجبوري ذكراه عن فاس وما يحمله لها بين جنبيه من حب واشتياق .

ملأت قلبي من نعمائها طربا
فهل يوفي قصيدي بالذى وجبا

يا دارة الحسن والآثار ناطقة
تروي الروائع عن ماضيك والعجبا

ما زال جامعك المعمور مفخرة
للضاد ، طوق طوق المنة الحقبا

يا فاس يا بهجة الآمال باسمة
وجنة المغرب الاقصى بما رحبا

يا فتنة العاشقين الحسن مازجه
من العفاف دلال فى الهوى عذبا

كم ضمن الحسن جلباب وما ظهرت
سوى المحاجر تنبي بالذى احتجبا

(والله ما اخطأت رميا وان مزحت
وفرحة القلب ان يغدو لها السلبا)

يا فاس يا روضة للعقل زاهرة
يجني المعزين منها العلم والادبا

كم لحت للناس فى التاريخ نور هـ
دى للسالكين المعالي، العجم والعربا

كم حل فيك بعيد الدار مغترب
انسيته الدهر اما برة وادبا

باهى جمالك فى اجوائها الشهبا
وفاق خيرك فى تهطالها السحبا

يا فاس يا نعمة كالسحر رددها
فم الزمان ، فجلى وقعها الكربا

جرى حديثك فى بدو وحاضرة
كجري سعدك فى عليائه خببا

لولا هوى لي فى بغداد تيمني
لما ارتضيت سوى ناديك مطابا

المولى ادريس مؤسس فاس :

وتتميما لهذه اللوحة ، نحب ، قبل الشروع في تقديم دراساتنا لابرز شعرائها الذين احتضنتهم قديما وحديثا – ان نشير في ايجاز، الى ظروف نشأتها ، على يد احد شعرائها ، وقادتها السياسيين .. المرحوم المولى ادريس الازهر الفاضل .

كانت وقعة فخ المشهورة منطلق وجود الادارسة وقيام دولتهم بالمغرب ، فقد استحر التقتيل في الهاشميين فيها ، على يد المسودة العباسيين ، الذين كانوا تاريخئذ يحاولون ارساء قواعد سلطانهم ، على بحر من الدماء . وارتال من الجماجم ، والاشلاء ، باقصاء كل العناصر التي قد تنازعهم الحكم ، او تناوئهم الاستيلاء عليه ، الشيء الذي حمل الكثيرين ممن اسهموا في تلك الوقعة ، بالمباشرة العملية ، او حتى بالعطف والتاييد من اولئك الهاشميين على طلب اقاصي العالم الاسلامي الممتد الرقعة فرارا من براثن الظامئين لدمائهم ..

وكان المولى ادريس دفين زرهون وليلي ، ضمن الذين تمكنوا من الفرار من وجه اولئك الجلادين صحبة مولاه راشد ابي السعد بن منصة الاوربي ، واتجها صوب المغرب الاقصى عن طريق مصر فليبيا فتونس فالجزائر ، بينما كان اتجه احد اخوته يحيى الى الديلم وطلب آخرون جهات اخرى..

ولا تتحدث الروايات التاريخية عن سبب اختيار ادريس ، هذه الوجهة باالخصوص ، وهل ان ذلك كان عن فكرة مدروسة بين الاخوة الفارين ، الذين توزعتهم اقاصي العالم الاسلامي ، لمحاولة الاجهاز على المسودة العباسيين من مختلف الجهات، وتفكيك عرى سلطانهم باثارة المشاكل والقلاقل في اماكن يصعب ان تطال مشير بها سيوف المسودة ، وبهذا تتاح للعناصر المناوئة المتخفية في صفوف العباسيين، الفرصة للقيام بالاعمال التخريبية، وحيث ان بلاد فارس التي قصدها يحيى ، وبلاد المغرب التي امها ادريس كانتا – عبر حركاتهما المذهبية والعقائدية متشيعتين ، تقيمان في مختلف المناسبات الادلة العملية على ولائهما لآل البيت النبوي الكريم .. فكانتا محط انظار الاخوين ؟

ام ان ذلك ، لم يكن عن خطة مدروسة ، وانما فكر الفارون ، امعانا في الفرار ، ان يبحثوا لهم عن ماوى ، تضمن لهم رمق الحياة ، وقليلا من الدعة والاستقرار .

على ان انتساب مولى ادريس ابي العباس راشد ، الى نفس القبيلة البربرية التي استقبلت المولى ادريس ، واحتفت بمقدمه ، بل وبواته ، بعد قلوبها ، عرش الحكم ، وقد اشار الى هذا الانتساب ابن ابي زرع في كتابه : الانيس المطرب ، في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ...

قد تشتم منه رائحة التصميم المسبق ، والفكرة الهادفة لاقامة دولة للهاشميين في المغرب ، وان المولى راشدا كان الممهد لهذه الفكرة ، بل كان المسير لكل مراحل تنفيذها واخراجها الى حيز الواقع المحسوس ، فقد سهر على حماية ادريس منذ فرارهما من فخ ، وبذل جهودا مضنية ، في مصر حيث اوشك امرهما ان يفتضح ، لانجاء ادريس من متقصي آثار الهاشميين ، ثم نراه وقد استقر المقام بادريس في وليلي ، يكون القيم الخاص ، وحارس جسد ادريس ، حتى انهم ليتحدثون بأن راشدا ما كان يتغيب طرفة عين عن حضرة ادريس ، ولا يترك ايا كان يختلي به على انفراد الا لضرورة قصوى لا محيص عنها .. وحتى انهم ليقولون ان مغتال ادريس الشماخ لم يتمكن من ادريس الا يوم تغيب فيه راشد في مهمة لا بد كانت تحتاج حضوره .

واهتمام راشد بخصوص التوجه الى القبيلة البربرية التي ينتمي اليها ، قبيلة بني اوربة ، والتي نجهل الآن موقعها الجغرافي بالتحديد ، ونجهل كذلك ما اذا كانت ما تزال بقايا من هذه القبيلة حتى الساعة ، وان افادني العلامة البحاثة قيم خزانة القرويين السيد العابد الفاسي ، بأن افرادا من هذه القبيلة حتى العهود الاخيرة ، كانت ما تزال تقدم القرابين والذبائح لضريح ادريس دفين زرهون اعترافا بولاء اجدادهم لهذا الفاتح ، اقول ان اهتمام راشد بخصوص هذه القبيلة دون غيرها من القبائل البربرية التي كانت تتوزع رقعة المغرب الترابية ، وخاصة اقليمي فاس ومكناس حيث كانت قبائل زواغة ، وبرغشن او سفروشن وبني الخير وزناتة ، فيه اكثر من معنى .. فهو لا يشير فحسب لتصميم ادريس على اقامة سلطان لعشيرته المطاردة ، وانما ايضا لتوطيده بعصبية تقوم على لحمة الدم والدين .

ويضاف الى كل ما تقدم ان الكتب التاريخية لا تتحدث عن كيف اصبح راشد مولى لادريس ابالولاء ام الشراء ؟ ام الارث ام ماذا ؟..

على ان حرص راشد على استمرار الحكم وبقائه في هذه الذرية ، ذلك الحرص الشديد الذى تجلى بعد اغتيال ادريس ، والذى تجسم في اقناعه البرابرة بضرورة انتظار جنين السيدة كنزة مولدة ادريس البربرية الاصل ، لمعرفة ما اذا كان ذلك الجنين ذكرا يسلمون له زمام ولاية العهد . هذا الحرص كان دليلا قاطعا على ان علاقة راشد بالمولى ادريس كانت اكبر من مجرد عطف واخلاص ، وانما كانت ذلك وشيئا آخر . قد لا نكون غالينا اذا وصفناه بانه طموح من راشد للحكم من وراء ادريس ، خاصة اذا علمنا ان الظرف كانت ايادي المولى فيه تعبث بمقادير الرجال ومصائر دولهم ، مما انتهت اليه اوضاع الدولة العباسية في نهايتها ، ودول الممالك وتلك التى جاءت بعدها .

وعلى كل حال ، فقد تمكن راشد من اقناع البربر بما فيهم زعيمهم الذى تنازل عن سلطته القبلية لادريس ، اسحق بن محمد بن عبد الحميد الاوربي ، اقناعهم بضرورة انتظار المولود . وعمليا وضعت السيدة كنزة التى تذهب بعض الروايات الى انها من نفس قبيلة اوربة او ابنة عبد الحميد الاوربي نفسه مولدا ذكرا ، استقبل بالترحاب والتهليل ، واعتبر منقذا ومرشدا ، وذلك غرة الاثنين ثالث رجب 177 هـ .

وهنا نرى من جديد ، اهتمام راشد بهذا المولود الحفي ، وعنايته الفائقة به ، فقد اعتنى بتربيته وتهذيبه ، وتعليمه كل ما يحتاج اليه من هو مرشح للملك ، ومهيأ للحكم ، معد للسلطان فاقراه القرآن ، الذى حفظه فيما تذهب اليه الروايات التاريخية ، في سنه الثامنة ، وعلمه الحديث والسنة والفقه والعربية ، ورواه الشعر ، وامثال العرب وحكمها ، واطلعه على سير الملوك ، وعرفه ايام العرب ودربه على ركوب الخيل والرمي بالسهام ، وغير ذلك من مكايد الحروب ، فلم يمض له من العمر احد عشر عاما الا وقد اضطلع بما حمل ، وترشح للامر ، واستحق ان يبايع ، (الاستقصا ج 1 مطبعة دار الكتاب بالبيضاء ص 146) .

وتختلف الروايات التاريخية ، في ضبط تاريخ مبايعته كما تختلف في هل تم ذلك على يد راشد مولاه ومربيه أم على يد خلفه أبي خالد يزيد ابن الياس العبدي وبعد اغتيال راشد ، فهناك من الروايات ما يؤكد ان راشد اخذ له البيعة يوم الجمعة عاشر ربيع الاول عام 188 بينما تؤكد روايات اخرى ان بيعته لم تتم الا بعد اغتيال راشد على يد بعض مؤيدي ابن الاغلب حاكم العباسيين على افريقيا بعد خلع محمد بن مقاتل العكي ، على اثر ادعائه انه الذى تولى المهمة ، وانه الذى اغتال راشدا ، فكذبه صاحب بريد هرون الرشيد ، مثبتا ان المهمة انجزها ابن الاغلب ، وفي هذه الحادثة ينشد مقترفها ابن الاغلب هذه الابيات :

الم ترني بالكيد ارديت راشدا
وانى باخرى لابن ادريس راصد

تناوله عزمي على بعد داره
بمحتومة قد هياتها المكايد

فتاه اخو عك بمقتل راشد
وقد كنت فيه شاهدا وهو راقد

ويذهب ابن خلدون في قضية بيعة ادريس الازهر الى انه بويع (حملا ، فرضيعا ، ففصيلا الى ان شب واستتم فبويع مرة رابعة سنة 188 م)

ويتحدث التاريخ عن كيف ان المولى ادريس ، لاثبات جدارته واستحقاقه لما اسند له خطب في القوم عقب مبايعته ووجه اليهم الكلمات التالية :

« الحمد لله ، احمده ، واستعين به ، واستغفره ، واتوكل عليه ، واعوذ به من شر نفسي وشر كل ذي شر ، واشهد ان لا اله الا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، المبعوث الى الثقلين بشيرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، صلى الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين ، الذين اذهب عنهم الرجس ، وطهرهم تطهيرا .

ايها الناس انا قد ولينا هذا الامر ، الذى يضاعف للمحسن الاجر وللمسيء الوزر ، والحمد لله على قصد جميل ، فلا تمدوا الاعناق الى غيرنا ، فان ما تطلبونه من اقامة الحق ، انما تجدونه عندنا ..)

واضاف المؤرخون انه بعد تلك الكلمة : دعا الناس الى بيعته ، وحضهم على التمسك بطاعته وان الحضور تعجبوا من فصاحة الصبي الملك ، ومن قوة جاشه وثبوت جنانه ، على صغر سنه .

وتطايرت الاخبار ، بأعمال الملك الصبي ، وبمدي الجسارة الحكيمة التى يبديها فى ميدان تصريف الشؤون ، والاخذ باسباب تقعيد ادوات الحكم ، واسس السلطان فتوافدت عليه الوفود من كل حدب وصوب، وبالاخص فى سنة 189 حيث وفدت عليه وفود من عرب الاندلس وافريقيا ، بلغت جالياتها ـ فيما يخص التاريخ ، نحو الخمسمائة فارس من القيسية والازد ومذحج ، وبني يحصب والصدف وغيرهم وانه سر بوفادتهم واجزل صلاتهم ورفع منازلهم ، واتخذ منهم بطانتـه ، ـ .. ثم استوزر منهم عمير بن مصعب الازدي ، المعروف بالملجوم من ضربة ضربها فى بعض حروبهم وسمته على الخرطوم .

واستقضى عامرا بن محمد بن سعيد القيسي، من قيس عيلان .

واستكتب ابا الحسن عبد الله بن عبد الملك الانصاري .

واستتب امر المولى ادريس فى مسقط راسه ، ومنطلق ملكه وليلي بعينه على ذلك الثلة المؤمنة من اصحابه واخواله البربر النفزاويون .. وتمكن بفضل ذلك من توسيع رقعة مملكته ، حتى ضاقت عاصمة ملك ابيه وليلي ولم تعد تتناسب والمهام الخطيرة الجديدة التى على الدولة الناشئة الآخذة فى التقعيد أن تواجهها ، بصبر وأناة ولكن بقوة وايد .. فاضطر الملك الصبي القوي الشكيمة النافذ البصيرة ، المؤمن النفس ، بطاقته وبالرسالة التبشيرية والتمدينية التى عليه أن يواجهها الى التفكير فى انشاء عاصمة جديدة ، تتسع لهذا الملك النافح الذرى ، الباسق الاغصان ، الذى اوشك على الانبثاق ، وتركيز عروقه وجذوره فى أعماق هذا البلد الطيب الكريم المعطاء، فكانت هذه العاصمة فاس الفيحاء وكانت هذه الحاضرة العلمية التى سنتحدث عن كيفية انشائها وتأسيسها على يد هذا الملك الهمام والولي المصلح المولى ادريس فيما يأتي .

فاس ــ عبد الكريم التواتي

خلت الديار ...

كان فخر الاسلام ابو بكر محمد بن احمد بن الحسين بن عمر الشاشي الشافعي ورعا دينا ، واليه انتهت رياسة الشافعية فى بغداد ، فأنشد فى أحد دروسه :

خلت الديار فسدت غير مسود
ومن العناء تفردي بالسؤدد

ثم وضع المنديل على عينيه وجعل يبكي ...

سفارة فرنسية لدى جلالة الحسن الأول

للدكتور عبد الله العراقي

– 2 –

وبعد زيارة الصدر الأعظم ، توارد على قصر المامونية بعض الوزراء والشخصيات البارزة من حاشية السلطان ، حيث جرت بينهم وبين السفير مباحثات ومناقشات تتعلق بحفلة الاستقبال الرسمي التى عقد لها موعدا صباح الغد القريب .

فى صميم « البروتوكول » :

وفى هذه الاثناء اثيرت مسالة تتعلق بمراسم التشريفات وباحدى شكلياتها على وجه التحديد . ولقد اقامت هذه المناقشة رجال الحكومة واقعدتهم ، ذلك ان السفير الفرنسي الجديد ، اراد ان يخرق عادة كانت – حتى ذلك الحين – متبعة بين جلالة السلطان وجميع السفراء الذين استقبلهم وسبق ان قدموا له أوراق اعتمادهم ، فقد طالب السفير بأن يؤذن له بالتسليم على العاهل المغربي وهو لابس قبعته غير حاسر الراس ، ما دام يتحدث باسم فرنسا ، حيث ان السفير لاحظ ان المقابلة ستتم فى الهواء الطلق ، وتحت شمس مراكش الساطعة ، الامر الذى ربما برر مطلبه حسبما كان يعتقد . وقد كان من حججه التى ناقش بها ان ملوك اوربا يسمحون بهذا عندما يقابلون سفراء الدول فى مثل هذه الظروف ، وتحت وطاة الحر الشديد .

قد تبدو المسالة فى حد ذاتها غير ذات اهمية تذكر ، اذ انها تتعلق باحدى الشكليات لا بالجوهر ، ولكن الاستجابة لمثل هذا المطلب فى بلد عريق محافظ على تقاليده مثل المغرب ، قد أثار كثيرا من التعاليق ، وربما اثار شيئا من القلق والاندهاش والخطورة . ولهذا اضطر وزير العدل – الذى ينوب عن وزير الخارجية – ان يقوم بعدة زيارات لبحث هذه المسالة مع السفير الفرنسي محتجا على الخصوص بأن السماح بخرق هذه العادة المتبعة ، واحداث مثل هذا التجديد ، سيؤثر فى الذين سيحضرون حفلة الاستقبال ، وربما راوا فى مثل هذا العمل امارة استهتار ، او علامة على عدم احترام العاهل العظيم ، ثم الا يفت القيام بهذا التغيير فى السمعة الطيبة ، والنفوذ الروحي لشخصية الملك المقدسة التى يجري فى شرايينها دم النبي محمد صلى الله عليه وسلم ؟

فاجاب السفير بان الامر ربما كان على عكس هذا تماما ، ذلك ان السلطان حينما يقوم بهذا التغيير، انما يفعل مثلما يفعل ملوك اوربا ، واضاف محتجا بأن السفير لو كان يتكلم عن شؤونه الخاصة، لما فكر اطلاقا فى ان يبقى فى حضرة الملك لابسا قبعته ، ولكنه فى اللحظة التى يشرع فيها فى التحدث باسم فرنسا فان شخصيته الفردية حينئذ تتقلص او تختفى تماما ، لتتقمص روح امته ، وروح رئيس دولته ؛ وفى هذه الحالة يكون السفير ذا مكانة مساوية لمكانة امبراطور المغرب . وهكذا يبقى جميع افراد السفارة حاسري الراس ؛ اما هو فيطلب لنفسه حق تغطية رأسه ... لكل هذه الاعتبارات ينتظر

السفير دعوة السلطان له بأن يبقى لابسا قبعته ، بل يصر على ان تكون الدعوة هكذا .

وطلب السفير ان يتلقى جوابا حاسما فى الوقت المناسب ، وقبل المثول بين يدي السلطان . واضاف قائلا : واذا لم يستجب السلطان لرغبتي ، او لم يحضر لاستقبالي ، او حضر ولم يأذن لي فى بقاء القبعة على راسي ، فاني سانسحب حالا ، تاركا اوراق الاعتماد بين يدي الصدر الاعظم ، ليتولى هو ايصالها الى يد السلطان ... وهكذا اوقف السفير الفرنسي الجديد امر العلاقات الدبلوماسية بين دولته وبين دولة المغرب المستقل على حافة الهاوية ؛ لولا التصرف الحكيم الذى ابداه صاحب الجلالة الحسن الاول .

فهل كان المسيو اورديكا مدفوعا لمثل هذا العمل دفعا فكانت النية مبيتة لتقديم مثل هذا الطلب ؟ ام ان المسالة جاءت عفوية تلقائية ؟ نرجح ان ظروف التحرش واستفزاز والتدخل الذى كان يسود دول أوربا الاستعمارية فى القرن الماضي ، كان لها دخل كبير فى الموضوع . ويدعونا الى هذا الترجيح ان سفيرا فرنسيا آخر ، فى وقت قريب ليس ببعيد، كان اثار ضجة اخرى مماثلة تتعلق بمراسم التشريفات ايضا .

ويتلخص ذلك فى ان العادة السائدة فى البلاط المغربي ، كانت تقضي بأن يظل السفير واقفا امام الجلالة الشريفة طوال المدة التى تستغرقها المقابلة . وكانت حجة هذا السفير ومن لف لفه ان هذا لا يليق ، خصوصا أن معظم السفراء يكونون فى الغالب شيوخا قد بلغوا من الكبر عتيا ، فقد لا يستطيعون — والحالة هذه — ان يتحملوا الوقوف مدة قد تطول ... وحدثت مناقشات فى البرلمان الاوروبية، وصدرت تظلمات من جهات متعددة ، مما ادى فى النهاية الى تنازل الجانب المغربي ، والسماح للسفراء بالجلوس بين يدي جلالة سلطان المغرب .

بقيت مسالة تغطية الراس التى طالب بها المسيو اوردبكا موقوفة بعد ذلك التهديد الذى صدر منه ، والذى جعل العلاقات الدبلوماسية المغربية — الفرنسية على شفا جرف هار ، الى ان حلت الساعة السادسة من صباح اليوم التالي الذى كان مخصصا للاستقبال الرسمي وتقديم اوراق الاعتماد، حينئذ قدم وزير العدل الى قصر المامونية ليحادث السفير الفرنسي عن التعديل المقترح ، وليبلغه وعدا بأن رغبته قد حظيت بموافقة السلطان .

نحو الاستقبال الرسمي :

وبعد مدة جاء الى قصر المامونية ، خليفة « قائد المشور »، صحبة عشرة فرسان ، وذلك للاتفاق مع السفير على الطريق الذى ستسلكه البعثة الدبلوماسية ، مقترحا فى نفس الوقت ان يقع الاختيار على اقصر طريق يربط ما بين قصر السلطان (المشور) وبين قصر المامونية مقر البعثة .

وفى الساعة 9 من صباح 3 ابريل 1882 م امتطى افراد السفارة وفى مقدمتهم السفير صهوات الجياد ، وشرع الموكب فى المسير ، وقد تشكل الموكب على المنوال التالي :

فى المقدمة الفرسان العشرة وهم راجلون ، ويلي هؤلاء فارسان مسلحان ببندقيتين ذواتي ماسورة طويلة ، ويلي هذين الفارسين السفير الفرنسي الجديد وكل اعضاء سفارته . ويتبع هؤلاء حرس الشرف الذى يرافق السفارة ، وفى المؤخرة عشرة فرسان آخرون .

وعندما وصل الموكب الى المشور ، ترجل الجميع ، وترك الفرسان الذين سيقومون بدور ما فى حفلة الاستقبال احصنتهم خارج المشور . وكان عدة آلاف من الجنود البيض والسود يتشكلون وهم مصطفون مستطيلا كبيرا اخترقته البعثة لتحتل مكانها وسطه ، وكان الجنود يمثلون مختلف الاسلحة .

وبعد وقت يسير من الانتظار ، حدثت حركة نشيطة فى المكان الذى اجتمع فيه الوزراء والشخصيات السامية والضباط والاعيان والوجهاء وافراد آخرون من الشعب ، وفى نفس الوقت خرج من القصر نحو خمسين مخزنيا وهم يخطون خطوات رياضية ليصطفوا امام البعثة الدبلوماسية ، وفى اللحظة ذاتها تدق الطبول وترن الابواق والمزامير فتسمع انغام « مارش » اسباني .

ويظهر موكب جلالة الحسن الاول تعلوها منه مظلة كبيرة حمراء اللون ، فلا تلبث حناجر

الحاضرين ان تلفظ جملة : « الله يبارك فى عمر سيدنا » ، وينحني المخزنيون ثلاث مرات تحية للسلطان . وفى نفس الوقت ، وعلى شاكلة الخطوة الرياضية التى خرجوا بها ، ذهبوا لياخذوا امكنتهم على يمين الجنود المصطفين وعلى شمالهم ، وبتنحيهم هذا فتحوا المجال امام البعثة لتنظر جليا وعن كثب، موكب السلطان وهو يتقدم فى خطوات وئيدة تتسم بالوقار والجلال والهيبة .

كان جلالة السلطان يمتطي صهوة جواد ابيض مجهز بسرج ولجام اصفر اللون ، وكان يسير الى جانبه المكلفون بحمل المظلة ، الحريصون اشد الحرص على ان لا تقع اشعة الشمس على راس سيد البلاد . وكان يسير أمام حصان صاحب الجلالة جنديان مسلحان بمزراقين ، ومسبوقان بقائد المشور الذى كان من جملة مهامه تقديم السفراء الى السلطان . وكان يسير فى مؤخرة الموكب الملكي الصدر الاعظم ووزراؤه .

وكان يكون جزءا من الموكب خمسة احصنة مطهمة مجهزة بأجهزة ذات الوان براقة مختلفة ، ويقودها من الجمتها خمسة من السواس رائضي الخيل ، وكان هؤلاء ملزمين بمرافقة السلطان فى كل حفلاته الرسمية ، وسارت ضمن الموكب عربة خيل فخمة كانت الوحيدة من نوعها فى المغرب كله ، ويبدو انها كانت هدية من ملكة انكلترا : الملكة فيكتوريا . كانت العربة الفخمة تحتوي على مقصورة كبيرة مطلية باللونين الاخضر والذهبي ، ويجرها حصان واحد ابيض اللون يقوده من اللجام سائس آخر .

اللحظة الحاسمة :

لم يقف السلطان مسيرته الى ان اقترب من السفير ، حينئذ كشف هذا الاخير راسه رافعا قبعته تحية لجلالته ، فحذا حذوه بقية اعضاء السفارة . ومن خلال مظاهر الاجلال والاحترام والوقار الذى يسود الموقف ، ومن « المظلة » التقليدية ، ومن مكوث مولاي الحسن راكبا وسط حشد راجل ، يتضح جليا أن الجميع فى حضرة جلالة الحسن الاول الذى كانت حياته تتسم بالتقوى والاخلاص والتواضع ، لدرجه انه لم يكن يفرق بينه ـ من حيث الشارة والهندام ـ وبين رجال حاشيته المحيطين به اي فارق جوهري .

وحسب شهادة احد معاينيه من اعضاء هذه السفارة ـ ونعني به الدكتور مارسيه ـ فان مولاي الحسن كان فى حدود الخامسة والاربعين من عمره، طويل القامة ، يميل الى النحافة أكثر مما يميل الى السمنة ، اسود اللحية ، مقصوصها فى شكل مربع ، وكانت لحيته خفيفة غير كثيفة ، وليس بها امارات شيب . كان مولاي الحسن شاحب اللون ، صافي اديم الوجنتين ، شارد النظرة حائرها ، يميل راسه الى اليسار قليلا . وفى كل مواقفه، كما فى محياه، تبدو علائم الصبر والأسى. يتحدث بصوت منخفض متمهل حتى لا تكاد تسمع كلماته التى فاه بها اول مرة ، غير ان قائد المشور ، الذى كان يملك صوتا جهوريا قويا ، كان يكرر أقوال صاحب الجلالة الذى بدا بالترحيب بوزير فرنسا فانحنى هذا فى اجلال ، ثم شرع يلقي خطاب تحية ومجاملة ، مما يقال عادة فى مثل هذه المناسبة . وحينما انتهى من ذلك قدم اوراق اعتماده الى جلالة السلطان ، وكانت فى ظرف أنيق من الحرير الازرق ، مزخرف بشريط حريري اصفر .

ولاحظ كل من اعضاء السفارة الفرنسية واعضاء الحكومة المغربية ، ان السفير الفرنسي بقى حاسر الراس ، خلافا لرأيه السابق الذى دافع عنه امام وزير الجلالة الشريفة بكل ما اوتي من قوة برهان ، ومهارة دبلوماسية . غير أن الحسن الاول العظيم ـ وقد تسلم اوراق الاعتماد ـ لم يشأ ان يخلف وعده ـ ووعد الحر دين ـ وأن يظل السفير الفرنسي حاسر الراس وقد اوشكت الحفلة على الانتهاء ، لذا تفضل فدعا السفير الى لبس القبعة شافعا دعوته باشارة من يده اليمنى . وهكذا لم يكن فى الامكان أبدع مما كان ، وحلت أحسن حل مشكلة القبعة التى أثيرت مساء أمس وكانت على وشك ان تكون فى تعقيد ذنب الضب !

وبعد هذا ، خطا نحو جلالة السلطان المترجم الاول السيد de Gray بضع خطوات ، ثم شرع فى تلاوة خطاب السفير باللغة العربية ، حيث كان هذا الخطاب قد سبقت ترجمته الى لغة البلاد الرسمية . وحينئذ شكر السلطان السفير الفرنسي على عواطف الصداقة التى ابداها باسم الحكومة الفرنسية ، وجدد السفير تأكيده لتلك الصداقة التى تربط بين البلدين غير ضان بالقول : ان فرنسا ستكون دائما احسن حليف مخلص للمغرب . فقال

السلطان : انه على ثقة تامة فى صدق ما اعلنه السفير ، وانه يعرف السيد اورديكا رجلا امينا عادلا ومستقيما .

قال الدكتور مارسية : ان اسارير السلطان اخذت توحي ــ الآن ــ بتعبير، ختلف عن ذلك الذى كانت تبدو به أثناء قدومه . فالابتهاج يلوح من بين عينيه ، وكل ملامحه صارت تعبر عن شعور ملحوظ من الرضى والاريحية ... ولاحظ فوق ذلك ان جلالته كان لا يزال يكن فى نفسه جوا من عدم الاكتراث ومن الملل ، ولعل ذلك الجو ــ على عكس ما يبدو لاول وهلة ــ لا يمثل بين الشرقيين امارة تعب واناك قوى ، بل على العكس من ذلك يعتبر دليلا على الامتياز والرقعة والوجاهة والنبل .

وكانت العملية التالية فى مراسم التشريفات هي تقديم اعضاء السفارة واحدا واحدا الى السلطان ، وكان جلالته يعير انتباهه جيدا لكلمات الترجمان ، ويحاول من خلالها ان يتعرف خاصة على وظيفة كل واحد ومرتبته ، فاذا ساورته اية ريبة فى ان الخبر غير كاف ، تفضل فسال المعني بالامر ، وكان جلالته يحيي من يتعرف عليه بايماء خفيفة من راسه ، فكان المؤمى اليه يجيب بانحناءة مماثلة .

نهاية الحفل :

واخيرا وجه السلطان الى السفير كلمات مجاملة ، ثم بعد ان وجه له التحية الاخيرة كان ذلك ايذانا بانتهاء الحفل ، وبمثابة وضع نقطة النهاية لمراسم التشريفات الخاصة بتقديم اوراق الاعتماد ، فولى جلالته من حيث أتى . وكان الرجوع الى القصر السلطاني بنفس الطريقة التى قدم بها الموكب تحف به المهابة والجلال ، وتحوطه العناية الربانية .

شعور عام بالرضى :

استمر الاحتفال اكثر من ربع ساعة . والذين حضروا الحفل ، وقاسوه بحفلات اخرى مماثلة سابقة ، اكدوا ان صاحب الجلالة الشريفة لم يكن فى يوم ما مسهبا مثل ما كان فى هذا اليوم . ولعل من علائم ذلك الشعور العام بالرضى ان الصدر الاعظم وكل وزرائه بادروا المسيو اورديكا وصافحوه بحرارة . ولا ريب ان الحاضرين رأوا فى وجه السلطان امارات البشر والرضى، فطفحت وجوههم بذلك ايضا .

فى حدائق أكدال :

وبعد ذلك بقليل كان السفير وحاشيته على صهوات جيادهم مرة اخرى . وكان برنامج الرجوع قد تقرر من قبل . فقد كان من العادة المتبعة ان يزور السفير ومن معه حدائق اكدال بمراكش . لذا لم يكن بد من تعريج الموكب على تلك الحدائق . وكان قائد المشور هو الذى يقود الموكب الذى اخترق الحديقة الاولى ثم الثانية ثم الثالثة ــ اجمل الجميع على الاطلاق ــ . وكانت هذه الحدائق مثل حديقة قصر المامونية مقسمة الى مربعات يفصل بين كل مربع وآخر طريق واسعة محفوفة باشجار الجوز من كلا الجانبين .

اما محتويات هذه الحدائق فكانت فى طياتها اشجار الزيتون واشجار البرتقال والليمون التى لم تكن تبخل على زوارها بثمارها اليانعة وقطوفها الدانية تارة ، وبشذى زهورها العطرة تارة اخرى ، وبتأثير المياه المتكاثرة التى تجري عبر قنوات تستقى من معين لا ينضب ، وبتأثير الحرارة المتوافرة ، نمت اشجار اخرى مثل : الاجاص والتفاح والمشمش والبرقوق والرمان الى جانب أشجار النخيل الباسقة وتحت اقدام هذه الاشجار كانت تلوح للناظرين شجيرات الورد والياسمين التى كانت تتمايل راقصة وكانها تشارك الزوار فرحتهم وابتهاجهم ، كما كانت تحمل على افنانها زهرات متفتحة تسر الناظرين وتغريهم بقطفها فى آن واحد .. ووسط هذا المنظر الرائع العبق كانت تنبث هنا وهناك دور او اكشاك بنيت لاستراحة السلطان وحريمه ، او لقضاء فترات من العمر لا تنسى .

ان الفسحة هنا فى حدائق اكدال الواسعة لا تكاد تنتهي . غير ان نظامها المتشابه جعل زائريها يشعرون عند الساعة الحادية عشرة بوطأة الحر والتعب والجوع اكثر مما صاروا يحسون بالانتعاش والراحة وجمال النزهة ، مما حدا بالسفير ان يبدي رغبته فى العودة الى قصر المامونية محل اقامة البعثة . وعاد الركب بالفعل وصورة الاستقبال الرسمي ــ وما تخلله من عواطف ومواقف لا تكاد تبرح مخيلة اعضاء السفارة .

الهدايا :

كان من التقاليد المتبعة فى البلاط المغربي أن كل سفير جديد ، يأتي معه بهدايا يقدمها لجلالة

السلطان ورجال حكومته ، وذلك باسم الحكومة التى يمثلها . ولا ريب ان سلاطين المغرب كانوا فى مقابل ذلك يزودون سفراءهم الى الخارج بمثل تلك الهدايا ايضا ، وبمجرد دعوة البعثة الى محل اقامتها بقصر الضيافة ، صارت تفكر فى توزيع الهدايا على الشخصيات ، وتخصيص كل بما يناسب مقامه ، والمهمة فى حد ذاتها قد تكون صعبة تتطلب الحذق والمهارة والذوق السليم ، فاذا توافرت هذه الخصال فى اختيار الهدايا وفى توزيعها فان كلا من المهدي والمهدى اليهم يشعرون بالراحة والرضى والاطمئنان والتقدير .

ولصعوبة المهمة التى شعر بها السفير ورجاله قرروا استعراض هداياهم من جديد ، بما فيها الهدايا التى اتى بها الكومندار ممثل جنرال الاحتلال الفرنسي بالجزائر الشقيقة . وهاهي ذي :

1 ـ حق تبغ من الذهب الابريز المزين بحجر الماس .

2 ـ ساعة من الذهب الخالص تشير فى مربعات صغيرة الى الشهر واليوم والساعة والدقيقة والثانية .

3 ـ ساعة اخرى من الذهب مماثلة لسابقتها

بيد انها تشير فقط الى الساعة واليوم.
هذه هي الهدايا التى اتى بها السفير من فرنسا نفسها ، اما تلك التى اتى بها الكومندار من الجزائر فهي :

4 ـ مجموعة من آنية الشاي تتالف من اربع قطع فضية لطيفة .

5 ـ ثلاث كؤوس فضية بمقابض لشرب الماء .

6 ـ حق تبغ من الذهب الخالص .

7 ـ ثلاث ساعات مزرودة بسلاسل ومداليات كبيرة .

8 ـ مسدس مع عدة قراطيس .

9 ـ مسدس ذو ثلاث فوهات .

وواضح ان الهدايا القادمة من القطر الشقيق على كثرتها تعتبر اقل قيمة من الهدايا الآتية من فرنسا . وبعد استعراض هذه الهدايا تقرر ان تخصص الهديتان الاولى والثانية لجلالة السلطان على ان يتولى السفير ـ مصحوبا بسكرتير السفارة وعضو آخر مع الترجمان Gaspary ـ تقديمهما الى جلالته .

اما هدية الصدر الاعظم فتتمثل فى اواني الشاي الفضية ، على ان يتولى تقديمها اليه الكومندار مع سائر الهدايا ، ملتمسا منه ان يعمل على تمكين أصحابها منها . ولم تستثن البعثة من مجموع الهدايا السابقة الا هديتين اثنتين ، احتفظت بهما الى حين عودتهما الى العاصمة الدبلماسية (طنجة)، حينئذ تقدم احداهما الى وزير الشؤون الخارجية السيد بركاش ، وتقدم الاخرى الى الباشا السيد ابن عبد الصادق .

رأي فى الهدايا :

ويحدثنا الدكتور مارسيه عن عادة تقديم الهدايا الى الجلالة الشريفة مظهرا حياده حيالها فلا هو يحبذها ولا هو يستنكرها ، ولكنه يظهر بوضوح عدم كفاءة هذه الهدايا الفرنسية لدى مقارنتها بهدايا سبق ان قدمها سفراء آخرون ، مشيرا الى العربة الفخمة التى برزت فى حفلة الاستقبال وكان يجرها جواد مطهم . قال : « تلك هي الهدية المناسبة التى تنم عن البراعة الفائقة فى الاختيار » . ثم يضيف قائلا : « لقد سمعت ان الايطاليين الذين سيأتون بعدنا ، اقترحوا ان يقدموا للسلطان مجموعة من آلات الأرغن ، وآلات موسيقية أخرى بارعة التعبير ، بالاضافة الى آلات « بيانو » ميكانيكية . فهذه ايضا ـ فيما ارى ـ هي الهدايا الاكثر ملاءمة من اسلحتنا وحقاقنا وساعاتنا » .

ختام :

وطالت اقامة البعثة الديبلوماسية الفرنسية فى مراكش محفوفا اعضاؤها بكل ما يستحقونه من تكريم . وقد تقابل السفير الفرنسي مع جلالة الحسن الاول خلال مدة الاقامة ، وتباحث معه فى قضايا تهم البلدين مثل الحوادث العسكرية على الحدود المغربية ـ الجزائرية ، ومثل التعويضات التى طالب بها الفرنسيون نتيجة الغارات المغربية على بعض اطراف هذا القطر الشقيق المبتلى بالاستعمار الفرنسي منذ سنة 1830 ، ثم الشكايات

التى كان يثيرها التجار الفرنسيون فى المغرب وما الى ذلك من القضايا التى يتسم بعضها بطابع التحرش ، وبعضها بطابع الافتعال والتصنع كما سبق ان اشرت من قبل .

وليس من خطة هذا البحث تتبع المهام التى قامت بها هذه السفارة ، وحظوظ النجاح او الفشل التى صادفتها ، سواء فى مراكش او فى طنجة ، فهذا موضوع يطول . وانما كان هدفه من اول وهلة المشاركة فى العدد الخاص بعيد العرش بغية اطلاع القاريء الكريم على بعض العادات والتقاليد التى كانت مرعية فى بلاط المملكة المغربية فى اواخر القرنين الثالث عشر الهجري والتاسع عشر الميلادي ، اثناء تقديم السفراء الجدد أوراق اعتمادهم لاحد سلاطين المغرب المستقل العظام .

تطوان ـ الدكتور عبد الله العمراني

كنا على ميعاد ...

دخل على ابن العربي الاديب ابن صارة الشنتريني ، وبين يدي القاضي ابي بكر نار علاها رماد ، فقال لابن صارة : قل فى هذه . فقال :

شابت نواصي النار بعد سوادها
وتسترت عنا بثوب رماد

ثم قال لابن العربي : أجز . فقال :

شابت كما شبنا وزال شبابنا
فكأنما كنا على ميعاد

الجندية في عهد السلطان المولى محمد بن عبد الرحمن

كيفية انشائها ، وتكوينها ، وتدريبها

للأستاذ الحاج أحمد معنينو

آراء عباقرة المفكرين من فلاسفة الاسلام ، وجنرالات المسلمين الابطال ، تؤيد وجهة نظر ملكنا المفدى . فى كيفية الانشاء والتكوين فى دائرة التعاليم الدينية وانها المخرج الوحيد لصيانة الكيان العربي الاسلامي من التصدع والانهيار والتدهور .

لقد تصفحت الجزء التاسع من كتاب الاستقصاء فى اخبار المغرب الاقصى للعلامة احمد بن خالد الناصري (1) رحمه الله . وعندما بلغت اخبار الحروب فى عهد المولى عبد الرحمان (2) وولده وولي

---

(1) **احمد بن خالد الناصري :** من مواليد سلا ومن اسرة مجيدة علمية وشريفة نشا فى الطهر والفضيلة، وتربى تربية مستقيمة حتى ظهر منه العالم السلفي الفذ ، فى عصر الحسن الاول قدس سره ، لجانب علمه وسلفيته وحيويته ونشاطه وموقفه الحازم ضد خصوم السلفية فى عصره ، رغم **الاذاية** والشكايات ومحاولة منعه من تفسير كتاب الله ونشر سنة الرسول الامين عليه صلوات الله ، يعد فى طليعة الادباء المغاربة ، وشرحه لمنظومة **ابن الونان** (الشمقمقية) يضعه فى صفوف الادباء الاولين ، وهو فوق ذلك مؤرخ عبقري ، وفيلسوف عمراني ، ومؤلفه المنقول عنه « **كيفية تنظيم الجيش الاسلامي** » وهو (**كتاب الاستقصا في أخبار المغرب الاقصى**) يعد ركنا ركينا لتاريخ المغرب القديم والحديث ، ومرجعا من أوثق المراجع للاحداث التاريخية ، والفلسفة العمرانية ، وقد شرق وغرب ، وترجم كله وبعضه لعدة لغات قصد الاستفادة من الحقائق المحررة فيه ، وطرق علاج الاحداث وسبب الانتصار والانكسار فى شتى الميادين .

(2) **سلطان المغرب المولى عبد الرحمان بن هشام :** تولى شؤون الملك عقب وفاة عمه الملك السلفي المولى سليمان طيب الله ثراه ، وذلك فى 1238هـ وفى عهده حصلت شبه حرب بين المغرب وفرنسا بمكان قرب الجزائر يسمى **(اسلي)** وبالضبط حصلت الواقعة سنة 1255 هـ وكان براس الجيش المغربي فى هذه الحرب ولي العهد المولى محمد ، وبما ان الجيش المغربي لم يكن مدربا ولا مكونا ولا مجهزا حسب ظروف العصر ، انكسر فى هذه الوقعة المؤلمة ، يقول الناصري مؤرخ المغرب عنها : «انها كانت مصيبة عظمى ، وفجيعة كبرى لم تفجع الدولة الشريفة بمثلها !
وتوفى المولى عبد الرحمان بن هشام يوم 19 محرم 1276 هـ بمكناس .

عهده السلطان سيدي محمد (3) بن عبد الرحمـــان وقفت على عناية كبرى واهتمام عظيم صدر من المولى محمد بدراسته الاسباب فى انكسار الجيش المغربي **فى واقعتين متتابعتين** وقعة ((**اسلي**)) فى عهد والده مع الفرنسيين، واحتلال **تطوان وما اليه فى عهده من الاسبان**

وامام هذا التدهور والارتباك اصبح رضي الله عنه يهتم بأمر الدولة والعمل على صيانتهـا بتدارك الموقف ، فاتخذ الاسبـاب الواقيـة للمغـرب مـن الانكسار ، وذلك **بتنظيم الجيش المغربي** ، على الطرق الحديثة المتبعة اذ ذاك باوربـا ، وشرع رحمه الله يستورد الاسلحة الحديثة ويبعث البعوث من رجالات المغرب للتكوين المهني فى شـؤون تنظيـم الجيـش وترتيبه ، وللمؤلف الخبير كتابة فى الموضوع لنستمع لما كتبه بالجزء التاسع الطبعة الاخيـرة بالبيضـاء صفحة 103 تحت عنوان :

القول فى اتخاذ الجيش وترتيبه وبعض آدابه فى عهد السلطان المولى محمد بن عبد الرحمان

اعلم انه واجب على الامام حماية بيضة الاسلام، وحياطة الرعية ، وكف اليد العادية عنها ، والنصح لها ، والنظر فيما يصلحها ، ويعود عليها نفعـه فى الدين والدنيا ، ولا يمكنه ذلـك الا **بجنـد قـوي وشوكـة تامـة** بحيث تكـون يده غالبة على الكافة ، وقاهرة لهم ، واتخاذ الجند اذا واجب. وعليه فيندب له ان يتخذ لهم ديوانا يجمع اسماءهـم ، ويحصـي عددهم، ليحصل الضبط ، وينتفي اللبس .

واول من اتخذ الديوان ، **امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه** حيث امر **عقيل بن أبي طالب، ومخزمة ابن نوفل ، وجبير بن مطعم** وكانوا من كتاب قريش ، فكتبوا ديـوان : **العساكـر الاسلاميـة** على ترتيب الانسـاب مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسـلم . الخ .. الخ . فما بعدهـم الاقـرب فالاقرب وهكذا ينبغي للامام ان يرتـب جنـوده ، اولا ديوان كبير هو الأم .

يجمع اسماء العساكر كلها الحاضرة والغائبة ، **والخاصة والعامة** ، ثم يجعل دواوين صغارا يشتمل كل واحد على طائفة **مخصوصة** مثل عسكر الامـام الذى يلازمه حضرا وسفرا ، وعسـاكر **الثغور والقلاع** ونحو ذلك ، وتكون هذه الدواوين الصغـار بمنزلـة الفروع للكبير ، تتجدد كلما تجددت الطوائـف كمـا سيأتـي :

وكل ديوان منها يشتمل على ارحاء مثلا ، وكل رحى على مئين ، وكل مائة بضباطها وطبيبها وعالمها!، الذى يعلمها امر دينهـا وغير ذلـك ، قال صاحـب **((مصباح الساري))** ما **ملخصه** كانت الدولة العثمانية فى اول امرها اذا استخدمت طائفة من الجند بقيت

---

(3) **السلطان المجدد المولى محمد بن عبد الرحمان** : تولى شؤون الملك عقب وفاة والده المقدس ، وبويع بالملك بسائر اطراف المغرب ، وبعد مرور شهرين على جلوسه فى عرش اسلافه المقدسين ، اعلنت اسبانيا الحرب (ضد المغرب) وذلك سنة 1276 هـ ـ 1859 م ـ 1860 م ولا مفر للمغرب من مواجهة هذه الحرب التى دهمت السلطان فى اول خطواته الموفقة ، جرت معارك دامية قاسيـة تجرع خلالها الجانب المغربي والجانب الاسباني كؤوس الحنظل ، واحتلت مدينة تطوان وما حولها من لدن الاسبان ، لان الجيش المغربي كانت تنقصه الاستعدادات والتكوين المهني والانظمة الحربية الحديثة والسلاح القوي البتار فى ذلك العصر، فرغم عظمة الجندي المغربي وموقفه البطولي منذ عرفه التاريخ ، انكسر ، ولا مرد لقضاء الله .
ومنذ حلت هذه النكبة الثانية بالجيش المغربي:(انكسار بالناحيـة الشرقيـة ، وانكسار بالناحيـة الشمالية) وفرنسـا واسبانيا خصمان لدوذان المغرب منذ أقدم العصور ! حينئذ تحيرت ، افكـار العرش والشعب فى المخرج من المـازق ، وتلافي وتدارك الحال قبل فوات الاوان ، ومن المعلوم ان العرش والشعب توامان لا غنى لجانب عن جانب (الشعب بالعرش ، والعـرش بالشعـب) ، بعـد البحث لكل الظروف والملابسات وجد العلاج الحاسم ، ملك همام يقف عند حسن ظن الشعب به فى اتجاهاته القيمة بتكوينه لجيش لجب مدرب ومنظم ومزود بالاسلحة الحديثة ، وبالرجال الاكفـاء التقنيين الخبراء ، ومكون تكوينا اسلاميا ، ومتمسك بعقيدة التوحيد التى يعـد ملـك البـلاد حاميها الامين فى هذا الوطن المفدى .

في الخدمة طول عمرها . ولما كان هذا الامر صعبا وغير مقتضى للتسوية بين الرعية في هذا الحق العظيم . اقتضى نظرهم ان يعملوا القرعة بين ابناء الرعية عند انتهاء كل خمس سنوات ، فمن استكمل مدة خدمته وتبصر بما يلزمه من حرب عدوه ، وقدر على المطالبة والمدافعة ، ذهب لحال سبيله ، لطلب معيشته ، فذو الحرفة يرجع الى حرفته ، والتاجر الى تجارته ، وهكذا . ويؤتى بطائفة اخرى بدلها حتى تصير الرعية كلها جندا قادرة على **المطالبة** والمدافعة ، متى احتاجت الى ذلك ، ثم من استوفى مدة خدمته بقي معدودا في صف الرديفة ، ومعنى الرديف : انهم يكونون عند الدولة **متى احتاجت اليهم في نازلة عظيمة، او حرب مثل ما يكون بين الاجناس.** فاذا انسلخت السبع سنين فهو حر ، دائما وابدا فلا يضرب عليه بعث . ولا يكلف يغزو الا اذا شاء ، فجملة مدة **الخدمة العسكرية** بين اصلية ورديفية اثنتا عشرة سنة (12)، وشرط المستخدمين في العسكر ان يكونوا في سن العشرين (20) الى خمس وعشرين سنة (25) ، فمن زاد على ذلك او نقص لا تقبله الدولة ، لينضبط الامر ، وان اصطلح على اقل من ذلك او اكثر فلا بأس .

فاذا اريد اعمال القرعة بينهم وذلك عند راس خمس سنين كما قلنا ، اجتمع كل من هو في ذلك السن من اهل الناحية مثل « **مراكش واعمالها ، وفاس واعمالها ، والعدوتين واعمالهما** ، في يوم معلوم من السنة لا يتقدم ولا يتاخر . فيحضر نائب السلطان ، ويحضر القاضي والشهود ، وتكتب بطائق على عدد رؤوس الحاضرين فلان بن فلان الفلاني سنه كذا ، فاذا اجتمع لنا من البطائق 100 ، ونحن غرضنا استخدام خمسين (50) مثلا اخذنا تلك البطائق واحدة واحدة حتى نستوفي الخمسين ثم نفتحها فمن عثرنا عليه فهو عسكر في تلك المدة ، ومن اخطاته القرعة ذهب لحال سبيله ، لكنه ان جاوز سن العسكرية الذي هو خمس وعشرون سنة ، ولم تصبه القرعة ، فهو في صف الرديف الى سبع سنين كما قلنا ، والذين اصابتهم القرعة واثبتوا في الديوان يرخص لهم في الذهاب الى محالهم عشرين يوما : لقضاء اغراضهم ، ثم يحضرون بعدها الى القشلة ومن تخلف عن الحضور لهذا الجمع بدون عذر مقبول ، يثبت في الديوان بلا قرعة ، ويسقط من اصل العدد المطلوب ، ولا تقبل فيه شفاعة ولا فداء ، ومن ليس له الا ابن واحد من رجل كبير ، او امراة ارملة او نحو ذلك ، ولا كافي له سواه ، فانه يسرح له لئلا يضيع ، لكن بعد حضوره الجمع . واثبات ما ادعاه ، ومن له ولدان واصابتهما معا القرعة فيمسك واحد ويسرح له الآخر، ومن له اربعة او خمسة واصابت القرعة ثلاثة منهم فاكثر يمسك اثنان ويسرح الباقي ، ويعفى عن كل من كان مفردا في بيته ، وعن كل **اعور وأشل ، واعرج ، وأحدب** ، وعن كل مبتلى بداء **مزمن** او علة معدية ، او ضعيف الجسم ، نحيف البنية ، لا يقدر على الاعمال الجندية ؟ او غير سالم المزاج وهكذا : ويعفى عن طلبة العلم لكن بعد حضورهم وامتحانهم فمن ظهرت نجابته خلى سبيله لانه قد يقوم بوظيف هو من اهم الوظائف ، ومن كان قليل الفهم ، او مقسم البال ، او طائش الفكرة ، لا ترجى فائدته وانما تستر بطلب العلم ، دخل في القرعة . واذا كان لرجل ولدان واصابت القرعة احدهما واراد ابداله بالآخر فذلك له ، اذا توفرت فيه شروط الخدمة ، واذا اراد ان يبدله بغير اخيه من عبد او اجير ، فلا بد بزيادة قدر معلوم من المال لا يجحف به ، ولا يؤدي الى تعطيل تجارته ، ولا يبيع اصله ، ولهذا البدل شروط الاول أن يكون سالما من الآفات المتقدمة ، الثاني ان لا يكون ممن استوفى مدة الخدمة التي هي خمس سنوات ، ودخل في صنف الرديف . اللهم الا اذا لم تكن القرعة اصابته حتى تجاوز السن المعلوم ، وصار في صنف الرديف فهذا يقبل ، الثالث ان يكون من اهل تلك الناحية . فلا يقبل مراكشي عن فاسي مثلا ، وبالعكس ، الرابع الا يكون من العبيد السود . اللهم الا اذا كان في الجند صنف منهم فيقبل في صفه ، ولا باس اذا كان مملوكا ابيض ، الخامس الا يكون من الذين استعملوا في الجندية واخرجوا منها لعارض خلقي او خلقي مثل آفات بدنية ، او فعل قبيح من سرقة ونحوها ، السادس الا يكون البدل قد جيء به بعد ثلاثة اشهر ، ثم اذا فر البدل ينتظر مجيئه الى شهر ، فان جاء والا اخذ به صاحبه ، الذي جاء به .

ثم اذا انتظم هذا الجمع العسكري فاول ما يعلمونهم امر دينهم مما لا بد منه على سبيل الاختصار بان يلقنوا كيفية الشهادة ويبين لهم معناها ، بوجه اجمالي ، فان جل العوام ولاسيما اهل البادية والقرى النائية لا يفقهون ضروريات دينهم ، ويعلمون كيفية الوضوء والصلاة ويلزمون بالمحافظة عليها حتى أن من لم يحضر منهم وقت النداء لها يعاقب عقابا شديدا ،

والا فلم يحضر عند سماعه « الطرنبطة » ولا يحضر اذا سمع داعي الله ؟ فهذا اول ما يتعلمونه لتعود عليهم بركة الدين ، وينجح مسعاهم فى حماية المسلمين ؟ فانا لم نرد بجمع هذا الجند الا حفظ الدين ، فاذا كان الجند مضيعا له فكيف يحفظه على غيره ، ويعود على المسلمين نفعه ، ثم بعد هذا يعلمون الامور التى تدل على كمال المروءة وعلى الهمة من الحياء والحشمة والايثار ، وترك الكلام الفاحش وتوقير الكبير ورحمة الصغير ، ويلقنون ان افضل الخصال عند الله وعند العباد **الغيرة على الدين والوطن ومحبة السلطان ونصحه** ، ويقال له مثلا اذا كان العجمي الزنديق يغضب لدينه الباطل ، ووطنه فكيف لا يغضب العربي المؤمن **لدينه ودولته ووطنه ؟** ولابد من ترتيب مجلس يومي يسمعون فيه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومغازيه ومغازي الخلفاء الراشدين وسلف الامة واخبار رؤساء العرب وحكامها وشعرائها ومحاسنهم وسياستهم ، وليتخير لهم من الكتب الموضوعة فى ذلك انفعها مثل كتاب « الاكتفاء » لابي الربيع الكلاعي ، وكتاب « ابن النحاس فى الجهاد » ، وكتاب « سراج الملوك » ونحوها . فان ذلك مما يقوي ايمانهم ويحرك هممهم ، ويؤكد محبتهم فى الدين واهله . وينبهون على التحافظ على ثيابهم ، واطرافهم من الوسخ والاضرار التى تدل على دناءة الهمة ونقصان الانسانية ، وعدم النخوة ، ويلزمون بترك استعمال الدخان فانه مناف لنظافة الدين ومذهب للمروءة والمال بلا فائدة ، ثم اذا رسخت فيهم هذه الآداب فى ستة اشهر او عشرة او اكثر اخذوا فى تعلم الثقافة وامور الحرب، ثم من اهم ما يعتني به فى شانهم الا يتخلقوا بخلق العجم ، ولا يسلكوا سبيلهم فى اصطلاحاتهم ومحاوراتهم .. وكلامهم وسلامهم ، وغير ذلك ، فقد عمت المصيبة فى عسكر المسلمين بالتخلق باخلاق العجم فيريدون تعلم الحرب ليحفظوا الدين فيضيعون الدين فى نفس ذلك التعلم ، فلا تمضي على اولاد المسلمين سنتان او ثلاثة حتى يصيروا عجما متخلقين باخلاقهم متادبين بآدابهم ، حتى انهم تركوا السلام المشروع فى القرآن وابدلوه بوضع اليد خلف الاذن ؟ فيجب على معلميهم فى حالة تعليمهم لهم ان يعدل على الاصطلاح العجمي الى العربي ويعبر عن الالفاظ الاعجمية بالعربية ، وان كان اصل العمل ماخوذا عن العجم ، فليجتهد المعلم الحاذق فى تعريبه وليس ذلك بعسير على من وفقه الله . وليس فيه الا ابدال لفظ عجمي بلفظ عربي ، بأن تقول مثلا « **أمام ــ خلف ــ دائرة ــ نصف دائرة** » وهكذا فاذا مرنوا عليه شهرا او شهرين كان اسهل عليهم . لان تلك هي لغتهم التى فيها نشاوا وعليها ربوا ، فالعمل عجمي والكلام الذى ينبهون به على ذلك العمل عربي.

فاي كلفة فى هذا وبه يندفع التشبه بالعجم المنهى عنه شرعا ، فان التزيي بزيهم لا ياتي بالخير ابدا ، وهو والله من افسد الاشياء للدين الذى نريد ان نحوطه بهم .

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، من لم تصلحه السنة فلا اصلحه الله ، ثم عمود هذا كله ، وصلبه وروحه الذى به حياته هو الكفاية فى **المطعم والملبس** ، وليختر لهم من الاغذية اطيبها . وانفعها للبدن ، وليجعل لهم كسوتين **كسوة الشتاء وكسوة الصيف** ، وليختر لهم **من المنازل والمساكن أطيبها واصلحها هواء وابعدها عن محل الوخم** .

وليلزمهم بالاعتناء بتنظيف مساكنهم وتبريدها وتطييبها حتى لا ينشأ عنها داء ، واذا تراخوا فى ذلك عوقبوا عليه لانه دال على دناءة الهمة ، ودنيء الهمة لا ياتي منه شيء ، وليرتب **لهم الاطباء** العارفين حتى اذا اصاب احدا منهم مرض عالجه الطبيب فى الحال، فان هذا الجند هو سور الاسلام ، وسياج الدين فبحفظه يحفظ الدين ، وبسلامته يسلم ، فاذا **اتخذ الجند على هذه الكيفية التى ذكرنا** سهل على الناس الدخول فى الجندية وتنافسوا فيها ، ومن كان عنده من الرعية درهم طابت نفسه بان يقتسمه معهم ، ويكون الجند حينئذ فى مرتبة هي اشرف من مرتبة الرعية بكثير ، لان الجند يحفظهم والرعية تكسب وتبذل لهم ، ثم اذا ظهر من افراد الجند نجابة او شجاعة او نصيحة فى الخدمة السلطانية ، رفع قدره ونوه باسمه ليغتبط هو بمنزلته ، ويزداد فى خدمته، ويغبطه غيره ، وينافسه فى خلقه وخصاله التى اكسبته تلك المنزلة ، وليقس ما لم يقال ، والله الهادي للصواب والتوفيق بيده .

وما دمنا نعيش فى عصر اشتبكت فيه الحقائق ، واختلط الحق بالباطل ، وطغى سيل الابتعاد عن الدين وما رتبه على معتنقيه قصد نفعه ونجاته وسلامته يعد هذا البيان شبه رجعي ! ، لدى طوائف التمرد على التعاليم ، وتاخرا فكريا فى عهد التقدم ! ، اجل لا مجادلة ان رجال الفكر فى كل

امة سواء كانت اسلامية او مسيحية عندما يصدر عنهم امر فى موضوع ما يلتفت اليه ويحظى بشيء من الواقعية ، لهذا رايت من الافيد لهذا البيان ان اضيف له نص تقرير هام صادر من أستاذ نفساني فرنسي شهير ، وهو استفتاء من الدولة الامريكية ذات السيادة والنفوذ ، بدون مراء او جدال هذا التقرير انقله بنصه وفصه من كتاب هام حديث الصدور والرواج ، ويعد مؤلفه من خيرة رجال الفلسفة الاسلامية فى عصرنا الحاضر . هو كتاب «من كنوز الاسلام» (4) **للدكتور محمد غلاب** (5) . قال نقلا عن تقرير هام قام به العلامة النفساني الافرنسي الدكتور « ميير » كان قد كلف بدراسة حالة الاسرى من الجنود الامريكيين « فى كوريا » بعد عودتهم الى وطنهم ، فقد هال حكومتهم ما شاهدته من ان ثلث هؤلاء الجنود قد صاروا شيوعيين ، وقد جاء فى هذا التقرير ان تلك النتائج قد تحققت بسبب مناقشات بسيطة اعدها علماء النفس من الصينيين الشيوعيين الذين كانوا يعرفون كيف انهم يستطيعون الاعتماد على ضعف الروح المعنوية والافكار الاخلاقية والمبادىء الدينية ، وفساد القيم الاجتماعية لدى هؤلاء الجنود ، ولقد انتهى ذلك التقرير بان انحى باللائمة على تربيتهم وجزم بان افكارهم عن الخير والشر ، والواجب الوطني ، والتماسك الاجتماعي ، مختلطة ومهوشة ! يحوطها الابهام ويكتنفها الظلام ، وانهم يجهلون المشاكل الاجتماعية جهلا يوشك ان يكون تاما .

واخيرا سجل الدكتور « ميير » فى تقريره هذه الملاحظة الخطيرة ، وهي ان الجنود المتدينين هم وحدهم القادرون على مقاومة الشيوعية ؟ ثم يقول المؤلف ، ولا ريب ان هذا التقرير الجدي يؤيدنا فى دعوانا اشد التأييد ، ويناصرنا فى ان الجهل بمبادىء الاسلام الاساسية ، وتعاليمه الجوهرية هي السبب الاول والاخير فى ذلك الايقاع الذى نخشاه ، ونفزع من نتائجه بين صفوف السواد الاعظم من الامة الاسلامية .

ثم يقول المؤلف الحكيم ، ومن ثم لا نستطيع ان نجتاز هذا الموقف دون ان نذكر رجال الوعظ الديني عندنا بان هذه رسالتهم العظمى ، ومهمتهم الكبرى ، وان نعلن اليهم ان الوقاية الوحيدة من التحلل الخلقي ، والتفكك الاجتماعي ، والانميـاع السياسي ، هي معرفة لمبادىء الحقيقية التى يفيض بها الاسلام فى جميع جوانبه من **الصدق والامانة والاخلاص والوفاء والتماسك والترابط ، والغيرة ، والنصيحة ، والعزة والكرامة ، والاستشارة ، والحركة ، والنشاط ، والتطلع الى الرقي ، والتقدم نحو الكمال ، وحب الخير للناس ، واحترام حقوق الغير ، والحذر ، والاحتياط** وعدم الالتداغ من جحر واحد مرتين ، وما الى ذلك من دعائم المجتمعات الصالحة واس الدولة القويمة المحترمة .

نشر التعليم الديني (6)

وهذا عالم شهير يعلن فى مؤتمر البحوث الاسلامية ، المؤتمر الخامس المنعقد بالقاهرة من 22

---

(4) كتاب « **من كنوز الاسلام** »
مؤلف هام حرره الدكتور محمد غلاب بوحي من المؤتمر الاسلامي بالقاهرة قصد تبصير المسلمين وتنويرهم بحقيقة دينهم ، فى الاقطار الاسلامية ، واعطاء صورة صحيحة عن الاسلام فى باقي افراد العالم وذلك بكتابة رسائل وابحاث صغيرة ثم ترجمتها الى اللغات المختلفة وارسالها الى شعوب العالم من صفحة 46 طبع المكتبة الشرقية بالقاهرة .

(5) **الدكتور محمد غلاب**
استاذ الفلسفة بالجامعة الازهرية من طليعة الكتاب الذين يكتبون فى الموضوعات الاسلامية ، فله جملة مؤلفات ، فى التصوف ، والفلسفة الاسلامية ، لاقت رواجا واعيد طبعها مرات . .
والدكتور غلاب من الذين اذا عالجوا موضوعا احسنوا جمع مواده ، ثم احسنوا عرض تلك المواد ، ويكفينا شهادة عنه ان المؤتمر الاسلامي كلفه بوضع هذا الكتاب .

(6) الشيخ **محمد صبحي** من اكابر علماء ليبيا ، ومن القادة البررة فى الدعوة الى الاسلام ، يحاضر ويؤلف ويتجول ويساهم فى المؤتمرات الاسلامية بجهوده بارك الله فيه ، كلماته القيمة منقولة عن مجلة **الوعي الاسلامي** التى تصدر بالكويت عدد63 بتاريخ 23 ربيع الاول 1390 موافق 6 مايو 1970هـ

ذي الحجة 1389 ـ الى 27 منه والذي حضره مائة عالم مسلم يمثلون 36 دولة اسلامية من **آسيا وافريقيا واوروبا**، هذا العالم هو الشيخ **محمود صبحي مدير الجامعة الاسلامية بليبيا**.

فلقد ركز محاضرته القيمة تحت العنوان اعلاه على وجوب نشر **التعليم الديني** في جميع المستويات وفي كل مراحل التعليم والتكوين، قال انه يجب من الآن دراسة مقررات المؤتمرات الاسلامية التي انعقدت من قبل، وفي كل مكان، وعلى جميع المستويات، وفي نظري ان من اهم التوصيات التي سبق صدورها من مؤتمر اسلامي عال، تلك التي اصدرها مؤتمر **كوالالمبور** في ماليزيا ـ العام الماضي ـ والتي تقضي بتدريس الدين الاسلامي في جميع مراحل التعليم. وكذلك نشر اللغة العربية في كل البلاد الاسلامية، وهذا كله امر يجب ان نعمل على تنفيذه وفورا.

وان يساهم كل عالم اسلامي في تطبيق هذا الامر في بلده، وان نسانده جميعا، فلا نتصور مسلما بغير اللغة العربية، وحتى يسهل على المسلمين معرفة قواعد دينهم، وفهم كتابهم المقدس القرآن الكريم.

وهذا مقال « اللواء الركن : محمد شيت خطاب » (7) تحت عنوان :

الاسلام والحرب النفسية

الى ان يقول : واطلعت على بعض تلك الدراسات الاجنبية فوجدت طرق الوقاية من شرور **الحرب النفسية** معقدة صعبة، لان الباحثين اعتمدوا على الوسائل المادية في معالجتها، فهم يزنون كل شيء في الحياة بميزان المادة وحدها، ويعتبرون المادة هي المشكلة، وهي الحل.

ووازنت بين حلول الاجانب، وحلول الاسلام لمعضلات **الحرب النفسية**، فلمست كيف يبسط الاسلام ما عقدوه، ويسهل ما صعبوه، ثم يأتي قوله : فما هي الحلول الجذرية البسيطة السهلة التي يعالج بها الاسلام آفات **الحرب النفسية**؟ ظهر لنا مما تقدم ان اهم اهداف الحرب النفسية هي : التخويف من الموت والفقر، ومن القوة الضاربة للمنتصر، والدعوة الى الاستسلام، وبث الاشاعات والاراجيف، واشاعة الاستعمار الفكري بالغزو الحضاري وبث اليأس والقنوط؟

المؤمن حقا لا يخشى الموت لانه يؤمن بانه لا يموت الا باجله الموعود، قال تعالى : « اذا جاء اجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » (8). وقال تعالى : وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله » (9). وقال تعالى : « اين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة » (10). وقال تعالى : « لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل » (11).

ان المؤمن حقا يعتقد اعتقادا راسخا بأن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى، وما أصدق قولة **خالد ابن الوليد** رضي الله عنه عندما حضرته الوفاة : « ما في جسمي شبر الا وفيه طعنة برمح أو سيف، وها أنذا أموت على فراشي كما يموت البعير فلا نامت اعين الجبناء.

---

(7) اللواء الركن محمد شيت خطاب :
صاحب سيف وقلم كتب والف في الدراسات الاسلامية والفتوحات العربية والموضوعات الحربية كتبا جليلة القدر، اخذت مكانتها في المدارس الحربية في البلاد العربية، وفي المعاهد العلمية والجامعات، والمكتبات. وكتاباه « **الرسول القائد** »، و « **الفاروق القائد** »، وكتبه عن قادة الفتح الاسلامي من الكتب الخالدة في المكتبة العربية.
واللواء الركن قائد محارب شهد حرب فلسطين 1948 وخبر قوة اليهود، ولمس مواطن الضعف والقوة، في صفوف العدو وصفوفنا. امده الله بالقوة والعون واطال حياته لصالح الامة الاسلامية. والكلمات المنقولة عنه نشرت تحت عنوان «**الاسلام والحرب النفسية**» في **دعوة الحق** الغراء عدد 5 السنة 14 ربيع 1 ـ 1391 موافق ماي 1971 هـ.

(8) الآية الكريمة من سورة يونس

(9) الآية الكريمة من سورة الاعراف

(10) الآية الكريمة من سورة آل عمران

(11) الآية الكريمة من سورة النساء

المؤمن حقا لا يخاف الفقر .. المؤمن حقا لا يخشى قوات العدو الضاربة .. المؤمن حقا لا يقر بانتصار احد عليه ما دام فى حماية عقيدته .. المؤمن حقا لا يصدق الاشاعات والاراجيف ولا يبثها .. المؤمن حقا يقاوم الاستعمار الفكري ، ويصاول الغزو الحضاري الذى لا طائل من ورائه ، والمؤمن حقا لا يقنط ابدا ولا ييأس من نصر الله ورحمته .

تلك هي الحلول الجذرية السهلة البسيطة التى يعالج بها الاسلام **آفات الحرب النفسية** ، ثم يقول : على المسؤولين عن اختيار طلاب الكلية العسكرية التدقيق الشديد فى اختيار العناصر المؤمنة القوية الامينة ، وعدم اختيار غير الملتزمين بالخلق وتعاليم الدين الحنيف ، كما يجب اختيار المعلمين المتدينين من ذوي الكفاءات العالية ، ليكونوا ضباطا مدربين ومعلمين فى الكلية العسكرية والجيش ، لان هؤلاء يطبعون الطلاب بطابعهم ، ويكونون قدوة حسنة لهم ، كما يجب الاهتمام باقامة الشعائر الدينية فى اوقاتها فى الكلية العسكرية والجيش ، وادخال التعليم الديني فى منهاج الكلية العسكرية والجيش ، ومن المهم بناء مسجد فى كل معسكر ، وكل ثكنة ، وكل كلية ، ومدرسة عسكرية ، ويقول : ولابد من تعيين « امام » فى كل وحدة عسكرية لقيادة العسكريين من العلماء العاملين ، لا من المرتزقة الجاهلين .

ومن الضروري اجراء مسابقات دينية بين العسكريين ، كاتقان قراءة القرآن وحفظ الكتاب العزيز وتفسير الذكر الحكيم ، واعداد المحاضرات الدينية والقائها .

تلك مقترحات آمل ان تصل الى آذان المسؤولين العرب المسلمين وان يعملوا على تنفيذها نصا وروحا ، وحينذاك تتحطم شرور الحرب النفسية على صخرة الايمان وينتصر العرب والمسلمون .

وانني بعد ان نقلت كل ما استطعت نقله من آراء وافكار عظماء الامم من علماء النفس والفلسفة والدين والحكمة والعسكرية ، اصرح بان ما جاء فى كتاب الاستقصاء حول تكوين الجيش وتربيته فكرة موضوعية وتقدمية تصون الامة وتجعلها قادرة على مجابهة الاحداث مهما عظمت بروح اسلامية وعقيدة فريدة ، تصون هيبة الجيش المسلم، وتكسوه روحانية الاسلام فى غدوه ورواحه ، **والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .**

سلا ــ الحاج احمد معنينو



الذخيرة السنية

قسم مطول من روض القرطاس

للأستاذ : محمد العلمي حمدان

- 2 -

لم يكن بالامكان ان اكتب اكثر مما كتبت فى المقال السابق المنشور تحت نفس العنوان (1) رغم شعوري بضرورة توضيح بعض الاوليات وتناول بعض النقط بالمزيد من التعريف ، ولكن ما باليد حيلة ، اذ ما عساي ان افعل فى غمرة المفاجأة والذهول ، والفرحة الساذجة التى كانت تحيطني والتي ، لن يشعر بمذاقها الا من عانى مثل هذا الموقف ورافقته ايجابية النتيجة .

ما كنت فى يوم ما اقدر تصرف ارشميدس الغريب ، وقد خرج من الحمام متعريا اثر اكتشافه لقانون الثقل النوعي ، وهو يصيح ، وجدتها ! وجدتها ! وما فى اكتشافه من لذة ونشوة ، كما قدرتها وانا اجني ثمرة بحث او تنقيب فى صفحات الكتب الصفراء برائحتها المتميزة وكتاباتها المخطوطة او الحجرية المتعبة ، ففرحة النتيجة المذهلة هذه ، هي التي دفعت بي الى الاكتفاء بالاهم ، وهو الخبر المجرد ، وما يحمل من حجج اولية ظاهرة ، ومن الحق القول ، ان الموضوع سيبقى ابتر ناقصا بدون اتباعه بحلقة او حلقات تناقش ما اغفل وتبرز ما خفي فيه ، وتفصل ما اجمل حتى يلم القارىء بالموضوع . وسيرا على هدي الحلقة الاولى سنحصر حديثنا فى نقط نلتزم مناقشتها نذكرها فيما يلي :

اولا : نظرة على الكتابين موضوع المقارنة للتعريف بهما .

ثانيا : نقط الاتصال والاشتراك فى الكتابين ونحصرها فى العناوين التالية :

ا ــ الجمع بين الخبر التاريخي والاستدلال بالنصوص الشعرية تؤيده

ب ــ تذييل الحقبة التاريخية بملخص لاهم الاخبار او المهمل او الجديد منها .

ج ــ النسب الطويل الذيل للمرينيين فى البربر ومحاولة ربطه بالاصل العربي

د ــ الكلمات العامية فى الكتابين او البسيطة التى يدرجها المؤلف فى اسلوبه

هـ ــ النسب والوصف الذى يورده لكل ملك ترجم له بمناسبة توليه او وفاته

ثالثا : جرد مقارن عن تطابق الكتابين .

رابعا : ملاحظات متنوعة .

---

(1) العدد التاسع السنة الرابعة عشرة (دعوة الحق)

اولا ـ **نظرة على الكتابيـن موضـوع المقارنـة**

يتفق الكتابان فى موضوعهما العام وهو التاريخ المغربي وفي ان تاليفهما يرجع الى القـرن السابـع الهجري اي ما يزيد على الثمانية قرون .

كتـاب القرطـاس : كتاب مشهور فى تاريخ المغرب يتناول دولة منذ دخول ادريس الاول الى القرن الثامن عصر المرينيين ، وبذلك فهو يـؤرخ للـدول التالية : دولة الادارسة ، امارة آل موسى بن العافية، دولة مغراوة وبني يفرن ، دولة المرابطيـن ، دولة الموحدين واخيرا الدولة المرينيين التى هي موضـوع مقارنة هذا الكتاب مع كتـاب الذخيـرة السنيـة . والكتاب يبدأ منذ صفحته الاولى بتعريف لمؤلفه بانه الشيخ العلامة ... عمـدة اهـل المغـرب فـى التاريخ ابو عبد الله محمد بن عبد الحليم عرف بابن ابي زرع (2) وتنتهي اخباره في ايام الملك المريني ابي سعيد عثمان سنةست وعشرين وسبعمائة هجريةوهي زمن تاليف الكتاب حسبما جاء في الطبعة الحجريـة الفاسية المعتمدة فى اجراء المقارنة ، ويقـع القسـم المخصص للمرينييـن فى المائة صفحـة الاخيرة من الكتاب بين 197 و 303 .

كتـاب الذخيـرة السنيـة فى تاريخ الدولـة المرينية : كتاب يؤرخ كما يدل عليه اسمه للمرينيين منذ دخولهم الى المغرب، يستهل الحديث بنسبهم (3) وينتهي فى ايام الملك المريني ابي سعيد سنة 726 هـ حسب تصميم الكتاب (4) ولكن الكتاب فى وضعـه ينتهي بتاسيس مدينة فاس سنة 677 هـ وبحوادث تستمر الى سنة 679 ايام ابي يوسف يعقوب المريني حيث يبدا البتر ويقول الناشر للكتاب : هذا ما وجد من هذا الكتاب والحمد لرب الارباب . واذا كـانت ابواب الكتاب حسب تصميم مؤلفها عشرة فالموجود منها بالكتاب يقف بذكر حوادث البـاب السادس اي ان الكتاب ينقصه ما يعادل نصفه ورغـم ذلك فعـدد صفحاته تصل الى تسع وثمانين ومائة 189 بغـض النظر عن الفهارس اعتنى بنشره الشيخ محمد بن أبي شنب بالجزائر وطبع بها سنة 1339 موافق 1920(5) حسب النسخة المعتمدة والموجودة تحت رقم 9959 بخزانة القرويين العامرة

ثانيـا ـ **نقط الاتصال والاشتراك فى الكتابين**

لم يمنعنا تعدد هذه النقط من محاولة حصرها فى العناوين التالية :

أ ـ الجمع بين الخبر التاريخـي والاستـدلال بالنصـوص الشعريـة ، ويتجلى هذا فى عدة اماكن ومناسبات فى الكتابين معا . فبعد ايراده للنسب البربري الطويل للمرينيين مثلا اردف الخبر بأبيات شعريةمن الرمل نسبها لبعض ادباء زناتة يقول :

ايهـا السائـل عـن أحسابنـا
قيس عيـلان بنـو العـز الاول

وبنـو بـر بن قيـس من بـه
تضرب الامثـال فى كل الاهـل

ان نسبنا فبنو بـر النـدى
طارد الأزمـة نحـار الابـل (6)

وفي ربط هذا النسب البربري بالاصل العربي اورد شعرا نسبه لاحد الشعـراء العـرب وهو مـن الطويل يقـول :

الا ايها السـاعـي لفرقـة بيننـا
توخ هداك الله سبـل الاطايـب

فاقسم انـا والبرابـر اخـوة
نمانا وهم جد كبير المنـاسب

ابونا ابوهم قيس عيلان فى الورا
لهم حرمة تشفي غليل المحـارب

---

(2) القرطاس ص 1
(3) الذخيرة السنية ص 8
(4) الذخيرة السنية ص 7
(5) الذخيرة السنية ص 3
(6) القرطاس ص 199 ـ الذخيرة ص 13

فنحن وهم ركن منيع واخــوة
على رغم اعداء لئام المناقب (7)

كل هذا تثبيتا للخبر التاريخي وتأكيدا لما جاء فيهعن طريق الروايات والتقاليد وهكذا يورد شعرا لتماضـر بنت قيس عيلان الذى يجعله جد المرينيين ترثي به اخيها بــر الذى يذكر فى خبـره انه هجـر وطنه العربي وناى عن اهله فتبكيه بقولها :

لتبكـي كـل باكيـة اخاهـا
كما ابكي على بـر بن قيـس

تحمل عن عشيرته فاضحـى
ودون لقائه انضاء عيس (8)

ويؤكد بابيات اخرى لها سبب لهجته البربريـة رغم عروبته بما ذكره فى التاريخ بقولها :

كأني وبــر لم تعــز ديارنـــا
بنجد ولم تقسم نهابا ومغنمـــا

وشطت بيــر جاره عن بلادنـــا
وطرح بــر نفسه حيث يممـــا

وازرت بيــر لكنـة اعجميـــة
وما كان بر نفســه بالحجاز باعجما(9)

ويستمر فى نهجه هذا موردا الخبر مستـــدلا عليه باشعار الشعراء فى ابيات تكثر أو تقـل حسب الحاجة حتى يسوق قسما من ارجوزة نظم السلوك لابي فارس عبد العزيز الملزوزي شاعر الدولة المرينية يؤكد فيها بدوره اثر التجاور فى لسان المرينيـين بقولـه :

فجـــاورت زناتـــة البرابـــرا
فصيروا كلامهــم كما تـــرى

ما بدل الدهــر سوى اقوالهــم
ولم يبدل مقتضـــى احوالهــم

بل فعلهم اربى على فعل العــرب
فى الحال والآثــار ثـم فى الادب

فانظر كـــلام العرب قد تبـــدلا
وحالهم عن حالهــم تحـــولا

لا يعرفون اليـــوم ما الكـــلام
ولا لهـــم نطـــق ولا افـــهـــام

وان تمـــادت بهـــم الاحـــوال
لم يبق فى الدهر لهم اقوال (10)

يجب الا ننسـى أن الغريـب ليس فى ايـراده الابيات بل فى ايرادها بكلا الكتابين وباتنـا فى مجـال اثبات نقط الاشـتراك فى الكتابيـن وهذه احداهـا . والكاتب حين يؤرخ لدخول المرينييـن للمغـرب لا يكتفي كذلك بالخبر المجرد بل يردفه بابيات من الكامل ما تقول فيها ولعلها له اذ لم يذكر صاحبها :

قدمت مرين الى بلاد المغـــرب
والسعد يصحبها لنيـل المطلـب

فى عام عشرة كان بدء دخولهم
من بعد ست مئين فاحفظ واكتب(11)

لم يتقي ابياتا اخرى لصاحـب الارجـوزة فى نفس الموضوع يقول :

فى عـام عشـرة وسـت ميـه
اتوا الى المغـرب مـن البريـه

جاءوا من الصحراء والسباسب
على ظهور الخيل والنجـائب (12)

وحين يخبرنا بوفاة الفقيه الشيـخ محمد بـن جرير المعروف بابن تاخميست يذكر انه كان ينسخ الكتب ويهبها وبانه كان مولعا بدرس العلـم وطلبـه وبانه القائل :

اخو العلم حي ذكره بعـد موتـه
واوصاله تحت التـراب رميـم

---

(7) القرطاس ص 199 ـ الذخيرة ص 15
(8) الذخيرة ص 16 ـ القرطاس ص 199
(9) الذخيرة ص 16 ـ القرطاس ص 199
(10) الذخيرة ص 16 ـ القرطاس ص 200
(11) الذخيرة ص 25 ـ القرطاس ص 201
(12) الذخيرة ص 25 ـ القرطاس ص 201

وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى
يظن من الاحيـاء وهو عديـم (13)

ولا ينقص الكتاب الثاني ما في الاول وابدا بايهما شئت .

ويتحدث عن الملك المريني ابي معرف بن عبد الحق فينهي الخبر بانه كان عارفا بمكايد الحـروب وخدعها سائسا للرعية قاهرا لبدعها صاحب حزم وحذر ويمثل بما قال صاحب نظم الدرر في ارجوزته في الكتابين معا كما هي عادته

ثم تولـى بعـده محمـد
وكـان في أمـوره يسـدد

وكان لا يفتـر عن قتـال
مواظبا للحـرب والنـزال

كم عسكر لاقى وكم حشـود
ومن جموع جمـة الجنـود

نهـاره وليلـه طعـان
لكنـه مؤيـد معـان (14)

بل لا يكتفي بذلك اي بايـراد الخبـر واتباعـه بالابيات المؤدية بل يرد الخبر في احدهما كما يورده في الآخر كله شعرا كما فعل حين اورد سجلا لاعمال ابي يعقوب بن عبد الحق في الكتابيـن يقول المؤلف اذكرها من نظم صاحب الارجوزة » وهذه بعض أبيات منها :

سيرتـه ان يقـرا الكتـابـا
ويذكـر العلـوم والآدابـا

يقوم للصلاة ثلـث الليـل
وما له عن ورده مـن ميـل

ويامـر الكتـاب بالاوامـر
في باطن من أمـره وظاهـر

ويدخل الاشياخ من مريـن
للـراي والتدبيـر والتبييـن

فامن الفـرب من الفسـاد
ونشـر العـدل على البـلاد

ورفع الظالـم عـن الرعيـة
وقمـع الطغـاة في البريـة

فذاك كـان فعلـه قديمـا
بذاك نال الملك والتعظيمـا (15)

« ولما وصل امير المومنين الى الخضـراء كتب اليه الرئيـس ابو محمد بن اشقيلولة كتابا يهنيه فيه بالفتح وفي آخره هـذه القصيـدة » ونجدهـا في الكتابين معا كسابقاتها

هبت بنصركـم الريـاح الاربـع
وجرت بسعدكم النجوم الطـلع

واتـت لعونكـم الملائـك سبقـا
حتى لضاق بها الفضـاء الاوسع

وامدك الرحمن بالفتـح الـذي
ملأ البسيطة نوره المتشعشـع (16)

والقصيدة طويلة يستطيع من ارادهـا العـودة اليها في المرجع المذكور .

هذه الاستشهادات وغيرها كثير ، موزعة في الكتابين بين مختلف صفحاتهما منبثة بين الاخبار في كليهما تعاضدها وتساندها لتنطق بمؤلف الكتابيـن الواحد ذي المنطق والتفكير والمنهجية الواحدة ، دون ان يمنع هذا من وجـود بعـض الاختلاف في ايـراد الابيات من حيث تقديم او تأخير بعضها او الاكتفـاء بعدد منها في كتاب دون الآخر، وليـس لهـذا اي تاثير ، كما هو معلوم ، على موضوعنا .

ب ـ تذييل الحقبة التاريخيـة في الكتابيـن بملخص للاخبار الهامة أو الجديدة .. نجد ذلك في الذخيرة مثلا بعد استيفاء اخبار الابواب الثلاثة التي تدور حوادثها في الثلث الاول من القرن السابع وهو عصر الاضطرابات والفتن التي عرفها المغرب بسبب ضعف الموحدين الناتج عن قيام الـولاة عليهم بغيـة الاستقلال بما في ايديهم وثورة بني عبد الواد برئاسة يغمراس بتلمسان ودخول المرينيين المغرب ، يوقف

---

(13) الذخيرة ص 42 ـ القرطاس ص 194
(14) الذخيرة ص 63 ـ القرطاس ص 207
(15) الذخيرة ص 101 ـ القرطاس ص 214
(16) الذخيرة ص 182 ـ القرطاس ص 230

المؤلف الاحداث ويفتح فصلا تحت عنوان : ذكر الخبر عن الاحداث التى كانت فى اول المائة السابعة (17) وفيها يذكر السنة ويدرج تحتها الاحداث التى يريد عرضها ، سنة بعد سنة الى النهاية ثم يستأنف اخباره المعتادة من حيث اوقفها.

والشأن فى كتاب القرطاس كالشأن فى شقيقه الذخيرة ولكنه بشكل يستوفي الملاحظة ويكررها ، واذا لم يتكرر هذا فى كتاب الذخيرة كما هو الشأن فى صنوه القرطاس فما ذلك الا نتيجة الاسباب التالية :

1) البتر الموجود به اذ لم يصل فى الاحداث التى بين ايدينا فى الكتاب الى المرحلة التى عليه ان يتوقف فيها للقيام بنفس العملية ، بدليل ان كتاب القرطاس لم يقم بدوره بهذه العملية الا بعد تجاوزه للاحداث المبتورة من الذخيرة ، بل لا نجدها الا فى نهاية الكتاب بالتاريخ لابي سعيد المريني سنة 726 هـ (18).

2) لان القرطاس يتناول مرحلة طويلة امكن فيها لمؤلفه تطبيق عملية التلخيص والسرد عدة مرات .

ج ـ النسب الطويل الذيل للمرينيين فى البربر ومحاولة ربطه بالاصل العربي وهذا يتجلى فى الكتابين بشكل يتطابق فيه احدهما على الآخر يكتسح فى الذخيرة عدة صفحات ، فى الباب الاول حين يتصدى لتمجيدهم (19) وتحت عنوان : الخبر عن نسبهم الصريح (20) مؤكدا بالنصوص الشعرية التى ادرجنا بعضها فى نقطة اخرى

وبالعودة الى كتاب القرطاس نجد نفس الصنيع ولكنه بشكل اوجز كما يجب ذلك حسبما عرفنا فى بحثنا السابق (21) فيشغل صفحتين منه مؤكدا بدوره أبيات عدة متفرقة .

د ـ الكلمات العامة أو البسيطة التى يدرجها فى اسلوب كتابه نقصد بها الدخيلة اندلسية كانت او بربرية وكذا ذات الاصل العربي التى ارخصها الاستعمال الشعبي فاستنكف الكتاب من استعمالها فى اساليبهم او التى استعملها بشكل غير سليم ، وهكذا نجد كلمات مثل هذه :

شاية مضلعة ـ طهر بلاده من الفساد **والخواطيء** ـ وكان اذا مرض او **توشوش** عليه بلد ـ وفيها **انفسد** جمع الرئيس ، فى كتاب الذخيرة (22) .

ومثل الخصة **والبيلة ـ جبد** الشرائط ترتفع القلاع ـ **دار الوضوء** ـ جناتها **وبحائرها** ـ الرمان **السفري** ، وامثالها من القرطاس (23) .

الا اننا رغم هذا وبالمقارنة نلاحظ ان كتاب الذخيرة اقل استعمالا للكلمات الرخيصة والعامية واقرب الى ذات الاصل العربي او الاستعمال السليم فى حالة بساطتها واذا ما حاولنا تعليل هذه الظاهرة برزت لنا الاسباب التالية :

1) ان كتاب القرطاس كما عرفنا يؤرخ لمراحل متعددة تعرض فيها المؤلف الى اماكن واشياء يصعب عليه معها التنصل من ذكر اسمائها الشائعة التى لم يكن ادراجها فى كتاب تاريخي مما يحرج لشيوع اللفظ او اسمه العربي الغريب .

2) قد يرجع هذا الى نقطة اخرى مهمة وهي

اسبقية كتاب القرطاس بالتأليف على الذخيرة وبذلك يكون قد استفاد من تجربته الاولى ، ويؤكد ما ذهبت اليه من اسبقية القرطاس بالتاليف ما ذكره صاحبه انه نقل من تقييد ابي علي الملياني بخط يده قال ، وذكر الخبر (24) بينما يردف فى الذخيرة

---

(17) الذخيرة ص 38
(18) القرطاس ص 226 .
(19) الذخيرة ص 8 .
(20) الذخيرة الصفحات من (9 الى 11)
(21) دعوة الحق العدد التاسع السنة الرابعة عشرة
(22) الذخيرة صفحات : 60 ـ 52 ـ 28 ـ 64 ـ 185 ـ 57 ..
(23) القرطاس : صفحات 18 ـ 19 ـ 28 ـ 25 40 ـ 44 ـ 45 ـ 82 ـ 194 ..
(24) القرطاس ص 197

اسم ابي علي هذا الذي اخذ عنه بلفظ رحمه الله (25) فيكون قد كتب القرطاس قبل وفاته والذخيرة بعد الوفاة بل نجده في الذخيرة يمزج قبل ايراد الاخبار بين العبارات قال المؤلف عفا الله عنه او قال المؤرخ لهذا التاريخ رحمه الله او مجردة ، اي يترحم على الاموات ممن يروى عنهم ويسكت عن غيرهم من الاحياء، بينما لا نجد لفظ رحمه الله في القرطاس بتاتا مما يؤكد انه كان اذ ذاك من الاحياء ولم يكن كذلك اثناء كتابته للذخيرة .

هـ ـ الوصف والنسب الذي يورده لكل ملك ترجم له في الكتابين .

حين نتصفح الابواب في الذخيرة وعناوين القرطاس التي تتصدر ترجمات امراء المرينيين نجده ياتي بنسب ذلك الامير ويصفه ويذكر مميزاته وكنيته واخلاقه فيقول مثلا في الذخيرة في الباب الخامس :

هو الامير ابو بكر بن عبد الحق بن محيو ... كنيته ابو يحي امه حرة اسمها عرونت بنت ... **مولده** في سنة ثلاث وستمائة ـ **صفته** رحمه الله، ابيض اللون مشربا بحمرة تام **القد** سبط الجسم حسن الوجه والعينين .. بطلا شجاعا ... عطاياه تعجز عنها الملوك .. كريم (26)

ولا يخرج القرطاس عن هذا النهج رغم الاقتضاب الذي التزم به ، يقول عن اخ الامير الموصوف في الذخيرة ولكن هذه المرة في القرطاس :

هو الامير يحيى بن عبد الحق بن محيو ابن ابي بكر بن حمامة الزناتي .. **كنيته** ابو يحيى امه الحرة الفبد الوادية ، **صفته** كان ابيض اللون مشربا بحمرة تام القد بسيط الجسم حسن الوجه .. شجاعا .. وكان مع ذلك يعطي عطاء تعجز عنه الملوك ... وافيا بالعهود (27) وامثال هذا كثير في اغلبية الامراء ان لم يشملهم جميعا .

ثالثا ـ جرد مقارن عن تطابق الكتابين

رغم ان النقط السالفة تحمل مقارنتها في ذاتها بين الكتابين الا ان هذا لا يمنعنا من تقديم جرد مسلسل يظهر التوامة التي تربط الكتابين رغم اسهاب هذا واقتضاب ذاك ، وان كنا سنعمل على تلافي تكرار الفصول المدرجة ودفعا للمشقة وتيسيرا على القاريء في تتبع المقارنة فقابل بين النصوص :

القرطاس	الذخيرة السنية
◆ قال المؤلف عفا الله عنه ، اما بنو مرين فهم اعلى قبائل زناتة حسبا واشرفها نسبا واعزرها كرما واحسنها شيما وارعاها ذمما وارجحها احلاما واشدها في الحروب بأسا واقداما واكثرها دينا .	◆ قال المؤلف عفا الله عنه اما بنو مرين فبهم اقام الله تعالى في المغرب الدين ..
	وهم اعلى قبائل زناتة حسبا واشرفها نسبا واعزها كرما واحسنها شيما وازكاها ذمما وارجحها احلاما وانفذها رمحا وامضاها حساما واشدها في الحروب بأسا واكثرها اقداما ..
لهم شرف النجار وحفظ الجوار وحماية الدمار ووقود النار واكرام الضيف والضرب بالسيف والبعد عن الغدر والعار والحيف .. الخ .	لهم شرف النجار وحفظ الجوار وحماية الذمار ووقود النار واكرام الضيف والضرب بالسيف والبعد عن الغدر والعار والحيف ..
(28)	

(25) الذخيرة ص 9
(26) الذخيرة ص 67
(27) القرطاس ص 208
(28) القرطاس ص 197 ـ الذخيرة ص 8

القرطاس	الذخيرة السنية
◆ لما اراد الله اظهار الدولة السعيدة المرينية المباركة العبد الحقية ونسخ الدولة الموحدية المومنية لما سبق فى علمه وقدره ومن مبرم حكمه كان من تقدم من ملوك الموحدين اولي حزم وراي ودين الى ان كانت وقعة العقاب فاذنت لدولتهم بالذهاب ... (29)	◆ لما اراد الله تعالى اظهار الدولة السعيدة المرينية المباركة العبد الحقية ونسخ الدولة الموحدية المؤمنية لما سبق فى علمه وقدره فى سابق قضائه ومبرم حكمه .. وكان من سلف وتقدم من ملوك الموحدين أولي حزم ورأي ودين الى ان كانت وقعة العقاب التى اذنت لدولتهم بالذهاب .
◆ وفي شهر ذي الحجة من سنة ثلاث عشرة المذكورة زحف الامير ابو محمد عبد الحق بجيوش مرين الى رباط تازا .. فخرج لحربه عاملها فى جيش كثيف من الموحدين والعرب والحشود من قبائل تسول ومكناسة وغيرهم فقتل العامل وهزم جيشه وجمع الامير ابو محمد الاسلاب والخيل والسلاح وقسم ذلك كله فى قبائل مرين . (30)	◆ دخل شهر ذي حجة سنة ثلاث عشرة وستمائة المذكورة آنفا فزحف بمن معه فى اجناد مرين الى ان نزلوا بالقرب من رباط تازا .. فأنف من ذلك عامل الرباط واغتاظ واستشاط وجمع من كان عنده من الموحدين والعرب وحشد القبائل المجاورين له وخرج لحربه فالتقى الجمعان فكانت بينهماحروب شديدة فقتل فيها عامل الرباط وهزم جيشه ونهب عسكره بأمر الامير ابي محمد عبد الحق فجمع السلب والخيل والعدة واحضر ذلك كله بين يديه فاعطى الخيل لمن لم يكن له فرس من قومه وقسم المال والسلب والسلاح فى قبائل بني مرين .. الخ .
وفي سنة اربع وستمائة جدد سور مدينة وجدة وفيها امر الناصر ببناء دار الوضوء والسقاية بازاء جامع الاندلس بفاس وجلب اليها ماء العين ... وفيها بنى الباب الكبير المدرج الذى بصحن الجامع المذكور ... وفيها بني مصلى عدوة القرويين .. الخ . (31)	◆ وفي سنة اربع وستمائة جدد سور مدينة وجدة ، وفيها امر الناصر ببناء دار الوضوء والسقاية بازاء جامع الاندلس من مدينة فاس وبها توفي ، وفيها فتح الباب الكبير المدرج الجوفي بصحن الجامع المذكور ، وفيها بنيت مصلى القرويين القديمة .
◆ وفي سنة ست وخمسين وستمائة فى رجب منها مرض الامير ابو يحيى بمدينة فاس فمات بها بعد ايام حتف انفه ودفن بباب الجيزيين من ابواب عدوة الاندلس بازاء قبر الشيخ الفقيه الصالح ابي عبد الله محمد الفشتالي .. الخ. (32)	◆ السنة السادسة والخمسون وستمائة ، فيها توفى الامير ابو يحيى بن عبد الحق حتف انفه بقصره من قصبة فاس مرض بها ثمانية عشر يوما وتوفي يوم الخميس منسلخ جمادى الاخرى منها وصلى على جنازته صبح يوم الجمعة مهل رجب بجامع الاندلس ودفن بباب الجيزيين من ابواب عدوة الاندلس بازاء قبر الشيخ الفقيه الصالح ابي محمد الفشتالي .. الخ

(29) القرطاس ص 200 ـ الذخيرة ص 22
(30) القرطاس ص 204 ـ الذخيرة ص 32
(31) القرطاس ص 194 ـ الذخيرة ص 40
(32) القرطاس ص 212 ـ الذخيرة ص 91

الذخيـــرة السنيـــة	القرطـــــاس
◆ خرج اليها من حضــرة فــاس في النصف من ربيع الاول من سنة ست وستين المذكــورة في احتفال عظيم وزي عجيب بالعيــال والمراكــب والقباب والجيوش الوافرة والعــدد والســلاح والسيوف الباترة ، وسمع يغمراسن باقبالــه فاستعد وتأهب للقائه فالتقى الجمعــان بوادي تــــلاغ .	◆ ثم خرج الى تلمســان وذلك في الخامس عشر من شهر محرم من سنة ست وستين وستمائة في احتفال عظيم وزي عجيب بالقباب والعيــال والجيوش الوافرة والركاب والامــوال فســمع يغمراسن باقباله فخــرج الى تلمســان للقائــه وقتاله فالتقى الجمعان بوادي تلاغ . (33)
◆ وقال صاحب التاريخ رضي الله عنه لما تواترت الرسل وتتابعت الكتب على امير المسلمين أبي يوسف رحمه الله من ابن الاحمر وابن اشقيلولة يستنصرونه ويستدعونه الى الجوازوالجهادخرج ملبيا دعوتهم .. فسار حتى نزل مدينة طنجة فكتب منها الى الفقيــه ابي القاســم العزفــي صاحب سبتة يأمره بعمارة الاجفان الغزوانية لجهاد المشركين .	◆ قال المؤلف عفا الله عنه لمــا تواتــرت الرســل وتتابعت الكتب على امير المسلمين من ابــن الاحمر يستدعيه للجواز ويستنصر به ، خرج من مدينة فاس في اول يوم من شوال من سنة ثلاث وسبعين المذكورة حتى وصل الى طنجة فبعث الى الفقيه ابي قاســم العزفــي وامــره بتعمير الاساطيل لجهاد المشركين . (34)

ان الجرد الذى قمت به حاولت جهدي اختصاره دفعا للملل الذى لابد وأن يتســرب الى القارىء ، ان تعدى حدوده واما الواقع فالكتابان بشكلهما يصلح تقديمهما معا كمقارنة بدون مبالغة ، وعلى من اراد المزيد من الفرجة العودة الى الكتابين .

رابعــا ــ ملاحظــات متنوعــة

كان بالامكان دمج هذه الملاحظات تحت احدى النقط الســابقة ولكني ارتأيت نظرا لاهميتها الخاصة والمنفردة ان اخصها بعنوان مســتقــل وهي بدورهــا تســاهم في الايمان باخــوة الكتابيــن وبأن كاتبهمــا واحد .

الملاحظة الاولى : اعتماد المؤلف ضمير المتكلم في ديباجتي الكتابين يقول في القرطاس : « **واني لمــا رأيت** مكارم دولته الســعيدة ... **أردت** خدمة جمالها .. بتاليف كتاب .. يخبر بنبذ من اخبار ملوك المغرب .. واذكرهم اميرا بعد امير .. **أبذل فيه جهــدي** واظهر جــدي ، فاستخــرت الله تعالى في تاليفــه **واستعنتــه** في تقييده ، فسهل الله تعالى **ما أردته** ، **فالفت** هذا المجموع المقتضب **انتقيت** جواهره سوى **ما رويته** عنه .. **وقيدته** .. وحذفت فيه الاسناد .. **وجعلته** كتابا مخرجا على التوسـط .. وسميته .. (35)

وفي ديباجة الذخيرة يقول : « **واني لما رأيت** الخلافــة العبد الحقيـــة .. **أردت** خدمة جلالها .. بتاليف كتاب **أؤرخ** فيه ايام الدولة .. **أخلــد** فيــه محاسنها **واسطر** فيه .. **واذكر** غزواتهم معتمدا في جميع **ما أذكره** على **ما شهدته وقيدته وما رويته عمن أثــق** به من الاشيــاخ والثقاة **ونسخته** على عشرة ابواب (36) **وسميتــه** الذخيرة السنيـــة .. والله سبحانه يعين على **ما أردته** وينجح القصد فيما **أملته ورجوته** (37)

(33) القرطاس ص 218 ــ الذخيرة ص 131
(34) القرطاس ص 225 ــ الذخيرة ص 163
(35) القرطاس ص 3
(36) الذخيرة ص 6
(37) الذخيرة ص 8

الملاحظة الثانية : اخذه فى الكتابين عن تقييد واحد ، فقد جاء فى الذخيرة السنية « ذكر الفقيه الكاتب البارع ابو علي المياني رحمه الله فى نسبهم ما نذكره ان شاء الله ونقلته من تقييده بخـط يده قال » (38)

وجاء فى القرطاس : « نقلت من تقييد الفقيه ابي علي المياني بخط يده قال » (39)

الملاحظة الثالثـة : استعماله لالفـاظ ليست فى المشاع من الاساليب او المطروق منها وهذه بعضها فى الكتابين :

لفظ « السـني » فبعد ان وردت كنعت للذخيرة جعلها فى عنوانين داخليين متشابهين لكل من القرطاس والذخيرة فى قوله : « دخولهم المغرب وظهور ملكهم السني المعجب »

ولفظ « المومنية » لنعت الدولة الموحدية بقوله: ونسخ الدولة الموحدية المومنية » مثلا وكذا الشأن فى عبارة «العبد الحقية» فى وصف الدولة المرينية (40)

وهكذا نأتي على آخر نقطـة لنا فى الموضـوع حسب التصميم الذى التزمناه فعسى ان يكون هـذا مسـاهمة فى رد الحق الى نصابه وحمل الكتاب لاسم مؤلفــه ..

فـاس ـ محمد العلمي حمدان

(38) الذخيرة ص 9
(39) القرطاس ص 198
(40) الذخيرة ص 22 والقرطاس ص 200

أيــام زمــان ...

لقد عشت فى زمـان ، وادركـت اقوامـا لو احتفلت الدنيا ما تجملت الا بهم ، واني لفي زمان ما ارى عاقلا حصيفا ، ولا فاتكا ظريفا، ولا ناسكا عفيفا، ولا جوادا شريفا ، ولا خادما نظيفـا ، ولا جليســا ظريفا ، ولا من يساوي على الخبرة رغيفا .

بشـار بـن بــرد

وحدات جيش قصبة سلوان
في عهد المولى اسماعيل السجلماسي

للأستاذ النكادي عبد القادر

قد سبق لنا ان تناولنا – في العدد الماضي من هذه المجلة ، مجلة «دعوة الحق» القراء – الحديث عن تاريخ تاسيس هذه الثكنة الهامة وموقعها الجغرافي ووصفها المعماري

اما الآن فموضوع حديثنا في هذا البحث المتواضع سيتناول الجيش التي تحصنت فيها خلال عهد السلطان العظيم والفاتح الاكبر المولى اسماعيل بن المولى الشريف العلوي الحسني – قدس الله روحه – وذلك حسب النقط التالية :

الجيش الشعبي :

من بين الهدايا التي قدمتها قبائل الريف الى رمز التحرير والكرامة السلطان المولى اسماعيل اواسط عام ثمانية وثمانين والف (غشت 1677) بعد الرسالة (1) التي توصل بها في اوائل ذي الحجة عام سبعة وثمانين والف (اوائل فبراير 1677 م)

وهي من انشاء القاضي السيد محمد التمسماني ، هذه الهدية التي هي عبارة عن جماعة من الابطال الاشاوس يقدر عددهم بمائة وثمانين ، بعد ان اطلقت عليهم اسم « الجيش الشعبي » .

قال ابو العباس احمد التازي المهندس (2) :

« وهو من تاسيس الفقيه الصالح سيدي احمد ابن عبد الرحمن المطالسي الملقب «بامغار امقران» (3) المتوفى رحمة الله عليه في السابع عشر من شهر رجب الفرد عام اثنين وتسعين والف (4) وقد فرض على كل قبيلة من قبائل الريف المجاور لمدينة مليلية اعادها الله للاسلام بعد الفعلة الشنيعة التي قام بها جيش العدو (5) أخزاه الله أن تدفع له خمسة عشر فارسا بجميع ما يحتاجون اليه فدفعت كل قبيلة القدر المفروض عليها وسار بهم حتى وصل الى مدشر اولاد انصار فوزعهم على الطرق المؤدية الى جيش العدو أخزاه الله وكان فيهم أخونا القائد سيدي محمد بن عبد الله التوزاني المعروف بابرزيز (6) الذي

(1) راجع مضمن هذه الرسالة في مجلة « دعوة الحق » ص : 143 – ابريل 1972 .
(2) راجع التعليق (9) في المصدر المذكور – نفس الصفحة .
(3) امغار : شيخ القبيلة – امقران : الكبير . ومعنى العبارة : شيخ الشيوخ .
(4) راجع ترجمته في المصدر المذكور – في التعلق رقم 9 السالف الذكر ص : 237 .
(5) راجع « دعوة الحق » ص 143 السالفة الذكر
(6) توفي هذا البطل المغوار في السابع عشر جمادى الثانية عام سبعة وعشرين ومائة والف (13 يونيه 1715) راجع ترجمته في الحوالة الريفية ص :
ص : 143 ، عدد : 2 الصادر في شهر ابريل 370 التي اشرنا لها في مجلة « دعوة الحق » ، 1972 .

انعم عليه مولانا امير المومنين في عام ثلا (   ) (7) وتسعين والف (   ) (8) بظهير . ونصه :

« باسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا اثيرا ، عن امر عبد الله المتوكل على الله المفوض جميع اموره الى مولاه امير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين الشريف الحسني ، وبداخله الطابع الشريف اسماعيل بن الشريف الحسني ايده الله ونصره ، وبدائرته انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا .

ايد الله بعزيز نصره اوامره وظفر جنوده وعساكره وخلد مفاخره ومآثره آمين .

استقر بعون الله تعالى هذا الظهير المبارك المحفوف بالخير المتدارك بين حامله خديمنا ومحل ودنا الوجيه الارضى الاثير الشجاع ، المقدم الـ (   ) (9) محمد بن عبد الله التوزاني يتعرف منه اننا لما احببناه وآثرناه وليناه تسيير جيشنا بقسميه البخاري والريفي ومن انضم الى هذا الاخير المرابط بقصبة سلوان حرسها الله (   ) (10) مقر الشجعان واسندنا اليه النظر في (   ) (11) عند خديمنا المذكور والله يعو (   ) (12) بمنه آمين والسلام

وكتب في الخامس من ربيع الاول سنة ثلاثة وتسعين والف » .

بعد ان عرفنا الدافع الذي دفع الى تأسيس ما تقدم ذكره وعدده من خلال النص الذي اثبتناه والذي يبدو لاول مرة حسب ما اعتقد ننتقل الى الحديث عن مضمن هذا الظهير المولوي الكريم .

الجيش البخاري والريفي

قبل ان نشير الى العدد الذي سكن هذه الثكنة من هذا الجيش الباسل لا بد لنا من معرفة نظام هذا الجيش الجرار الذي تناولته اقلام من الشرق والغرب ، ولا زال وسيظل الى الابد حقلا خصبا للباحثين .

ومن جملة المؤرخين الذين كتبوا عنه فاحسنوا الكتابة العلامة المؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن علي اب محمد بن عبد الملك بن زيدان العلوي في كتابه القيم : « المنزع اللطيف في التلميح لمفاخر مولاي اسماعيل بن الشريف (13) » حيث قال في اعتناء السلطان بالجيش البخاري ما نصه :

« فقد كان على نظام عجيب واعتناء غريب . ففي فاتح المائة الحادية عشرة اصدر امره العالي بالله لعبيده بالاتيان بمن بلغ من اولادهم عشر سنين الذكور منهم والاناث فيفرق الاناث على نسائه بداره المصونة لتهذيب اخلاقهن .. ويفرق الذكور على الصنائع والحرف : البنائين والنجارين والحدادين والفلاحين وغير ذلك من انواع الحرف الرئجة بايالته المغربية ، ويلزمهم ركوب الحمر تدريبا لهم عى الفروسية فاذا بلغوا الحادية عشرة من السن الزمهم ركوب البغال التي تحمل الجير والاجر والزليج لمباني قصوره الفخيمة فاذا بلغوا الثانية عشرة الزمهم بضرب المراكز وخدمة الواح البناء تدريبا لهم على تحمل الاعباء الشاقة حتى لا تركن نفوسهم الى العجز والكسل والميل الى الراحة فاذا اكملوا الثالثة عشرة دفعهم لى الجندية وكساهم ودفع لهم السلاح واشتغلوا بالخدمات الجندية وتعلم فنونها راجلين ، فاذا بلغوا الرابعة عشرة دفع لهم الخيل دون سروج والزمهم ركوبها في كل بكرة وعشي يتعلمون الكر والفر والسباق فاذا تمرنوا على ذلك وبلغوا الخامسة عشرة دفعت لهم السروج والزموا تعلم الكر والفر والسباق والرماية عليها فاذا بلغوا السادسة عشرة صاروا من جملة الجند تجري عليهم الجرايات ويكتبون في الديوان ويزوجهم بالبنات اللاتي جئن معهم ويدفع للرجل عشرة مثاقيل

---

(7) بقية الكلمة خرق في الاصل

(8) يقدر الخرق هنا بسطرين ونصف .

(9) بقية الكلمة خرق .

(10) خرق .

(11) خرق مقداره سطور ثلاثة

(12) بقية الكلمة لا تقرا نتيجة اندثارها .

(13) توجد منه نسخة في الخزانة العامة الرباط تحت رقم 595 ج .

وللمراة خمسة مثاقيل ، وبعين واحدا من آبائهم الكبار للرياسة عليهم يأتمرون بأوامره وينتهون بنواهيه ويدفع لذلك الرئيس ما يبنى لهم به الدور والنوائل ويوجه لمشرع الرملة ... وعلى هذا جرى عمله مع جنده ومماليكه كل سنة الى ان ختمت انفاسه . وقد بلغ عددهم مائة وخمسين الفا ، ثمانون الفا متفرقة فى قلع المغرب لتوطيد الامن وقمع عتاة القبائل المتمردة ، وسبعون الفا بالمحلة يركبون كأنهم رجل واحد ويتراؤون كذلك لا يبالون بالملاحم العظام ولا يكترثون بالموت الزؤام ولا يقيمون للابطال العتاة وزنا ولو بلغ عددهم ما بلغ . وكان السلطان هو الذى يتولى استعراضهم بنفسه ويعرف كل واحد منهم بعينه واسمه ونسبه ويدفع لكل واحد منهم راتبه بدايه » (15)

بعدهذا النص القيم الذى ان دل على شيء فانما يدل على انه صورة حية ناطقة عن عظمة المغرب الاقصى وتقدمه فى عهد هذا الملك الجسور . لم يبق لنا الا ان نقول حسب المصادر التى وقفنا عليها والتي نعتمدها فى هذا المضمار .

ان عدد الجنود الذين كانوا محصنين فى هذه القصبة قصبة سلوان من الجيش البخاري هو ثلاثمائة . مهمته الاشراف على سلامة المواطنين وجمع الضرائب وغيرها من الاعمال المخزنية الادارية.

قال المستشرق الاسباني آسين بلاسيوس بعد كلام طويل تناول فيه الحديث عن الجيش الريفي الذى انضم اليه الجيش الشعبي آخر عام احد وتسعين والف (1680 م) ما يلي :

« وقد وقفت على وثيقة هامة مضمنها ان اغلبية هذه الفرقة (يعني فرقة الجيش البخاري) التى كان مقرها سلوان كان اغلبية افرادها مثقفين ثقافة متينة تسير العصر خلافا للجيش الريفي الآنف الذكر » (16)

اما الجيش الريفي فقد بلغ عدده خمسمائة (17) .

قال ابو العباس التازي الآنف الذكر :

« وبعد ان اضيف اليه العدد الذى اعاننا بالتناوب على البناء والتشييد أصبح عدد جيش الريف ستمائة وثمانين منهم ثلاثمائة مشاة والباقي يركبون العتاق باصنافها الثلاثة المعروفة فى بلادنا الاسود والاحمر والابيض » (18) هذه هي المعلومات التى وقفنا عليها فى شأن وحدات الجيش التى كانت منتظرة الاشارة المولوية بالزحف نحو مدينة مليلية قصد استرجاعها الى حضيرة الوطن كسابقتها من المدن التى استرجعت فى عهده قدس الله روحه .

الرباط ــ النكادي عبد القادر

---

(15) نسخة خاصة ص : 95 .
(16) راجع المحاضرة ص : 55 .
(18) عن كناشه ص : 238 الوارد ذكره فى التعليق 10 . ص 143 من مجلة « دعوة الحق » الصادر فى ابريل 1972 .

قلبٌ وراء حمامة

للاستاذ : محمد أحمد اشماعو

القرطبيون متيقنون من انهم يعيشون فى عاصمة الدنيا ، وواثقون من ان مدينتهم (قرطبة) خير بقاع ارض الله ، وان سكانها من خيرة البشر دينا وعلما وسلوكا وتحضرا ... فمن اناقتهم يتعلم الناس الاناقة ، ومن شعاع حضارتهم يقتبسون الحضارة ، ومن حلقات دروسهم ياخذون العلم ، وعلى منهاجهم فى السكن واللباس والطعام يسيرون ، وأنى لهم ان يلحقوا بهم ! هم الاعلون فى العلوم الدينية ، وهم المتفوقون فى العلوم الدنيوية ، وهم البارعون فى الموسيقى والاشعار والازجال والمفاكهات .. يأتى اليهم القوم من أطراف الاندلس ، ومن مدن أوروبا ، ومن مدن العدوة الجنوبية ، ومن بلدان الشرق كذلك ليتعلموا ويتفننوا ويتحضروا ، وليصقلوا معادنهم الصدئة ، وليرققوا مشاعرهم الجافية ، وليتساموا مع خيار قرطبة فى ميدان كل عمل سام .

وعلى هذا ، لا حرج على اي قادم للعاصمة من ان يدخل المسجد الاعظم ، منبع العلم والحضارة والفضل، فحلقات الدروس متعددة ومتنوعة وزاخرة، ولا من يمانع او يدافع احدا عن هذه الحلقات ، فالاندلسي يدرس بجانب القادم من بلاد الغال ، والشامي يزاحم الوارد من أفريقيا ، والمحمدي يجالس العيساوي والموساوي دون نفور او تعال ، او أي شعور بالامتياز والافضلية . ان المسجد خلية عظمى ، اصوات المدرسين ترتفع ملعلعة ، والحماس للدرس والافادة وصل ببعضهم الى حد الصخب ، والطلبة على اختلاف اجناسهم والوانهم ملتفون التفافا حول أساتذتهم ، يلتقطون المعارف المتناثرة من افواه العلماء ، ويفسحون المجال لها فى صدورهم وعقولهم وافئدتهم ، فهي تسري فى أجسادهم مسرى الدم ... واحلى منظرا من كل ذلك هؤلاء الاساتذة الذين افترشوا الارض ، وراحوا يخطون باقلامهم ، اما لشرح معضلة رياضية، او تشخيص نظرية هندسية ، او تحديد منطقة جغرافية ، او كشف سر حيلة من حيل الطبيعة الخفية ، ولا على الاستاذ من ان يشتبك مع طالب مشاكس فى جدال، ولا عليه من ان يجهد النفس لتوضيح الغامض لبليد او متخلف ، فهو العالم البارع المتفنن المحنك ، سرده شبيه بتيار زاخر ، فلا احد يستطيع ان يوقفه موقف العيي او العاجز ..

اين هذه البراعة ، واين هذه الفحولة العلمية، وهذا الادراك الواسع من مجالس من يتولى التدريس فيها نساء ؟!.

لقد مضى (ابن حزم) سنوات غالية من عمره يدرس على النساء ، فهن اللواتي علمنه القراءة والكتابة ، وهن اللواتي حفظنه القرآن الكريم والمتون، وهن اللواتي الزمنه ــ بعد ذلك ــ بحفظ عيون الشعر الاندلسي والمشرقي ، ولم يجدن اي حرج فى تقديم قصائد (ابن ابي ربيعة) امام الشعراء الغزليين ، وقصائد من يسير على منهاجه فى التشبيب بالجمال

النسوي والرقة الانثوية ، بل انهن قدمن الشروح الضافية والتعليقات الموسعة في شرح الاحاسيس التي تحسها الانثى في مواقف التغزل فيها ، وفنون القول والاشادة بما وهبها الله من حسن وسحر وبهاء .. وبذلك تفطن الى ما لم يكن متفطنا له ، وادرك من اسرار الحياة ما كان غافلا عنه ، وصار ينظر الى جمال الحسناوات – وما اكثرهن في قصر والده – نظرة استحسان واعجاب وخشوع ، وهز ضميره الرقيق اللطيف هذه الالوان العديدة من الحسن النسوي البهي : صبيات من بنات الشام في بياض الحليب او سمرة اللوز وصبيات من بنات الروم مدهشات آخذات بالالباب بشعورهن الذهبية وعيونهن الزمردية وبشراتهن النقية ، وصبيات بربريات امتلان صحة وعافية ، فتبدى ذلك في خدودهن المورّدة واجسادهن الفارهة . وكما تتوارى الزنابق بين اوراقها فان هؤلاء البربريات غطين الحسن الفاتن بترويقات الوشم ، بين العينين ، وتحت الشفة ، وعلى الرقبة ، وفوق ظاهر اليد وعلى القدمين كذلك .. ولم يكن يدري اي دافع كان يدفع اولئك العذارى بين الحين والحين ليتقربن منه ، ويجاملنه ، بل يحاولن معابثته ، فاذا القى اليهن بكلمة او وجه اليهن نظرة رددن بابتسامات براقة ، ورفت أعينهن بالمعان غريب ، وتنطلق بعد ذلك السنتهن تشدو ، واكفهن تصفق ، وقاماتهن تتمايل .. لكأنه اعطى الكثير لهذه المخلوقات اللطيفة الضاحكة للدنيا .

كاد (علي بن حزم) – يومئذ – ان يتصور ان العلم محصور في فضليات النساء ، مثل هؤلاء اللواتي تولين تربيته وتعليمه ، فهن حافظات لكتاب الله عن ظهر القلب ، وهن حافظات للاحاديث الصحاح ، وهن مستظهرات للمعلقات السبع ، والمطولات من الشعر الجاهلي والمخضرم والاموي وهن يتمثلن دوما بشعر النساء العربيات من مختلف البلدان والعصور ، ويرين فيه الرقة الضرورية للشعر ، والجرس اللازم للانشاد ، والحلاوة المستصاغة مع اجل المعاني ، ويكدن يجزمن بان الشعر اذا لم يكن من انثى فهو جفاء وغموض وهذيان، فهو ليس جديرا باسمه ... ومع ذلك وجد (علي) ان البعض من هؤلاء الفضليات يقلن غزلا ، كله اشادة بشهامة رجال وكمالهم وسمو اوصافهم !

و (علي) بدوره قامت في نفسه هواجس ، وتحرك فؤاده وهاج خاطره ، وبذلك اخذ لسانه يتحرك ، وشرعت شفتاه تهمسان ، ثم راحت يمينه تتلمس القلم ، لتسود صفحات بيضاء باشطار هي اشبه ما تكون بالنقش ، اما المضمون فاشعار رقيقة لطيفة سائغة ، تحلو على اللسان كما تحلو في الآذان، اما تأثيرها على القلوب فبعيد ... !

ليس يدري (علي) امن اجل هذا طلبت اليه نساء القصر كلهن: صبيات وشابات بكثير من الالحاح، وبموافقة مهذبة من الكهلات، وحتى ممن تجاوزن سن الكهولة ... طلبن منه ان ينشدهن من اشعاره ، وبصوته الجميل ... الا واحدة من بينهن ، وهي الصبية (نعم) انها لم تلح ، ولم تلاحق ، وانما اكتفت حينما رات اجماع هؤلاء ان توافق بانحاءة من راسها ، وبحمرة غير شديدة شابت بياض وجهها المليح وظاهر اذنيها اللطيفتين ، وغدا الوجه بتورده المشرق وسط الضفيرة الشقراء كوردة في طبق من الذهب الابريز ... ولو افصح الشاعر عن دوافعه لقال انه انما انشد تحت تأثير سمت هذه الشقراء الفاتنة ، وخجلها المحبب الآخذ بمجامع القلب .

وهكذا كان للصوت العامر بخشونة الرجولة المبكرة تأثير واي تأثير على الاسماع ، فاهتزت القلوب الانثوية ، وتمايلت القدود الرشيقة ، وحتى التي فاتتها الرشاقة ، وافترت الثغور – وهي من مميزات سيدات قرطبة – عن ابتسامات فاتنة ، ولوحظ اكثر من هذا ان عيونا امتلأت دمعا ثم اسالته ..!

اما (نعم) فقد كانت منصتة ، ومنصتة اكثر من اية واحدة اخرى ، الا ان المفعول الجبار كان يعمل عمله في الداخل ، خفية من الذكيات اللواتي لا يغفل لهن طرف !. لكن الشاعر بعين بصيرته المتفتحة كان يلاحظ الآثار الخفية ، التي لا تكاد تبين من شدة خفائها ، فانتعش ، واخذ يشدو من الاعماق ، لا من الاشداق ، ووجد – وقد انهى من انشاد ما لديه من جديد المقطوعات – انه مستعد لان يرتجل ، وان يقول في ميدان الغزل قولا موفقا ، مهما امتدت به الساعات ، لكن الرجال – ولو كانوا مثله في طور النشأة – يخشون الهذر ... فليتوقف ، وليتمنع الى حين ، ليبقى ذلك الفتى المرغوب فيه ، وفي حديثه الطلي !

كل هذا كان جميلا يومئذ !

الا ان (علي بن حزم) وجد ان حياة المجتمع الزاخر فى (قرطبة) هو غير كل ما كان يعرف . فشواغل الرجال فيه ليست مثل شواغل النساء فى القصر على الاطلاق ، اولئك يربين الاطفال ، ويعلمن الصبيان . ثم تسنح لهن فرص فيتبرجن ويتعطرن ويملان اوقاتهن بالاشياء التى لا فائدة من ورائها ... اما هؤلاء فاكفهم واذرعهم متينة وشديدة ، تبدع صنائع مثيرة للاعجاب ، فى البناء ، والنجارة والحدادة ، فى الزخرفة والنحت والحفر والتزويق ، تزيد فى حماسهم للعمل والتفنن اذواقهم ومهاراتهم وعزائمهم . وبفضلهم صارت دور قرطبة ومساجدها واضرحتها ومحاكمها آية فى الفن المعماري . اما قصور الامراء والكبراء فمجمع للفنون والطرائف ..

وعلى هذا فكل ما شاهد (علي) ـ وهو فى الطريق الى المسجد الاعظم ـ اخذ بكل اهتمامه ، وجده فاصلا كبيرا بين حياته محجوزا بين جدران القصر ، وبين حياة جديدة طلقة حرة عامرة لا ثقة به كرجل ، واخذ بلبه اكثر من هذا رحاب المسجد العامرة الحلقات ، لقد شاهد بأم عينيه فطاحل العلماء الذين لا ينضب لهم بيان ، ولا يكل لهم لسان ، ولا يوقفهم اي استفسار او استفهام او طرح اي اشكال .

اللغويون منهم متضلعون ، متعمقون فى اللغة وفنونها وابوابها لا يغيب عنهم مستعمل ولا محفوظ ولا شاذ ، واوجه الخلاف يدركونها ، ويستعملون عقولهم لترجيح بعضها على بعض ، ولا يعجزهم الدليل من اقوال العرب ...

والمؤرخون وعاة ، دقيقو الملاحظة ، حصفاء العقول ، يسردون الاحداث لكأنهم يقراونها فى صحف تحت ابصارهم . ومقومو البلدان ـ هم بدورهم ـ يتحدثون عن ارض الجزيرة السعيدة حديث الخبرة ، لقد زاروا واستخبروا ، وقاسوا المسافات ، واستشاروا المراجع ، فهم يؤيدون ما فيها ، او يردون الحقيقة الى نصابها ...

والفقهاء ـ ما ابرع الفقهاء ـ يثيرون الاعجاب بسعة اطلاعهم ، وتعمق فهمهم ، وكثرة استنباطهم، وحرارة جدالهم ، وتناولهم الآيات والاحاديث تناولا يسيرا ، بفضل سهرهم وانكبابهم على الحفظ والاطلاع .. ولفت نظر الشاب (علي بن حزم) طائفة من الفقهاء لا تقول مثل قول الآخرين بل تصر على ان المرجع الاول والاخير فى كل شيء هو الكتاب الكريم والسنة المطهرة وما عداهما يترك لضمائر المومنين تفصل فيه . اعجب بهذا الراي لما فيه من طرافة ، ولانه وافق حرارة وجراءة يحس بهما ، منذ خالط هذا المجتمع الحافل !

اما الحلقات الاخرى فقد وجد فيها (علي) علوما لم يعرفها من قبل ، ولا سبق لاستاذة من استاذاته ان قدمت اليه اية مبادئ فيها : علم التنجيم ، علم الطب وصناعة الادوية ، علم الفلاحة، اساليب تصريف المياه ... ان الشاب يتوهم الآن انه ضيع زهرة الشباب الباكر مع السيدات فى حريمهن ، ففاته هذا العلم الغزير ، وفاته الاطلاع الواسع ، وفاته منظر هؤلاء الرجال الذين يملاون القلوب والعيون والاذهان .. ان مخالطتهم اعداد للحياة الجديدة ولتحمل التبعات التي لا اعتذار فيها . لقد وجد فى الرجال جراة ، وصولة ، واعتزاز ، وثقة بالنفس لا تجارى ، وثقة بالعلم الذى فى الصدور !

ان الحياة بين المسجد وما حوله ، ومع سكان قرطبة وهم يتخبطون فى مشاكلهم اليومية ، ويواجهون الاحداث الكبرى التى تكاد تلحق بهم الدمار لشيء مثير وحافز ، يجعل الانسان وهو فى طور الشباب الطموح يتعرف على المشاكل ويحدد موقفه منها ، مع او ضد ، ولا يبقى فى زمرة النساء اللواتي لا يد لهن فى الامور الا ما تحركه الاميرات الداهيات من وراء الستور !

(علي) له من اليوم مبادئه ، وله من اليوم وجهات نظره فى كل امر امر ، سوف لا يبقى بمعزل ، سوف يدخل فى خضم الجدالات ، سوف ينحاز ان اقتضى الامر انحيازا ، او يعارض ان اقتضى الامر معارضة .. ولا عليه من عواقب الامور ! لن يمنع من هذا ان فى الخاطر وجها سعيدا ، لا يغيب طيفه بالليل ولا بالنهار ، انه وجه صبوح بديع فاتن ، فاتن باستدارته البدرية ، بعيونه الخضراء الزمردية، وبخدوده العامرة الوردية ، وبثغره الذى يمتاز باسنان لؤلؤية ساطعة ... فالحياة كفاح ، وصمود ، ويا ويل من يرتضي لنفسه القعود ..

لقد تقول (نعم) يوم يزول حياؤها ، وتتقوى نفسا بزواجها من (علي) : مالك والمجازفة ، فقصرك هذا فخم رافه ، واموالك كثيرة ومكدسة ، واملاكك

واسعة لا حصر لها ، ومكتبتك ومعها مكتبة والدك الوزير ملجأ لك امين ، انت الالمعي اللوذعي الذكي الفؤاد ، هي مجال تنقيبك ، هي تنضيدك وتاليفك.. لكن هذا لا يجدر بي .

انني اموي النزعة ، وملك بني امية اراه ينهار ، والاخلاص يقتضي ان ادافع . انا ابن وزير فلائق بي ان ارث الوزارة ، فهي جديرة بي ، وانت يا (نعم) جديرة بان تكوني زوجة وزير ! وانا يا (نعم) غير راض عن تحجير الفكر الاسلامي ، ولا اريده الا مقيدا بما جاء في الكتاب والسنة ... قد لا تعلمين يا (نعم) ان الذين يقولون مثل هذا القول قليلون ، ولكنني اريد أن اكون منهم أن أكون لسانهم الجهير ، وكاتبهم الشهير ، وبطلهم القدير ...!

لا ، لا ، ليس لك يا (نعم) يا حمامتي اللطيفة الرشيقة ان تعترضي على شيء ، فالمسالة مسالة مجد وخلود ، وهل لعاقلة مثلك ان تعترض على مجد زوجها ومساعيه للخلود ... والله لن البث ان اصير وزيرا ، والله لن يفوتني ان اكون اماما ذا رأي ومذهب بين هؤلاء الناس .

بارك الله في استاذاتي الفاضلات ، لقد علمتني المثابرة ، والالحاح الشديد لتحقيق المآرب ، اما دروسي على هؤلاء الاساتذة الفطاحل فمهما كانت كانت قليلة فسيكون لها تاثير على مدى حياتي ، انني احمد الله على انني استوعب في اسبوع ما يستوعبه غيري في شهور او عام ، وافهم من كل درس المعنى العميق والمقصد البعيد ، لقد تخرج الكلمات من فم الفقيه او الاستاذ وانا عارف بها ، لقد فاجات عددا منهم بذلك ، فتفطنوا لنبوغي والله يشهد انني لست مدعيا ، ولكنني موهوب !

قد يهزك هذا القول مني ، ويجعل قلبك يضطرب ، فيتصاعد الدم القاني الى وجهك العزيز ، وترف عيناك - آه منهما - وترسلان بريقا وهو وقع السهام على السواء في قلبي ، وتتسدل ضفيرتك الذهبية - اضطرابا - وتغطي الجبين فتصدها الانامل الحلوة برفق ، وقد تولين عني مغاضبة ، فتكون حركتك هذه هزة لكياني النحيل ، الذي براه سهد الليالي ، وشغلته القوافي التي اخذت تثري خاطري ، ويتعب في تسجيلها قلمي وورقي واصابعي ...

على ذكر الشعر يا (نعم) أقول : لقد قدمت لاستاذ العروض بعض مقطوعات ليراجعها فقال :

- يا علي يا بني ، لا حاجة بك الى تعلم العروض فانت شاعر بطبعك ، انسخ لي شيئا من شعرك احفظه ، لقد وجدت متعة ولذة ، انه عصارة ثقافة حسنة ، وما اظنه الا اغاني قلب مجروح ، ان مقوم الشعر الاول هو الجمال ، واحسب ان ملهمتك على درجة كبيرة من الملاحة والمليحات اسن قليلات بهذه الديار ، فاللهم كن في عون الشعراء الرقاق الشعور ...

اني فخور - يا نعم - بانك ملهمتي ، وانك في سجى الليل وهدوئه مؤنستي ، وانك مشعلة نار هذا الفؤاد وفاتحة حنايا هذا الصدر ، وحاملة عقدة هذا اللسان ، ومرشدتي الى ما كنت غافلا عنه من سحر الطبيعة وبهائها وبديع صنعها ... لك الشكر يا حمامتي الالوف ، خذيني على جناحك الناصع ، الى فضاء الله الواسع !

- دعيني اكمل لك حديث الاساتذة ... ان استاذ الاصول جاذبني الى مناقشته ، فنلت اعجابه اكثر من غيره ، ودعاني الى تناول طعام العشاء معه ، وتفضل فجعل خزانته رهن اشارتي ، حتى انه تام وتركني فيها ، فلم اغادرها الا عند الفجر ، عندما ذهبنا سويا الى المسجد العزيز .. هذا قليل من كثير يا (نعم) . يا حمامتي اللطيفة .

وسرح (علي) بنظره - وبخياله ايضا - في الجموع المتكاثرة حول المسجد ، لكانها جيوش نحل حول خلاياها .. ولم يشعر الا والخادم يقترب منه ويهمس :

- بادر يا سيدي الى الدار .

- ولماذا يا جوهر ؟

- ان قضاء الله الذي لا مفر منه قد حم .

- فيمن ويلك ؟

- لقد سقطت (نعم) مغشيا عليها ، وهي الآن في طور الاحتضار !

- الله ! (نعم) في حالة احتضار ؟

- لا أراها الا هالكة يا سيدي ، لقد علتها صفرة الموت الرهيبة ، وغاب بؤبؤ العين يا سيدي

(علـي) ولا اظنه يعود ، وجفت نضرة الوجه الذى كان عامرا بالسعادة . ففدا كالحا ... الله الله على الحسن الضائع .

ولولا وقار الشاب الاديب الفقيه لوجه لهذا النذير لطمة مبرقة ، ولاخذ بخناقه حتى تنتهي انفاسه ، ولكنه اكتفى بان قال :

ـ اياك ان تكون كاذبا ؟ سيكون عقابك شديدا.

ـ هذا كله صدق يا سيدي (علي) ... بادر فالخسارة عظيمة .

ـ كفى ، ارى روحي تكاد تسبق روحها الى الصعود ، ما اظنني اعيش بعدها ... خذني يا جوهر الى الدار ، لقد فقدت السيطرة على نفسي وكياني .

وغطت غمامة كثيفة عينيه ، فسار سير أعمى يتخبط ، مستندا الى كتف الخادم الذى كان بدوره منهارا متاهفا متوجعا .

عند الباب اخذت بيده سيدة وقور ، هي احدى استاذاته السابقات وقالت :

ـ علي ، ضع ثقة فى الباقي بلا فناء ، انه لا مرد لقضاء الله الذى يحيي ويميت ، انها عزيزة علينا كما هي عزيزة عندك ، وان نكبتنا فيها مثل نكبتك ، فارجو ـ يا ولدي ان تتقبل الصدمة بصبر المومنين، وانت بحمد الله لست ناقص الايمان ، لقد صارت (نعم) الى عفو الواسع ، ورحمته الشاملة ...

وارتمى على صدر استاذته يشهق ، ويشهق ، ويتوقف ودون ارادة منها شاركته فى الشهيق .

الرباط ـ محمد بن احمد اشماعو

موائد الطعام ... ياتي بها النهر ...

من عجائب ما ذكره ابن العربي المعافري الاشبيلي عن عمران دمشق فى زمنه وتقدمها فى أسباب الرفاهة والصيانة والنعيم ما نقله عنه صاحب نفح الطيب ... وهو انه دعي لتناول الطعام فى بيوت بعض الاكابر ، فراى نهرا جاريا الى موضع جلوسهم ، ثم يعاد الى ناحية اخرى . قال : « فلم افهم معنى ذلك ، حتى جاءت موائد الطعام فى النهر المقبل الينا . فاخذها الخدم ، ووضعوها بين ايدينا ، فلما فرغنا القى الخدم الاواني وما معها فى النهر الراجع، فذهب بها الماء الى ناحية الحريم من غير ان يقرب الخدم من تلك الناحية .. فعلمت السر ، وان هذا لعجيب !..



بقلم: فغيريكو گارثيا لوركا
ترجمة الأستاذ حسن الوراكلي

الشخصيات { انريكي ـ الشيخ
المرأة ـ الطفلة
اصوات

المشهد { باب دار

انريكــي : ـ وداعــا .

ستة اصوات (من الداخل) : ـ وداعا .

انريكــي : ـ سأظل زمنا طويلا فى سلسلة الجبال .

صــوت : ـ اريد ان تحمل لي معك سنجابا حينما تعود .

انريكــي : ـ اجل ، سأحمل لك سنجابا ومعه ، ايضا ، خمسة عصافير لم يسبق ان امتلكها طفل من قبل .

صوت ثان : ـ لا ، انا اريد جرذونا

صوت ثالث : ـ وانا اريد جلذا ... آكل الحشرات

انريكــي : ـ انتم مختلفون جدا يا ابنائي . سألبي رغباتكم جميعا .

الشيــخ : ـ مختلفون جدا .

انريكــي : ـ ماذا تقول ؟

الشيــخ : ـ هل يمكنني ان احمل لك الحقائب؟

انريكــي : ـ لا ...

(يسمع ضحك اطفال)

الشيــخ : ـ هل هم ابناؤك ؟

انريكــي : ـ ستة اطفال ، كلهم ابنائي .

الشيــخ : ـ انا اعرف منذ زمن طويل امهم : زوجك . كنت سائق اسرتها ، لكن اذا اعترفت لك بالحقيقة فحياتي ، الآن ، احسن حالا وأنا أزاول التسول . الخيول (يضحك) لا احد يعرف الخوف الذى تثيره الخيول فى نفسي . فليسقط على عيونها شعاع يعميها . ان تسوق عربة خيل امر فى منتهى العسر . آه ، انه امر عسير جدا ! اذا لم تكن تخاف الخيول فلن تعرف مدى عسر قيادة عربة خيل ، واذا انت عرفت عسر القيادة فلن تحس بخوف . اللعنة على الخيول !

انريكــي : ـ (وهو يأخذ حقائبه) اتركني .

الشيــخ : ـ لا ، لا . انني مقابل دريهمات ، أزهد ما عندك من دريهمات ، احمل لك الحقائب . ان زوجك ستتشكر لك ذلك . انها لم تكن تخاف الخيول . انها سعيدة .

انريكــي : ـ هيا بسرعة . فى السادسة يجب ان استقل القطار .

الشيــخ : ـ آه ، القطار ! هذا شيء آخر . القطار بلاهة . انني لن احس بخوف

من القطار ولو عشت مائة سنة .
القطار ليس حيا . يمر وقد مر ..
لكن الخيول ... حذار .

المــراة : ـ (من النافذة) انريكي انريكي . لاتتخل عن الكتابة الي . لا تنسني .

الشيــخ : ـ آه ، الصبية ! (يضحك) اوتذكرين كيف كان انريكي يقفز فوق سور الحديقة وكيف كان يتسلق الاشجار ، فقط ، ليراك ؟

المــراة : ـ ساذكر كل ذلك حتى اموت .

انريــكي : ـ وانا كذلك .

المــراة : ـ اني انتظرك . وداعا .

انريــكي : ـ وداعا .

الشيــخ : ـ لا تحزن . انها زوجك وتحبك . انت تحبها ، لا تحزن .

انريــكي : ـ هذه هي الحقيقة ، لكن هذا الغياب عنها يثقل علي .

الشيــخ : ـ اسوا من ذلك شيء آخر ،، الاسوا هو ان يتحرك كل شيء ،، ان تميد الارض وتهتز ويتدفق النهر . الاسوا هو هبوب ريح صرصر عاتية !

انريــكي : ـ ليس بي رغبة فى المزاح . انت : هكذا ، دائما .

الشيــخ : ـ (يضحك) جميع الناس ، وانت الاول ، تعتقد ان اهم ما تسفر عنه ريح صرصر عاتية هو معالم التكسير وآثار التحطيم ، اما انا فاعتقد عكس هذا تماما . ان اهم ما تسفر عنه ريح صرصر عاتية ..

انريــكي : ـ (فى غضب) هيا بنا . عقرب الساعة سيشير الى السادسة من حين لآخر .

الشيــخ : ـ اذن ، والبحر ؟.. فى البحر ..

انريــكي : ـ (فى حنق وغضب) قلت لك : هيا بنا .

الشيــخ : ـ الم تنس شيئا ؟

انريــكي : ـ كل شيء تركته على ما يرام تماما ، ولكن : ماذا يهمك انت ؟ ان اسوا ما فى العالم خادم ، شيخ ، متسول .

صوت اول : ـ ابـي .

صوت ثان : ـ ابـي .

صوت ثالث : ـ ابـي .

صوت رابع : ـ ابـي .

صوت خامس : ـ أبـي .

صوت سادس : ـ أبـي .

الشيــخ : ـ ابناؤك .

انريــكي : ـ ابنائي .

الطفلة : ـ (فى الباب) انا لا أريد السنجاب . لن احبك اذا حملت لي معك السنجاب . لا تحمل الي السنجاب . انني لست اريده .

صــوت : ـ وانا لست اريد الحرذون .

صــوت : ـ وانا لست أريد الجلد ... آكل الحشرات .

الطفلة : ـ أريد ان تحمل الينا خايطا من المعادن .

صــوت : ـ لا ، لا ، انا اريد جلدا .. جلدي ...

صــوت : ـ لا ، ان الجلد لي ، انا .

(يتنازعــون)

الطفلة : ـ (وهي تدخل من الباب) اذن ، الجلد سيكون لي .

انريــكي : ـ كفى ! ستكونون فرحين منشرحين !

الشيــخ : ـ قلت لك بانهم كانوا متناقضين جدا .

انريــكي : ـ اجل . انهم متناقضون جدا لحسن الحظ

الشيــخ : ــ كيـف ؟

انريـكـي : ــ (فى صوت مرتفع) لحسن الحظ .

الشيــخ : ــ (حزينا) لحسن الحظ .

(يخرجـــان)

المــراة : ــ (من النافذة) وداعا .

صـــوت : ــ وداعـا .

المــراة : ــ عد بسرعة ، لا تتاخر .

صـــوت : ــ (ياتي من بعيد) بسرعة .

المــراة : ــ سيتدثر بكيفية حسنة فى الليل. لقد اخذ معه اربعة غطاءات صوفية اما انا ، فعلى العكس ، ساكون وحيدة فى الفراش . ان له عينين فاتنتين ، لكن الشيء الذى احبه فيه هو قوته . (تخلع عنها ثيابها) احس بالم خفيف فى ظهري . آه لو ان انريكي يزدريني ! انا اريد ان يزدريني ... وان يحبني . انا اريد ان اهرب ويلحق بي . انا اريد ان يحرقني ... ان يحرقني . (بصوت مرتفع) وداعا ، وداعا .. انريكي . انريكي .. انني احبك .

اراك صغيرا تقفز فوق الاحجار . اراك صغيرا . الآن استطيع ان « ابتلعك » كما لو كنت برعم حلوى استطيع ان ابتلعك يا انريكي .

الطفلة : ــ امـاه .

المــراة : ــ لا تخرجي . لقد هبت ريح باردة . قلت لك لا تخرجي !

(تدخـل)

(يعم خشبة المسرح الظلام)

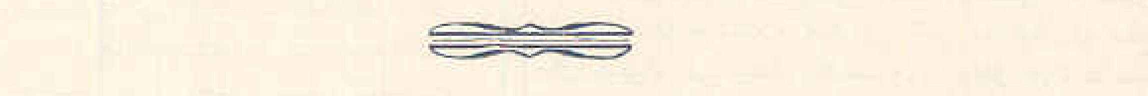
الطفلة : ــ (فى صوت سريع) أبي .. بي ! ابي ... بي ! احمـل الي معك السنجاب ، فلست اريد خليطا من المعادن . ان المعادن ستكسر اظافري يا ابتاه .

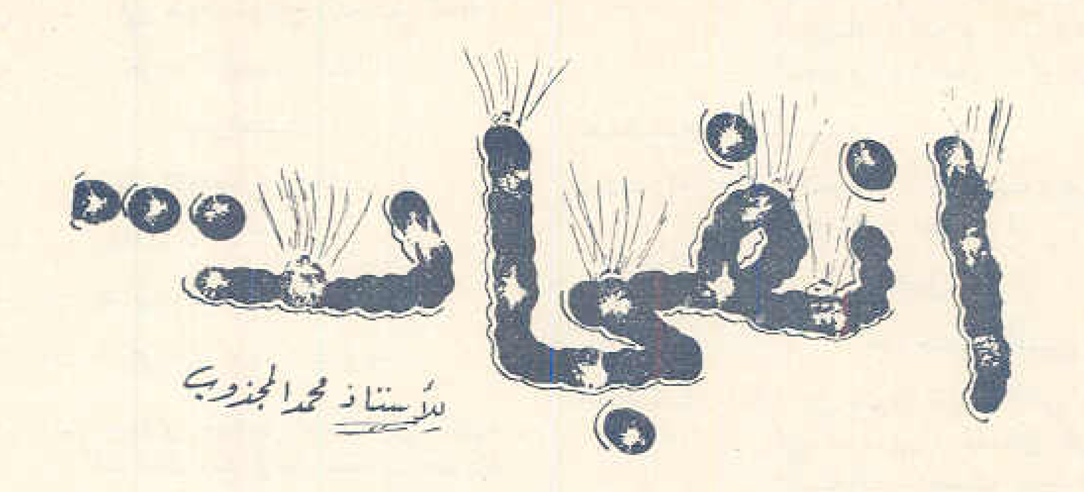
الطفـل : ــ (فى البـاب) انـه لا يسمعك ، لا يسمعك ، لا يسمعك .

الطفلة : ــ ابي ، انني اريد السنجاب (تختنق بالبكاء) يا الهي ! انني اريد السنجاب !

ــ ستـار ــ

تطوان ــ ترجمة : حسن الوراكلي





عرفته واخاه منذ انتقالي الى اللاذقية .. فكنت ازورهما بين الحين والحين ، وكانت صلتي بكبيرهما الحاج كامل اكثر ، لانه شبه منقطع الى منزله ، لا يكاد يغادره الا لوقت قصير ، قياما بعيادة بعض المرضى من معارفه ، او تفقدا للكتاب الذى افتتحه لتحفيظ القرآن ، فهو يزوره بين الفينة والفينة للاطمئنان لحسن سيره ، او لتوزيع المعونات الشهرية المقررة لشيخه الضرير ولتلامذه . وفيما عدا ذلك فهو مضطر لالتزام البيت بسبب علو سنه وثقل جسمه ، وما يلابسه من آلام في ركبتيه لا تكاد تزايله ، يضاف الى هذا حفاظه على الوضع الموروث عن آبائه وذوي قرابته ، من ابناء البيوتات العريقة ، الذين تقل مفارقتهم لمنازلهم الا للضرورات القاهرة ، وقليلة ما هي ، لان اصحاب العلاقة بهم يعرفون الطريق الى مجالسهم الدائمة في اي وقت شاءوا من ليل او نهار ... وكذلك الاصدقاء والمعارف الذين اعتادوا التردد على هذه المجالس لقضاء السهرات ، وللمشاركة في الاحاديث المختلفة ، التي غالبا ما يكون لها اثرها البعيد في تثبيت الآداب الاجتماعية الفضلى ... وحتى بعد التطورات العميقة التى اكتسحت الاجيال الجديدة ، فصرفتها عن هذه المجالس الى مواطن التسلي المختلفة من اندية اللهو ، وملاعب الرياضة ، وحلقات المقاهي .. لم يزل لهذه المجالس العريقة روادها من الشيوخ ومن فى حكمهم من الشباب المحافظين ، الذين لم تجرفهم سيول تلك التطورات الى مسافات بعيدة .

وهكذا كانت زيارتنا لمجالس الحاج كامل شبه مستمرة ، تدفعنا اليها العادة والرغبة فى قرب هذا الرجل ، الذى كنت اعتبره بقية من السلف الصالح الذى بات مهددا بالانقراض .. وكان مما يزيدني تعلقا به خلقه الاسلامي العجيب ، الذى بات من التحف النادرة ، ذلك ان المرتاد لمجلسه لا يلامس سمعه الا الكلام النظيف ، فهو اما حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو صحابته الاكرمين ، او اطراء لفضيلة حققها بعض الطيبين ، او تذكير بفقير محروم ينتظر معونة المحسنين .. وقلما ينفض المجلس دون دعوة الى خير ، او سعي الى احسان .. وكان صاحب المجلس دائما هو المجلي الذى لا يسبق ابدا .. حتى بات معروفا عنه انه — على سعة ملكه بالنسبة الى قلة أهله — لا يكاد يخلص من اعباء الديون ، التى يقترضها للوفاء بما يعتبره حقا لله !..

وكان اخوه الحاج عزة اشبه الناس به حسن خلق ونظافة حديث ورغبة فى خير .. وان لم يبلغ مثل شهرته فى ميدان الاحسان . ولعل مرد ذلك ان ثروته الزراعية كانت دون ثروة اخيه ، او أنها كانت تبدو كذلك لان حاجته الاستهلاكية اكبر من حاجته ، بسبب انه ذو اولاد ولا اولاد لاخيه ، فمسئولياته البيتية فوق مسئوليته ..

وكان للحاج عزة ميزة اخرى ، هي انه اكثر صلة بعلوم الدين من اخيه ، فهو معني بقراءة المجلات

الاسلامية ، وذو رغبة فى الكتب النافعة ، ولذلك كان له مشاركات طيبة فى القضايا التى يحتاج المسلم الى معرفتها من شؤون دينه .

وكان أكثر تلاقينا مع الحاج عزة فى مجلس اخيه وبخاصة فى ليالي رمضان ، حيث تطول السهرات اكثر منها فى غيرها ، وكثيرا ما كنا نحضر صلاة العشاء والقيام – التراويح – هناك ، حيث يؤمنا فيها الشيخ مصطفى الضرير مدرس القرآن فى كتاب الحاج كامل .. حتى اذا فرغنا منها استمعنا الى التلاوة يهدر بها المقريء من الغرفة المجاورة الى ساعة متأخرة من الليل .. واذن فلا غرابة ان يكون لهذه المناسبات اثرها البعيد فى تعميق صلاتنا القلبية بهذين الاخوين .

—) ◆ (—

وكانت التفاعلات الاجتماعية تحفر اخاديدها بعيدة فى قلوب الجيل الجديد .. الذى كادت صلته تنبت نهائيا بهذه الاوساط المحافظة ، فقد تبدلت مفاهيمه ، واختلفت مقاييسه ، وانحرفت تصوراته ، فلم يكد يفقه شيئا عن هذه الروابط التى تنتظم مجتمع الآباء ، ولم يكتف بالا يفقهها فراح يعاديها ، مدفوعا الى ذلك بما يسمعه ويقرؤه طوال أيامه على مقاعد الدرس ، وفى الاندية الحزبية ، وفى الصحف الموجهة .. من نقد لاذع يوجه باسم العلم الى كل ما هو قديم .. ومن سخرية مرة تكال لكل الرجال الذين يمثلون او يدعون الى تلك القيم القديمة ..!

وبقدر الغفلة التى كانت تستحوذ على المسئولين فى الجانب المحافظ ، كان اندفاع الافكار الدخيلة وتغلغلها فى صدور الشباب الذى لم يزود قط باية حصانة من الايمان النقي والعلم الصحيح ، الذى يستطيع الصمود فى وجه السيل الوافد ... وبذلك تهيأ الجو لاستقبال كل تغيير فى بنية المجتمع ، والقائه فجاة فى غمرة من الصراع الذى ما لبث ان مزق اوصاله ، وحال بينه وبين الاستقرار !..

بدات دعوة التغيير بنبش كل السيئات التى انطوت عليها الاوضاع القديمة ، ما لا يتوقع خلو مجتمع من مثله ، وتعمد النابشون ان يضخموها الى ابعد الحدود ، ثم يجعلوا منها عنوانا بغيضا على الماضي باجمعه .. ولم يتورع هؤلاء ان يخترعوا القصص لالوان من المظالم لا وجود لها البتة ، فزعموا مثلا ان فلانا الاقطاعي قد دأب على انتهاك اعراض عماله ، حتى لا يسمح بزواج فتاة منهم الا بعد قضاء وطره منها !. فاذا ما راجت اخيلتهم هذه فى سوق العامة عمدوا الى افتعال اهول منها ، فزعموا مثلا ان ولد احد العمال قد دافع عن نفسه فضرب ابن صاحب الارض ، فانفجرت براكين البلاء على اهل الغلام المعتدي ، حتى لم يبق سبيل الى اخماد الفتنة الا بأن يأتي العامل فيقدم ولده الى (الاغا) ليؤدبه بما يشاء ، فيطلق هذا عليه النار امام عيني والده .. الذى لا يجرؤ حتى على البكاء!..

وهكذا سلطت المحرضات على اعصاب الغوغاء والشباب الذى لا يملك اي وعي لتحليل الانباء ، فاستثيرت الغرائز وانطلقت الاحقاد ، وتفجرت براكين الكراهية والنقمة ، فاذا الأخ عدو اخيه ، والابن خصم ابيه ، واذا العمال والطلاب نار متأججة تتأهب لالتهام الاخضر واليابس .. ومن وراء ذلك كله كانت (القوة الخفية) التى خططت لكل شيء ، فما ان بلغ التوتر الاجتماعي حدود الانفجار المنشود حتى دفعت بجنودها المعبئين الى الحكم باسم (الجماهير) ... وبوصول هؤلاء الى منصة السلطة احكم الحصار على (الحقيقة) فلم تعد قادرة على التنفس الا فى اضيق نطاق ، وقبضت القوة الخفية على وسائل الاعلام كلها ، فلم تعد تسمح للكلمة بالخلوص الى اسماع الناس ، الا ضمن الحدود التى تؤمن لها استمرار السيطرة حتى على العقول والضمائر ..

وجاءت الخطوة التالية فى قرارات (الاصلاح الزراعي) الذى سلب المجتمع المكبل كل قدرة على التحرك ، لانه قصد الى تجميع الثروة الزراعية كلها – وهي قوام الحياة – فى قبضة العصبة الحاكمة ، التى بهذا التجميع تضمن بقاءها الى الابد ، وتحقق تحويل المجتمع باسره الى رقيق لا يملكون الا قدرة الخضوع للعنصر المتسلط !.

وكانت الحبكة محكمة ومغرية ، اذ صدرت قرارات الاصلاح الزراعي فى موكب من ضجيج الدعاية، يزرع فى اخلاد العمال والفلاحين انها لا تستهدف سوى انقاذهم وانصافهم من الطبقة المستغلة التى سلبتهم انسانيتهم وكرامتهم ، وجعلت منهم كمية من المهملات المهينة !..

ولتوكيد هذا الابهام حصرت الملكية الزراعية ضمن حدود معدودة من الدونمات لكل فرد ، واعتبرت كل ما زاد عنها ملكا للدولة ترده على عمال الارض ليكون حقا لهم متوارثا ، ولم تنس أن ترضي ضمير العدالة فأثبتت للمالك حق اختيار الجزء الذي يؤثره من ملكه المسلوب فى نطاق الحدود المقررة ، ثم اعلنت أنها ستعوض أصحاب الاملاك المصادرة بثمنها المناسب مقسطا على سنوات ..

ولكن السلطة صاحبة هذه المقررات لم تلبث ان اتخذت من التدابير ما ابطل كل الحقوق التى تضمنتها ، وباشرت ذلك فى جانب الملاك الاولين ، فلم تمكنهم من الحصول على اي قسط موعود ، وحرمتهم حق اختيار الجزء المناسب من اراضيهم ، وبخاصة الاقسام المحتوية على بيوتهم ، التي لم تشملها احكام المقررات !. ولكي تضمن تنفيذ مخططها الصارم انتدبت له أشد القوم تعصبا لاهدافها ، واجراهم على الكيد للذين لا يؤمنون بها .. فجعل هؤلاء اكبر همهم تحريض الفلاحين على المالكين ، ولم يتورع بعضهم ان يوعز للفلاحين باقتناء الاسلحة ، واستعمالها بوجوه اولئك عند الحاجة !..

ووجد هذا التحريض استجابة لدى الكثير من عمال الارض ، فأيقظوا غرائزهم وانأموا ضمائرهم.. وقد حسبوا انهم بذلك يضمنون استبقاء هذه الملكية الموهوبة الى الابد .. ثم لم يفطنوا الى الحقيقة الا بعد فوات الأوان حين وجدوا انفسهم اجراء لطبقة جديدة من الملاك ، فرضت نفسها بقوة السلاح على كل شيء ثم لم تسمح للرحمة أن تعرف الى قلبها سبيلا .

—) ◆ (—

وسرت انباء الصراع الجديد بين الفلاحين وملاكيهم الى كل مكان ، واحتلت المرتبة الاولى بين مشاكل الناس ... وتجاوزت هذه الانباء حدود كل التوقعات ، حتى بات الكثير منها موضع الريب والاتهام بالتخيل أو التزيد .. وامتلأت ردهات محاكم الاصلاح الزراعي بالشاكين من اصحاب الارضين .. وكان على هؤلاء ان ينتظروا الساعات ، بل الايام ، حتى يسمح لهم بايصال شكاواهم الى المسئولين .. على حين لا يحتاج فلاحوهم الى اي انتظار ، لان الابواب مفتوحة لاستقبالهم فى كل مناسبة !..

وكان ظاهرا من هذه الاوضاع ان وراءها تدبيرا متعمدا يقصد به اذلال الملاك وايئاسهم من كل حماية ، بل من كل حق تضمنته تلك القرارات.. فلم يبق عليهم ، والحالة هذه الا احد أمرين : اما الخضوع لواقع المر يتجرعونه دون كلام .. ويقبلون بكل نتائجه من الفقر والتشرد ، وتعريض ابنائهم لاسوأ ضروب الحرمان .. واما مجابهة الشر بالشر ، وهو بالنسبة اليهم احد المستحيلات او ابعد الممكنات .

وكان الحاج عزة — حتى تلك الايام — غير قادر على تصديق ما يسمع من اخبار ذلك الصراع ، أو على الاقل غير متوقع أن يتعرض لمثله ابدا .. ذلك لان مرابعيه — او شركاءه على حد تعبيره — من طراز آخر غير هؤلاء الذين سهل انقيادهم لدعاة الشقاق .. انهم عدة من الاسر نشأت فى كنفهم كانها بعض اهليهم ، فهي تتولى حراثة حقولهم واستثمارها بتفويض كامل ، فاذا جاء موسم الجني والحصاد قامت هي بتقسيم المحصول فأخذت حقها وآتتهم حقهم دون أي اعتراض أو شبهة .. هذا علاوة على ما تنعم به من استثناءات لا حساب عليها ولا رقابة .. وفضلا عن العطاءات التى ينالها صغارها وكبارها من اصحابهم فى مختلف المواسم والمناسبات .. حتى بات واضحا ان الحظ الاوفر من خيرات هذه الأرضين انما هي من حظ هؤلاء المرابعين دون المالكين ..

افيصح فى عقل ان ينقلب فلاحو الحاج عزة هؤلاء بعد المودة والوفاء الى اعداء الداء ، يستمتعون بايذاء أصحابهم واهانتهم كما يفعل اولئك الفلاحون فى اراضي الآخرين ؟ ..! لا .. لا .. ان هذا الانقلاب الخلقي اذا أمكن حدوثه فى كل مكان ، فلا سبيل له هنا .. ان الفة عشرات السنين ، وما قامت عليه من ثقة متبادلة ، ورعاية مشهودة معدودة لا يليق ان تنسفها فى لحظات دسائس المفسدين ، الدساسين ..

ولم يجد الحاج عزة ضرورة للاسراع بقطع زيارته لاهل زوجه فى طرابلس ، على كثرة ما يسمع من اخبار تلك الفتن المشبوبة فى بلده ، فمكث حتى استردت زوجه صحتها ، ومن ثم عاد الى اللاذقية ليواجه بعينيه ما سبق الى اذنيه . وسرعان ما الم بالواقع المزعج ، فأيقن ان الاخبار التى شد ما كذبها او تردد فى تصديقها .. هي دون ما يعانيه الناس فى

هذه المحافظة المنكوبة .. ومع ذلك فقد ظلت ثقتـه بعماله فوق مستوى الريب ، الا انه بدا يحس باعثا خفيا يستعجله لزيارة بعض حقوله ، ليتحقق من ان كل شيء لا يزال كما عهده .

واشرفت السيارة بالحاج عزة على تخوم بستانه المفضل .. ومضى لتوه الى داخله وهو يوزع بصره على جانبي الطريق الممتد الى بيوت مرابعيه ، فيرى الى اعشاب الفستق السوداني وقد تراكمت هنا وهناك بعد ان اخليت من حبوبها ، فتوقع ان يكـون موسمه صالحا يساعده على تسديد بعض الديـون التي تكبدها في هذه السفرة .. ووقع في مسمـع الحاج عزة صوت يعرفه وهو يصيح « الى اين ؟.. اخرج .. اخرج .. » واستمر الحاج في سيره وهو يقول : « الله يعطيك العافيـة يا ابا حسـون .. » وجاءه الرد في عنف اكثر « لا عافاك الله ! .. اخرج.. اخرج .. » ولكن ذلك لم يغير قلب الحاج ، اذ توقع ان صاحبه لم يعرفه ، لانه لم يتوقع قدومه ، فأجابه وهو يضحك : الم تعرفني ؟! وراى ان يزيده ايضاحا فقال : « انا شريكك .. انا ابو محمد ..

وكان الرجل قد ترك عمله ، واقبل باتجاه الحاج حتى اتضح لكل منهما وجه صاحبه ، ثم رد قائلا : « شريكي ؟ .. كان ذلك قبل (الاصلاح الزراعي) اما اليوم ... »

وهنا بوغت الحاج بالحقيقة .. فصاحبـه لم يكن يجهله اذن .. غير انه تغيـر عليه فلم يعد هو الذي يعرفه من قبل !.

وراى من الحكمة الا يستسلم الى انفعالاته .. فضغط اعصابه ، وبذل كل ما يستطيع لضبط لهجته ثم قال : « ولو .. يا ابا حسون .. ان علاقتنا اكبر من الارض .. واغلى من المال .. »

ووقف العامل على مبعدة امتار من الحاج .. وجعل يصرخ ويهز بوجهه مجرفته : « لا اعرفك .. ولا علاقة لك بنا .. اخرج .. قلت لك اخرج .. والا حطمت راسك !.. »

وعز على الحاج عـــزة ان يغامر بالباقية من كرامته ، فاستدار يجر رجليه الى الطريـق وهـو يقول : (لا حول ولا قوة الا بالله !...)

وكانت الصدمة اثقل من أن يتحملها رجل مثله ينوء تحت اعباء السبعين ، فما كادت السيارة تصير به الى بيته حتى عجزت رجلاه عن احتمال جسده ، فاذا هو يهوي .. ثم يأتي الاطباء ليقرروا ان الحاج عزة وافاه الأجل بانفجار الدماغ !..

المدينة المنورة ــ محمد المجذوب





المغــــرب :

* طلب الهلال الاحمر المغربي من اللجنة الدولية للصليب الاحمر 25 الف كتيب مدرسي باللغة العربية وعنوانه « الهلال الاحمر وبلادي » .

وقد انجز هذا الكتيب بتعاون بين الصليب الاحمر اللبناني والهلال الاحمر الاردني ومخصص لتلاميذ المدارس الابتدائية ويحتوي على المبادىء الاولية للعطف الانساني والتعاون والمساعدة بين كل انسان .

وكانت اللجنة الدولية للصليب الاحمر قد اشرفت على نشر كتيب مماثل عنوانه « الصليب الاحمر وبلادي » صدر ب 14 لغة وزعت منه مليون نسخة فى 45 دولة افريقية وامريكا اللاتينية وآسيا.

* نظم بمسجد الشهداء بسلا ، مهرجان ديني كبير حضره عدد من علماء المدوتين وقد القى العلامة الجليل السيد مصطفى النجار الدرس الختامي من سلسلة دروس الثقافة الدينية التى سبق أن أخبرنا عنها فى ابانها وتحدثنا عن نتائجها التى ظهرت فى هذا المهرجان من خلال ما حصل عليه الطلاب من نتائج واننا اذ نبتهج لهذه النتائج نسجل بارتياح تلكم البشرى التى وردت فى خطاب السيد احمد الجريري ناظر سلا الذي زف الى المواطنين والمهتمين بالدراسات الدينية بشرى قرب افتتاح المركز الثقافي الاسلامي بجوار المسجد الاعظم بسلا . هذا المركز الذى سيتيح لذوي المعرفة تنمية معارفهم وللمولعين بالبحث تقوية مداركهم كما سيكون لكل طالب للعلم منهلا وذلك بما ستضم خزانته من كتب ومصادر ، وماسيلقى بين جنباته من محاضرات وندوات وما يعقد من مسامرات ، كما بشر بموافقة الوزارة على اقامة حلقات لسرد صحيح البخاري بالمسجد الاعظم طيلة ثلاثة أشهر من السنة ، ومن اهم ما جاء فى هذا الخطاب انه سيشرع فى بناء دار للطلبة الافاقيين لايوائهم مدة دراستهم بالمركز الاسلامي .

* القى السيد « جان بريني » محافظ الخزانة الوطنية الفرنسية يوم الثلاثاء فى قاعة المحاضرات بادارة الشؤون الثقافية محاضرة فى موضوع « 4.000 مجلة وصحيفة تصل يوميا الى الخزانة الوطنية الفرنسية ولماذا » .

* نظمت رابطة علماء المغرب اكتتابا للمجاهدين الفلسطينيين بين اعضائها وانصارهم وهذه هي القائمة الاولى :

عبد الرحمن الدكالي 1000 درهم ، عبد الله كنون 1000 درهم ، محمد الطنجي 1000 ، عبد السلام الامراني 200 ، التهامي الوزاني 100 ، محمد الحنفي 50 الحسين وحجاج 500 ، الحاج محمد اصبان 150 ، سعيد العلوي 100 ، محمد عبد الرفيع البصري 500 ، الحسن الزهراوي 100 ، عباس الدباغ 100 ، لسان الدين عبد السلام 100، أحمد العدوي 50، مفضال محمد السرغيني 100 ، الحاج محمد المذكوري 100 ، محمد الشاتي 100 ، الحاج عبد الحق بناني 250 ، محمد السباعي وشركاه 1000 ، ناصر الفازي 200 ، محمد العبدلاوي 100 ، محمد الهسكوري 100 ، عبد الرحمان الكتاني 100 ، عقيلة قاضي سلا 100 ، محمد صدقي السرغيني 50، المجموع 7.150 درهم .

* ضمن الموسم الثقافي لجمعية اساتذة التاريخ والجغرافية بتطوان القى الدكتور عبد الله العروي محاضرة فى موضوع (مؤرخو المغرب فى القرن التاسع عشر) وذلك فى يوم الاحد 9 ابريل فى الساعة 11 صباحا بقاعة نادي الاتحاد بتطوان .

اكد السيد ارمان لوكي محافظ آثار مدينة وليلي التاريخية فى دراسة نشرتها له جمعية تاريخ المغرب ان مدينة وليلي لم تحطم فى سنة 1755 من جراء الزلزال الذى كان المغرب قد تعرض له .

وقال ان اكتشاف كتابة منقوشة على الوجه الاعلى لقاعدة عمود وليلي يبن ان التخريب النهائي لهذه المدينة لم يحدث كما هو شائع من جراء هزة لشبونة الارضية المؤرخة فى سنة 1755 م .

والواقع ـ يقول محافظ آثار مدينة وليلي ـ ان هذا التحطيم قد تم تدريجيا وسببته يد الانسان وزلازل عديدة طيلة الفترة التى ابتدات بتخلي الرومان عن وليلي اي فى أواخر القرن الثالث للميلاد وانتهت فى اواسط القرن الثامن عشر .

❊ سيحضر المغرب المهرجان السينمائي بكان الذى سيفتتح يوم الاحد سابع ماي القادم وسيقدم المغرب شريط « رع الثاني » من اخراج نور الدين غونجار .

وقد انجز الشريط اثناء رحلة القارب رع الثاني من ميناء آسفي فى رحلته عبر الاطلسي .

هذه اهم منشورات ودراسات وابحاث المركز الجامعي للبحث العلمي الذى ساهم فى توزيعها وترويجها خلال سنة 1970 وسنة 1971

❊ « ابحاث دينامية الحرارة النسبية » اطروحة دكتوراة الدولة ناقشها بباريس عبد الملك جسوس مدير المدرسة العليا للاساتذة واستاذ بكلية العلوم بالرباط

« طرق تأويل التركيبات الجيولوجية السطحية والتغيرات التكتونية باستعمال الصور الجوية » رسالة دبلوم المهندسين فى الجيوديزيا ناقشها بمعهد موسكو للمهندسين فى الجيوديزيا والصور الجوية وتكوين الخرائط المهدي عالم ملحق بمصلحة فيزياء الكرة الارضية بكلية العلوم بالرباط ، وستكون هذه الرسالة العدد الاول من سلسلة جديدة انشاها المركز الجامعي للبحث العلمي سنة 1971 وتحمل اسم « كراسات المركز الجامعي للبحث العلمي » .

« النشرة البيانية رقم 3 خاصة بأطروحات ورسائل ومنوجرافيا جامعة محمد الخامس .

❊ وفى سنة 1971 ـ 1972 ينشر المركز ويوزع او يساهم فى نشر « الرواية المغربية » اطروحة دكتوراه السلك الثالث ناقشها بباريس عبد الكبير الخطيبي استاذ بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط وترجمها الى العربية محمد برادة استاذ مساعد بكلية الآداب بفاس . وستكون هذه الاطروحة العدد الثاني من كراسات المركز الجامعي للبحث العلمي .

« صورة المغرب الاداب الفرنسي من لوتي الى مونترلان » اطروحة دكتوراة السلك الثالث ناقشها بباريس نانتير عبد الجليل الحجمري استاذ محاضر ورئيس قسم اللغة والادب الفرنسي بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط .

« نشرة بيانية رقم 4 وهي بداية سلسلة من النشرات مخصصة لتاريخ المغرب من سنة 1954 ـ 1962 وهي فترة لا يوجد حولها حاليا بيبليوغرافيا تاريخية .

❊ وهناك مؤلفات ودوريات فى طور الاعداد . والى جانب ذلك يساهم المركز الجامعي للبحث العلمي فى نشر مالي ..

« نشرة جمعية التاريخ » تصدرها جمعية تاريخ المغرب

« النشرة الاقتصادية والاجتماعية » تصدرها جمعية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والاحصائية.

مجلة جغرافية المغرب تصدرها جمعية جغرافية المغرب .

« مجلات لجمعية العلوم الطبيعية والفيزيائية بالمغرب » ويساهم المركز فى مجلات ونشرات لجمعيات علمية وطنية اخرى .

❊ شهدت مدينة تطوان ، موسما تربويا ثقافيا اجتماعيا هاما وحافلا فى لقاء دراسي لنخبة من الشخصيات العلمية بالمغرب .

قام بتنظيمه مجمع الشباب الاسلامي تحت اشراف عامل اقليم تطوان وباشا المدينة ، فى مناظرة استمرت يومين ، وذلك بتنسيق مع المفتشية الاقليمية للشبيبة والرياضة بتطوان عالج فيها كل من السادة : الاستاذ ادريس الكتاني ـ والاستاذ عمر بهاء الدين الاميري ـ والدكتور فكار ـ والدكتور علوش ـ والعلامة التهامي الوزاني (موضوع) «الاسلام والتطور الاجتماعي من أجل حركة اصلاحية لخلق مجتمع متكامل » .

وقد شمل برنامج الموسم حفلة استقبال اقامها الدكتور عبد الكريم علوش رئيس اللجنة التحضيرية للموسم عن المجمع . وقد تفضل بحضورها السيد عبد اللطيف الخطيب ، واقيمت بقاعة (مجمع الصناعة التقليدية) بحضور نخبة كبيرة من العلماء والمثقفين والاساتذة والشرفاء واعيان المدينة وجمهور غفير من المواطنين على اختلاف طبقاتهم الذين تتبعوا هذا الموسم باهتمام كبير .

وقد استهل الحفل بكلمة القاها رئيس المكتب الاساسي للمجمع الاستاذ الحسن بن اصبيح اشاد فيها بالمجهودات التى تبذلها السلطة المحلية لانجاح الموسم ، تناول الكلمة بعده العلامة التهامي الوزاني فرحب بالحاضرين من العلماء الذين شاركوا فى هذا الموسم وبارك خطوات المجمع فى خدمة الجيل والامة، واعطى تفسيرا قيما لما يوليه جلالة الملك المعظم الحسن الثاني لمثل هذه الجلسات من اهمية فى تبسيط الاسلام على حقائقه الاصيلة حفاظا على الكيان الروحي لشعبنا المغربي .

وبعد ذلك اعلن رئيس لجنة التسيير الدكتور علوش افتتاح المناظرة فاعطى الكلمة للاستاذ بهاء الدين الذى شرح فكرة الاسلام وفعاليتها فى تطور المجتمعات . ثم اعطيت الكلمة بعده للاستاذ ادريس الكتاني الذى حلل وضعية المجتمع الاسلامي ومقومات التطور الذى يتحتم عليه مواكبتها للحفاظ على وجوده الدولي . ثم اخذ الكلمة بعده الدكتور فكار حيث اعطى للتطور عمقا فى البحث على أضواء الاسلام ،، ومرت العروض بين المتناظرين فى حماس وافق علمي رفيع تتبعه العلماء الحاضرون والمثقفون باهتمام بالغ وبغاية الاعجاب . واستمرت العروض ساعتين ونصف ختم فيها الشوط الاول بتقديم البطاقات الشرفية التى خصصها مجمع الشباب الاسلامي تقديرا للمساهمين فى انجاح الموسم وقد قدمها سعادة العامل بنفسه الى جناب نائب مدير الاذاعة والتلفزة ورؤساء المصالح ورواد الدعوة الاسلامية والروح العقائدية بتطوان .

❊ صدر مؤخرا كتاب جديد يحمل عنوان : نظرية بطلان العقود وابطالها فى قانون الالتزامات والعقود ، للدكتور شكري احمد السباعي الاستاذ بكلية الحقوق فى الرباط .

ويشتمل هذا الكتاب الذى قامت بطبعه مؤسسة الطبع : بورقراق ، بالرباط على 520 صفحة وهو تفسير للقانون المدني المغربي الذى يشكل قانون الالتزامات والعقود والمحتوى على 1250 فصلا والصادر فى 1013 يشكل عنصره الاساسي .

ويقول المؤلف فى كتابه ان نظرية بطلان العقود وابطالها فى قانون الالتزامات والعقود تحتاج الى بعض التعديلات والتدقيق وامامنا عدة اختيارات ونرى ان احسنها واقومها هي الشريعة الاسلامية .

❊ عادت الدكتورة عائشة عبد الرحمن الى المغرب لتواصل القاء محاضراتها بعد عطلة الربيع التى قضتها فى مصر والعربية السعودية ، وكانت قد سافرت لاداء فريضة الحج .

❊ اعلنت منظمة اليونسكو كما هو معلوم سنة 1972 كعام دولي للكتاب علما بأن الكتاب يعتبر اداة اساسية للتفاهم الدولي والتعاون السلمي ، وتعد المصالح المختصة بوزارة الثقافة المغربية برنامجا حافلا تساهم به فى الاحتفال بالكتاب .

❊ اصدر الاستاذ محمد الفاسي مجموعة شعرية باللهجة الدارجة تحت عنوان : « رباعيات نساء فاس » التى تسمى العروبيات ايضا . وجاء فى مقدمة الاستاذ : « وهذه العروبيات تدور كلها حول عاطفة الحب ، وهي تعبر بكيفية عفوية صادقة عن الاحاسيس العميقة التى تختلج فى افئدة العاشقين ، مما يضفي عليها حلة من الرقة والجمال ويعطيها طابعا خاصا لم ار له مثيلا فى الآداب العالمية الا ما كان من اغاني الغانيات اليابانيات المعروفات بالكيشات . والغريب ان هذين النوعين الشعريين : العروبيات ، واغاني الكيشات هما النوعان الوحيدان فى الآداب العالمية اللذان تنظمهما النساء خاصة ويدور موضوعهما حول الحب . »

كذلك وضع الاستاذ الفاسي مصطلحات لرسم ونطق بعض الالفاظ الدارجة ... وقد صدرت المجموعة عن المطبعة الثقافية والجامعية بفاس .

❊ ناقش الاستاذ عبد الهادي التازي اطروحته عن جامعة القرويين امام لجنة من اساتذة جامعة الاسكندرية تحت اشراف الدكتور احمد مختار عبادي . وحصل بحثه المستفيض الذى نشره فى بضعة اجزاء على الدكتوراه بدرجة الشرف ... ونحن نهني الدكتور عبد الهادي التازي الذى يساهم

بكفاءة فى التعريف بحضارة المغرب واستكشاف مكامنها .

ويضم الكتاب ثلاثة أبواب يتفرع كل منها الى فصول . والباب الاول حول تاريخ الجامع ايام الادارسة والزناتيين والمرابطين والموحدين ، والثاني يتعرض لتاريخ هذه المؤسسة العلمية الدينية فى عهد بني مرين وبني وطاس والسعديين ، واخيرا القرويين فى عهد الدولة العلوية .

وجاء فى الفصل الاول أن المؤلف عثر فى الجامع على لوحة (او لوح على الاصح) تحمل اسم الامام داودين ادريس وتاريخ 263 .. ونرجو ان تتاح الفرصة للمتخصصين حتى يحققوا هذه النقطة .

ان كتاب الدكتور التازي موسوعة قيمة تعرف بالجهود الكبيرة التى بذلها علماء القرويين فى نشر المعرفة داخل المغرب وخارجه والى ذلك فهو دراسة معمارية مستفيضة تشمل مختلف اجزاء الجامع عبر العصور ، وعرض لمختلف الترتيبات الادارية التى كانت تنظم سير الدراسة بالجامعة ... ولا شك ان ماضي القرويين متعدد الجوانب فعلماؤها الذين ينتمون الى جهات كثيرة من المغرب وخارجه كانت لهم جولات فى الميدان السياسي وكانت فتاويهم وردودهم على نظرائهم وخصومهم ومراسليهم على اختلاف حيثياتهم تدل على مدى نفوذهم فى الحياة العامة ... ولذلك قدم لنا المؤلف ترجمة عدد واف منهم .. والى انتوصل بمجموع اجزاء هذه الموسوعة نجدد تهنئتنا للاخ عبد الهادي التازي لا بحصوله على الدكتوراه فحسب بل بحسن اختياره لموضوع جذاب عميق المباحث كذلك . وتقوم دار الكتاب اللبناني ببيروت بطبع هذا الكتاب فى خمسة اجـزاء .

❋ « دفاع عن فن القول » كتاب أدبي جديد للاستاذ عبد الكريم غلاب يتصدى فيه لحماية الادب ومنتجيه ، وهو من اقدر المدافعين فى هذا الميدان الذى كرس له الكثير من وقته ، لاسيما وان الاتجاه المادي فى اكتساب المعارف يطغى فى اوساط الشباب والطلبة على حساب « توجيه الشباب الى الادب وتنمية حاسة الجمال بينهم » كما جاء فيتقديم موجز للكتاب فى « العلم الاسبوعي »

❋ الاستاذ عبد الله الجراري يواصل نشاطه الثقافي باصدار الجزء الثاني من معجمه : « من اعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا » الذى ظهر مؤخرا فى 470 صفحة .. وقد اقتضى اعداد هذا المعجم من مؤلفه صبرا وبحثا ومراسلات واتصالات . امد الله فى عمر المؤلف وبارك فى همتـه .

❋ مجموعة من الدراسات الاجتماعية عن المغرب نشرها مغاربة وأجانب فيما بين 66 — 1970 بالفرنسية فى النشرة الاقتصادية والاجتماعية المغربية أعيد نشرها فى كتاب قدم له الدكتور عبد الكبير الخطيبي وقد صدر الكتاب برعاية جمعية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية والاحصائية .

❋ ساهم المغرب فى المهرجان الثاني بالمربد الذى اشترك فيه جمع كبير من الادباء والشعراء ، ضمنهم وفد المغرب الذى يضم السادة عبد الكريم غلاب رئيسا وعبد الحميد عواد واحمد المجاطي وعبد الجبار السحيمي وعبد الحق فاضل ومالكة العاصمي أعضاء

❋ لوحات من الشعر الفلسطيني تم تقديمها بنجاح فائق فى قاعة مديرية الشؤون الثقافية بالمغرب باخراج فريد بن امبارك ومساهمة فرقة المسرح التابعة للمعهد الوطني للموسيقى والرقص والفن المسرحي حيث اشتركت الحركات التعبيرية التى قام بها تلامذة المعهد مع التقديم الذى كان جيدا .

❋ المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى العالم العربي يتولى التعريف بالشخصيات التى تساهم بدراساتها فى مجلة اللسان العربي التى تعد من أهم ما ينشر عن اللغة العربية وأسرارها .

❋ يتولى المكتب الدائم لتنسيق التعريب تنظيم مباراة اوضع معجم حول الدراسات القرآنية والحديثية المطبوع منها والمخطوط على ان لا تقل الدراسة عن 150 صفحة وتقبل الابحاث من فاتح فبراير 72 الى آخر يناير 1973 .

❋ ينظم المركز المغربي للابحاث المسرحية التابع لوزارة الشبيبة والرياضة مسابقة لاختيار مسرحيات مؤلفة او مقتبسة بالعربية الفصحى او الدارجة على شرط ان لا تكون قد مثلت من قبل عن طريق الاذاعة

او التلفزة او السينما وان تكون محفوظة ومسجلة فى المكتب المغربي لحقوق التاليف وان لا يقل عرضها عن 90 دقيقة ولا يزيد عن 100 د. ويبعث بثلاث نسخ من المطبوع او المخطوط الى المركز المغربي للابحاث المسرحية قبل 30 ابريل 1972 .

* تشجيعا لحركة النشر قرر المكتب المركزي لاتحاد كتاب المغرب ان يشتري كمية من الكتب المغربية التى صدرت حديثا وهي :

1) الغربة ، رواية لعبد الله العروي

2) الهواء الجديد ، مجموعة قصصية لمحمد زنيبــر .

3) معالم على الطريــق ، ديوان لعبد الكريم الطبــال .

4) من وحي التراث ، دراسة لعباس الجراري.

* تقوم وزارة التربية الاسبانية ببناء معهدين اسبانيين بالمغرب احدهما المعهد البوليتقني بطنجة ، والثاني مؤسسة للتعليم الثانوي بالدار البيضاء ، يمكن ان تستقبل اربعمائة تلميذ .

* اصبحت أمواج الاذاعة الوطنية المغربية تبث برامجها لمدة 22 ساعة متواصلة فى اليوم ، وقد أعدت الترتيبات لمواجهة الموسم الجديد ببرامج اضافية ومتنوعة .

* تحت اشراف المصالح الثقافية بوزارة الثقافة والتعليم العالي والثانوي والتقني تقوم النيابات الاقليمية التابعة لهذه الوزارة بنشاط محلي متنوع فى الميدان الثقافي يشتمل القاء المحاضرات وتنظيم المهرجانات والمعارض وتمثيل مسرحيات وغير ذلك .

* فى نطاق الاحتفال بالسنة الدولية للكتاب تنظم اللجنة الوطنية لليونسكو بالمغرب معرضا للفنون الافريقية ، واللوحات المعروضة تمثل الفن الافريقي الاصيل .

* ستخصص مجلة « الغرب الاسلامي والبحر المتوسط » التى تصدرها جامعة ايكس آن بروفانس بفرنسا عددا خاصا للاحتفال بذكرى مؤسسها الفقيد لوتورنو ، وسيساهم فى هذا العدد بعض اصدقاء لوتورنو وتلاميذه ، ومنهم بالمشرب ، الاخ الدكتور الاستاذ ابراهيم حركات الذى يهيىء بحثا خاصا عن الحكومة السعدية ..

* فى نطاق تهيي مشاركة الشبيبة المغربية فى المهرجان الاول للشباب العربي الذى سينعقد بالجزائر ابتداء من 5 يوليوز 1972

تنظم وزارة الشغل والشؤون الاجتماعية والشبيبة والرياضة ووزارة الثقافة والتعليم العالي والثانوي والاصلي وتكوين الاطر مسابقة فى الانتاج الشعري لاختيار ثلاث قصائد شعرية تقدم باسم الشبيبة المغربية فى المهرجان .

هذا وسيحظى الفائزون فى هذه المسابقة من المشاركة فى المهرجان ضمن الوفد المغربي .

اما شروط المساهمة فهي تتلخص فيما يلي :

ــ لا يتعدى سن المشارك 25 سنة ولا يقل عن 15 سنة

ــ ان يبعث الانتاج الىمصلحة الشباب بقطاع الشبيبة والرياضة والشؤون الاجتماعية 309 شارع محمد الخامس بالرباط .

* كما تنظم فى هذا الاطار مسابقة بين الرسامين الناشئين المغاربة

وسيحظى الفائزون الخمسة من المشاركة فى المهرجان ضمن الوفد المغربي .

هذا وعلى الراغبين مراعاة الشروط التالية :

ان لا يتعدى سن المشارك او المشاركة 25 سنة وان لا يقل عن 15 سنة .

ــ اختيار الموضوع حر

ــ ان يكون الرسم على لوحات من صنف 50 × 60 سم .

ــ ان يبعث بانتاج الرسامين الناشئين الى مصلحة الشباب بقطاع الشبيبة والرياضة والشغل والشؤون الاجتماعية قبل 15 ماي 1972 .

* مسابقة لاختيار احسن نتاج مسرحي قصير، سيقدم باسم المغرب فى المهرجان المذكور .

هذا وسيحظى الفائز بحضور هذا المهرجان ضمن اعضاء الوفد المغربي .

شروط المسابقة :

ــ ان يكون سن المشارك او المشاركة يتراوح ما بين 15 و 25 سنة .

ــ ان تكون مدة عرض المسرحية ما بين ساعة وساعتين

ــ ان تبعث المسرحية ، مكتوبة الى مصلحة الشبيبة ، بقطاع الشبيبة والرياضة والشؤون الاجتماعية 509 ــ شارع محمد الخامس ، الرباط قبل 5 ماي 1972 .

* تضمن العدد الاخير من النشرة الصادرة عن جمعية خريجي المدرسة الوطنية للادارة العمومية المغربية مقالا حول نمو العلاقات الاقتصادية بين بلدان المغرب .

وجاء في هذا المقال ان العلاقات الاقتصادية الثنائية بين البلدان المعنية يجب ان تشكل اساسا للاندماج الاقتصادي في المنطقة دون التأثير على الانظمة الاقتصادية لكل جانب حتى يتسنى توسيع مجال المبادلات الاقتصادية التي يمكن ان تشكل حجر الزاوية لتشييد صرح اقتصاد المغرب العربي .

* بناء على تعليمات جلالة الملك، وتخليدا لذكرى المولد النبوي الشريف نظمت وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية حفلات دينية في المساجد الكبرى لمدينة مكناس وذلك ابتداء من فاتح ربيع النبوي الى فجر يوم عيد المولد النبوي الشريف تلقى خلالها دروس في السيرة وامداح نبوية ، ويختتم خلالها ايضا سلك من القرآن الكريم ، وذلك بين العشاءين في مختلف مساجد العاصمة الاسماعيلية .

والقى المحاضرات في هذه المواضيع السادة :

ــ الاستاذ البوعمامي في مسجد حمرية
ــ الاستاذ مولاي هاشم في مسجد الازهر
ــ الاستاذ العريشي في المسجد الاعظم
ــ الاستاذ ابو عبد الله الادريسي في مسجد السباتة
ــ الاستاذ عدنان عبد الواحد في مسجد بني محمد
ــ الاستاذ اليوسفي في مسجد النجارين
ــ الاستاذ احمد سفري في مسجد للا خضراء
ــ الاستاذ مولاي عبد السلام الامراني في مسجد بريمة
ــ الاستاذ عبد الرحمن المودني بمسجد الرياض
ــ الاستاذ علال الكيلاني بمسجد سيدي بابا

* تقرر ايفاد بعثة من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية الى المملكة المغربية لانتقاء وتصوير المخطوطات العربية الموجودة في المكتبات العامة والخاصة في الخزائن المغربية .

وقد تألفت هذه البعثة برئاسة المستشار الاستاذ صالح ابو رقيق مدير معهد المخطوطات والاستاذ محمد رشاد عبد المطلب السكرتير الثالث والاستاذ محمد الطناحي المحقق الثاني والسيد سامي الشاهد الموظف الفني بقسم التصوير .

ومن المنتظر ان تغادر البعثة القاهرة متوجهة الى الرباط خلال الايام القلائل القادمة وان تقضي هناك اربعة اشهر .

* ضمن الموسم الثقافي لجمعية اساتذة التاريخ والجغرافية بتطوان القى الدكتور عبد الكريم كريم استاذ التاريخ بكلية الآداب محاضرة بقاعة كلية اصول الدين وتتناول المحاضرة موضوع (احوال المغرب الاقتصادية في عهد المنصور الذهبي) .

ويوم الاحد 30 ابريل حاضر الاستاذ محمد زنيبر في موضوع (مفهوم الاصالة في ثقافتنا القومية) اما يوم الاحد 7 ماي فقد حاضر الاستاذ جرمان عياش في موضوع (مصير سبتة ومصير بليونش المقرونين طوال تاريخ المغرب) .

* بمناسبة عيد المولد النبوي القت الدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطيء) محاضرة يوم الجمعة 21 ابريل في الساعة السادسة والنصف بقاعة المحاضرات بمديرية الشؤون الثقافية تتناول موضوع (بشرى المولد في منطق التاريخ) .

* نظمت جمعية شباب النهضة الاسلامية اسبوعا خاصا بالقاضي عياض يوم 28 ابريل . وبالمناسبة فقد اهابت الجمعية بسائر الكتاب والشعراء والباحثين ان يوافوها بانتاجهم عن هذه الشخصية الاسلامية الفذة الى مقر الجمعية .

※ اقام الملحق الثقافي والصحفي بسفارة تشيكوسلوفاكيا ندوة صحفية سبقها عرض فيلم عن المنتجات الفنية والاستهلاكية في تشيكوسلوفاكيا ، واعقبتها حفلة استقبال ، وكان موضوع الندوة يتعلق بمعرض برونو الدولي للمنتجات الاستهلاكية الذى سيشارك فيه مئات العارضين من حوالي 40 دولة ويستمر من 28 ابريل الى 5 ماي 1972 ، ونشير الى ان المغرب سيشارك في هذا المعرض ممثلا بمكتب التسويق والتصدير .

※ تعاون مؤخرا خمسة بحاثين فرنسيين على تقديم اطروحة دكتوراه جماعية ، ذهبوا فيها الى ان الصحراء الافريقية الكبرى الجافة الجرداء ، كانت مكسوة بالجليد مدة خمسة ملايين سنة . وكانت مساحة تلك السهول المجمدة تبلغ 13 مليون كيلومتر مربع اما سمكها فكان يبلغ بضعة الوف من الامتار .

وقالوا ان ذلك الدرع الشبيه بظهر السلحفاة كان ممتدا من المغرب الاقصى الى مالي وموريتانيا وتشاد .

وبموجب نظرية مسلم بها اليوم في اوساط علماء طبقات الارض . وهي نظرية « انزلاق القارات » لم تكن القارة الافريقية والقارة الامريكية سوى كتلة واحدة متلاصقة ، ثم حصل الانشقاق العظيم في تلك الكتلة الجبارة فتولد المحيط الاطلسي الجنوبي

الجزائر :

※ اصدرت وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية بالجمهورية الجزائرية البلاغ التالي :

تعلن وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية ان الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامي سينعقد في الجزائر العاصمة من 4 الى 14 جمادى الثانية 1392 هـ الموافق 15 الى 25 يوليو 1972 م

وسيحضره طلاب وطالبات من جامعات الجزائر وقسنطينة ووهران وتلاميذ وتلميذات السنتين السادسة والسابعة من الثانويات — الاولى والنهائية سابقا — واي طالب مسلم حيثما كان ومن أي بلد كان .

وستدعى الى الملتقى شخصيات بارزة من الجزائر وغيرها من انحاء العالم الاسلامي وبلدان اخرى لالقاء المحاضرات والمناقشة مع الطلبة .

ونظام الملتقى هو النظام الداخلي ، ويمكن السماح بالنظام الخارجي لمن يطلبه وسيسمح لاطارات الادارة الجزائرية — بقدر الامكان — بالمشاركة في الملتقى .

هذا وتتحمل الوزارة ، في اطار الملتقى ، نفقات الاقامة والتنقل داخل التراب الوطني ، الا انه سيطلب من المشاركين اسهام رمزي قدره خمسون دينارا جزائريا .

وترسل طلبات المشاركة الى وزارة التعليم الاصلي والشؤون الدينية ، 4 نهج تيمقاد ، حيدرة ، الجزائر ، مع ذكر كلمة « الملتقى » على زاوية الغلاف.

وعلى كل مرشح ان يبعث مع طلبه شهادة دراسية وشهادة طبية .

آخر اجل لقبول طلبات المشاركة هو 2 ربيع الثاني 1392 هـ الموافق 15 مايو 1972 م .

هذا وسيكون جدول الاعمال كالآتي :

1 — العيد العاشر لاسترجاع استقلال الجزائر ودور الاسلام في كفاحنا التحريري طيلة مقاومتنا وفي مقاومة مختلف البلدان الاسلامية للعدوان والاحتلال .

2 — الذكرى الالفية لتاسيس الجزائر العاصمة ومدينتي مليانة والمدية ودور الاسلام في حضارة الامس في الجزائر وغيرها .

3 — يقظة العالم الاسلامي اليوم ونهضته غدا ودور الاسلام الفعال فيهما امام تحديات العصر ومختلف انواع الغزو .

4 — نظرة المؤرخين غير المسلمين الى الاسلام والحضارة الاسلامية وضرورة كتابة تاريخنا من جديد .

※ انتهى الاستاذ الدكتور عبد الفتاح اسماعيل شلبي استاذ الدراسات النحوية والعربية بجامعة قسنطينة (الجزائر) من تحقيق كتاب « الحروف » لعلي بن عيسى الرماني (296 — 384) وقد قدم له وعلق عليه وخرج آياته واحاديثه وحقق شواهده .

وتقوم الآن مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة (الجمهورية العربية المصرية) بطبعه .

والدكتور عبد الفتاح شلبي من اعيان علماء العربية المختصين بالدراسات النحوية وعلوم القراءات ، ومن تصانيفه الرائعة كتاب « ابو علي الفارسي » ، وسبق له ان حقق كتاب « الحجة » في عامل القراءات لابي علي الفارسي ، وكتاب « المحتسب » في القراءات الشواذ لابي جني بالاشتراك مع الاستاذ علي النجدي ناصف والدكتور عبد الحليم النجار .

تــونــس :

سافر الى تونس السيد يوسف السباعي الامين العام لاتحاد ادباء العرب لاجراء مباحثات مع المسؤولين عن اتحاد الكتاب التونسيين حول اعداد المؤتمر القادم للادباء العرب الذى سينعقد بتونس فى غضون السنة المقبلة . وصرح بان زيارته لتونس تدخل فى نطاق جدول اعمال المؤتمر التاسع للادباء العرب والمهرجان الحادي عشر للشعب حتى يتسنى اشعار اتحادات ادباء العرب في البلاد العربية لاعداد البحوث والروايات الخاصة للمؤتمر القادم .

* الاديبة التونسية السيدة ناجية ثامر اصدرت لها الشركة التونسية للتوزيع فى تونس « حكايات جدتي » فى 44 صفحة حجم كبير من لوحات ورسوم بريشة ايفون واشنكو .

* (ما يجوز للشاعر فى الضرورة) للقزاز القيرواني ، أبي عبد الله محمد بن جعفر التميمي استاذ ابن رشيق ، سيصدر قريبا بتحقيق وتقديم دكتور منجي الكعبي عن الدار التونسية للنشر فى تونس .

* وصل الى الرياض قادما من المدينة المنورة الاستاذ عبد الحق الاسود والشيخ محمد الباجي من ديوان وزارة التربية والتعليم فى القطر الشقيق « تونس » وذلك للتباحث مع المسؤولين فى وزارة المعارف لتطوير تعليم محو الامية لكبار السن ، هذا وقد قاما بزيارة لجدة ومكة المكرمة زارا خلالها بعض المدارس لمكافحة الامية واعجبا بالتطور الدراسي الملموس وفق احدث الاساليب المتبعة .

كما قاما بزيارة لوزير المعارف وبعض المسؤولين في الوزارة لهذا الغرض . وحلا ضيفين على وزارة المعارف لمدة خمسة عشر يوما .

* اعاد المؤرخ الفرنسي الكبير شارل أندري جوليان طبعة جديدة من كتابه « افريقيا الشمالية تسير » وهي طبعة مزيدة وصل فيها الى سنوات الكفاح الاخيرة من تاريخ المغرب العربي .

* الف الدكتور عبد الجليل التميمي كتابا بعنوان : « بحوث ووثائق فى التاريخ المغربي » 1816 ـ 1871 ، وهو كتاب كما قال صاحبه : « وضعناه بادىء الامر باللغة الفرنسية .. وقد قمت بترجمته الى العربية بايماني العميق بسلامة اللغة العربيةوبثراها وطواعيتها الخلاقة علىاداء ادقالنظريات التاريخية باكمل ما يكون الاداء شمولا وعمقا ووضوحا .

وسبب وضعي هذا الكتاب يرجع الى انه سيقدم كاحد الاجزاء الثلاثة للرسالة التى اعدها لنيل درجة دكتوراة الدولة من التاريخ الحديث من جامعة فرنسا ... »

* «العروض المختصر» ذلك هو الكتاب الجديد الذى اصدره الشاعر الاستاذ نور الدين صمود ، وقد صدر عقب كتابه الاول «تبسيط العروض» الذي نفذ اخيرا ..

و « العروض المختصر » هو كتاب مطابق لبرنامج العروض المقرر على تلاميذ السنة الثالثة من التعليم الثانوي .

* تم طبع ديوان الشاعر محمد الشعبوني : « وحي الضمير » وهو كما قال : « .. بعض ما عندي من قصائد استلهمتها من روح فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة ونضاله ، ابقيت بعضها للجزء الثالث الذى سيضم فيما سيضم اناشيد الفتوة والوجدان واغاني المجالس والاخوان .

* انتخب المجمع اللغوي بالقاهرة الاستاذ ابو القاسم محمد كرو عضوا مراسلا بالمجمع .

والاستاذ محمد كرو من مؤسسي جمعية « شباب ابن منظور القفصي » كما كان من مؤسس « اتحاد الكتاب التونسيين » عام 1970 ، وشارك فى مؤتمر ادباء المغرب العربي بطرابلس سنة 1969 ومؤتمر ادباء العرب الثامن بدمشق سنة 1971 ، وساهم فى نشاط جمعيات طلابية وادبية عديدة بتونس والعالم العربي .

اسس (في ميدان النشر) عدة مشاريع ومبادرات ثقافية منها : سلسلة كتب شهرية صدر منها 31 كتابا ، ومجلة « الثقافة » و « اعلام المغرب العربي » ، و « مكتبة الشابي » و « وثائق قومية » و « نجم الفن » .

ومن مبادراته في ميداني التاليف والنشر اصدار اول كتاب عن :

- الشابي عام 1952 ، وثاني كتاب عام 1954
- الشهيب احمد رضا حوحو عام 1957
- خير الدين التونسي عام 1958
- عبد الرزاق كرباكة عام 1965
- ابن هانيء المغربي الاندلسي عام 1967
- محمد الخضر حسين معد للطبع
- التيفاشي - العالم الموسوعي ، تحت الطبع.
- ابن منظور الافريقي ، تحت الطبع .

❋ « العلم » مجلة علمية شهرية جديدة صدر العدد الاول منها خلال شهر مارس 1972 وظهورها حدث له اهميته في تونس لانه لم تصدر ، حسب علمنا ، مجلة علمية بحتة منذ دخول الطباعة الى تونس .

ومدير هذه المجلة ومؤسسها هو الاستاذ الدكتور البشير التركي الذي سبق له ان نشر مقالات في مجلة « الفكر » . وفي هذا العدد الذي صدر بعد البسملة بآية قرآنية : « ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا » عدد من المقالات العلمية التي تتناول الكشف عن التراث العلمي العربي الاسلامي وتفسير الآيات القرآنية تفسيرا علميا بحتا وبسط النظريات العلمية الجديدة ونماذج من الدروس في الكيمياء والرياضيات والفيزياء . ونحن اذ نهنئ الاستاذ الدكتور البشير التركي وهيئة التحرير على هذه البادرة الطيبة ونقدر ما ينتظرهم من مجهود جبار في تذليل صعوبات كثيرة ، نتمنى للزميلة « العلم » عمرا طويلا ونجاحا مطردا .

افريقية :

دكار :

❋ تقام في داكار في الفترة من اول الى 11 مارس اذر دورة دراسية لليونسكو عن الاحصائيات المتعلقة بالثقافة والاعلام . وفي خلال هذه الدورة سيدرس الاخصائيون من الدول الافريقية الناطقة بالفرنسية اساليب جمع وتقديم وتحليل واستعمال المعطيات الخاصة بالكتب والدوريات والمكتبات والصحف والاذاعة والتليفزيون والسينما . كما ان برنامج الدورة يضم دراسات خاصة باعداد الفنيين وتحسين الخدمات الاحصائية . هذا وستقام دورة مماثلة في تاريخ لاحق باديس ابابا وستخصص للمشتركين من الدول الافريقية الناطقة بالانجليزية .

❋ تبرعت الحكومة القطرية بمبلغ 15 الف جنيه استرليني مساهمة منها في المشروعات الخيرية في اتحاد مسلمي غرب افريقيا، ومما هو جدير بالذكر ان وفدا برئاسة الشيخ ابراهيم ايناس زعيم المسلمين هناك يقوم حاليا بزيارة قطر في نطاق جولة يزور خلالها مدن الخليج .

الكاميرون :

من بين المشروعات التي وضعتها اللجنة السويسرية للعام الدولي للكتاب مشروع ارسال وفد من الخبراء لتدريب امناء مكتبات المدارس في الكاميرون .

وهناك مشروع آخر لانشاء المكتبات بالمدارس والمقاطعات وتخصيص جائزة ادبية للعام الدولي للكتاب . وطبع كتيب عن حرف الكتاب. هذا وستقوم اللجنة بالاشتراك مع جمهورية المانيا الاتحادية والنمسا بوضع دليل لقراءات الشباب سيخصص للكتب التي صدرت عن العالم الثالث .

الصومال :

انطلاقا من سياسة وزارة المعارف الرامية الى تزويد المعاهد الاسلامية بمختلف البلدان الاسلامية باكبر قدر ممكن من المقررات الدراسية الموضوعة وفق منهج التربية الاسلامي . فستقوم بتزويد معهد التضامن الاسلامي بمقديشو بالصومال بسبعمائة كتاب .

وسيتم ارسال هذه الكتب بواسطة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

❋ صدر اخيرا مؤلف يحتوي على 296 صفحة باللغتين الفرنسية والانجليزية معا، ويتضمن نتائج

الاستقصاء الذى قامت به اليونسكو فى 40 دولة افريقية . ويشتمل هذا الكتاب على «قائمة مؤسسات البحث العلمي والتقني» وكذلك على «محاولة لحصر بالهيئات والباحثين فى مختلف الفروع العلمية والتقنية» . وقد اوردت هذه القائمة اسماء ما يقرب من 722 هيئة علمية .

* وخصصت الندوة التى ستنعقد بجامعة كينشاسا (زائيري) فى منتصف شهر فبراير الماضي لمناقشة الابحاث التاريخية لوسط افريقيا اعتمادا على المصادر المروية والمكتوبة والاثرية . وتدخل هذه الدراسات فى اطار مشروع تاريخ افريقيا العام ، الذى بدأت عملية كتابته تحت اشراف اليونسكو . وستغطي هذه الدراسات مساحة جغرافية تضم الكاميرون والجابون وجمهورية افريقيا الوسطى وجمهورية الكونغو ، وتشاد ، وبوروندي ، ورواندا ، وزائيري .

هذا وعرض على الخبراء اثناء هذه الندوة المشروع الذى سهر على وضعه المكتب الدولي للابحاث فى كينشاسا بمعاونة الجامعات والمعاهد العلمية بالدول السبع الموجودة فى هذه المنطقة . وهو المشروع المتعلق بابحاث الروايات المأثورة .

تانزانيا :

* اعتقل وزير تانزاني سابق للتحقيق معه فى دار السلام وهو الشيخ عبدالرحمن باغو زعيم سابق لحزب الامة فى زنجبار ولهذا الاحتجاز علاقة باغتيال حاكم زنجبار السابق الشيخ عبيد كرومي

واكدت انباء من زنجبار انه تم اعتقال حوالي 100 عضو من حزب الامة منذ الاغتيال .

غانا :

* ناشدت البعثة الاسلامية الغانية الحكومة العسكرية فى البلاد السماح بتعليم الدين الاسلامي فى المدارس الغانية وقالت وكالة انباء غانا ان البعثة ناشدت الحكومة اعتبار عيدي الفطر والاضحى عيدين رسميين فى البلاد .

موريطانيا :

* سيوفد رئيس بعثة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية احد اعضائها الى موريتانيا فى رحلة استطلاعية لمدة شهر لحصر اماكن وجود المخطوطات العربية هناك وانتقاء وفهرسة مايتيسر انتقاؤه منها تمهيدا لتصويرها وحفظها فى مكتبة المعهد .

نيجيريا :

* يبلغ عدد المسلمين فى نيجيريا 40.320.000 نسمة ويكون ذلك 72 ٪ من عدد السكان، ورغم اوضاع نيجيريا الراهنة ورغم النشاط التبشيري والصهيوني الذى زاد حدة بعد اغتيال الزعيم الاسلامى الشهيد احمد وبللو والمؤامرة الصليبية الحاضرة ضد الاسلام فى نيجيريا ، رغم ذلك كله فان الدعوة الاسلامية تسير سيرا حسنا محققة نجاحا ملموسا فى كل مكان تصل اليه نشاطاتها وفى حالة قيام الحكومات الاسلامية بمدها بعون مادي ستحقق المزيد من النتائج .

مصر :

اجتمع فى القاهرة خلال الفترة من اول الى 6 مايو 1972 خبراء 16 دولة عربية وعدد من خبراء المنظمات الاقليمية والدولية وذلك كي يتدارسوا المشاكل التى يثيرها النهوض بصناعة الكتاب فى الدول العربية .

ويعتبر هذا الاجتماع آخر اجتماع يعقد لهذا الغرض فى سلسلة الاجتماعات الاقليمية التى تنظمها اليونسكو وكانت بدايتها فى طوكيو عام 1966 وتلتها اجتماعات اخرى باكرا فى 1968 وبيوجوتا فى عام 1969 .

وقد طلبت اليونسكو بمناسبة انعقاد مؤتمر القاهرة المذكور من ثلاثة من كبار الاخصائيين وضع تقارير عن الحالة الراهنة للكتاب فى الدول العربية. وهؤلاء الاخصائيون هم السادة : محمود الشنيطي وكيل وزارة الثقافة ورئيس الهيئة العامة للكتاب فى جمهورية مصر العربية ومحمد ابراهيم شوشى مدير المطابع الجامعية بالخرطوم بجمهورية السودان الديمقراطية والكاتب العراقي نجدة فتحي صفوت .

* اشادت الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطىء الاستاذة بجامعة عين شمس واستاذة الدراسات القرآنية بجامعة القرويين فى المغرب ، اشادت فى حديث لوكالة الانباء السعودية بدعوة الملك فيصل الى اعلان الجهاد المقدس فى سبيل الله

من‌أجل تخليص القدس والاراضي العربية المحتلة ، ونوهت بدور الاسلام فى بناء المرأة العربية المسلمة واختتمت حديثها بالاشادة بالقفزات الكثيرة التى قفزها تعليم المرأة فى السعودية وقالت انه خطا خطوات سريعة وموفقة .

✽ صدر بالقاهرة الجزء 19 من كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني بتحقيق عبد الكريم العزباوي المدير العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة . كما صدر الجزء 14 من كتاب النجوم الزاهرة لابن تغري بردى بتحقيق الدكتور جمال محرز . وكلاهما من نشر الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر .

✽ نوقشت فى كلية دار العلوم بالقاهرة رسالة الماجستير المقدمة من عبد السلام العسكري مدير مكتب المقاطعة بالكويت وموضوعها « التجارة والملاحة بالخليج العربي فى العصر العباسي » .

✽ 2700 مصطلح مسرحي انتهى زكي طليمات ومحمود تيمور وشكري راغب من ترتيبها وقدمت الى لجنة المسرح بمجلس الفنون بالقاهرة لطبعها فى قاموس .

✽ (قول على قول) لحسن الكرمي صدر الجزء الثالث منه .

✽ اصدر المعهد مجلدا جديدا جاء فى (525) صفحة متضمنا الجزء الثاني من القسم الرابع من فهارس مخطوطاته فى فن التاريخ ، وهو يتضمن التعريف بـ (869) مخطوطة . وقد حرص المعهد ان يشير الى صور المخطوطات التى زودته بها وحدة التصوير المتنقلة التابعة لليونسكو تعبيرا عن التقدير لجهود هذه المنظمة فى خدمة التراث العربي . ويجري العمل فى الاعداد لاصدار مجلد جديد لفهارس المخطوطات التى حصل عليها المعهد فى فن الادب .

✽ توفي فى القاهرة على اثر نوبة قلبية الكاتب الفلسطيني الاستاذ خيري حماد (55 سنة) الذى قدم الى المكتبة العربية 114 كتابا بين مترجم ومؤلف. ولد الفقيد فى مدينة نابلس وتخرج فى كلية القدس العربية ثم حصل على بكالوريوس العلوم السياسية من الجامعة الامريكية فى بيروت . وقد اختاره مؤتمر كتاب فلسطين عام 1969 رئيسا تقديرا له .

✽ قررت الحكومة المصرية شراء الدار التى كان‌يسكنها امير الشعراء احمد شوقي « كرمة ابن هانيء » بالشارع المسمى باسمه بالجيزة للمحافظة عليها باعتبارها من آثار التراث الادبي . وستتحول الدار الى اثر بكل ما تحويه من مخلفات الشاعر الكبير من اثاث وكتب لتصبح اول متحف ادبي فى مصر.

✽ صدرت فى القاهرة الكتب التالية : مختارات من نحو النور لمحمد زكي عبد القادر فى سلسلة اقرا. الفلسفة الرواقية للدكتور عثمان امين طبعة ثالثة نشر مكتبة الانجلو المصرية . الموسوعة الاقتصادية للدكتور راشد البراوي نشر دار النهضة العربية . العلم الجديد فى اللغة العربية للمرحلة الابتدائية 7 كتب لعادل الغضبان وفايد العمروسي وعبد الظاهر مبروك نشر دار المعارف. الاسس العلمية والتطبيقية فى ادارة الافراد والعلاقات الصناعية لاحمد حلمي نشر دار النهضة العربية . العشاق الثلاثة للدكتور زكي مبارك طبعة جديدة فى سلسلة اقرا . مشاكل الطفولة لعماد عبد الرازق . الزواج سنة 2 000 لحسن محمد . الليل ، الحب ، الموت . افكار واشعار لكامل الشناوي . مدخل فى علم النفس العام للدكتورين احمد فائق ومحمود عبد القادر . عباقرة الحضارة الاسلامية لعلي الدالي .

✽ دار الكتب بالقاهرة تنتهي فى الشهر الجاري من ترميم كل المخطوطات النادرة بها وتصويرها حتى تكون فى متناول يد الباحثين .

✽ نوقشت بكلية الآداب بجامعة القاهرة رسالة الماجستير المقدمة من السيدة وفاء سليم وموضوعها « أيوب بين النصوص الدينية والروايات الشعبية ».

✽ « تاريخ التراث العربي » للدكتور فؤاد سزكين ترجمه عن الالمانية الدكتور فهمي ابو الفضل وراجعه الدكتور محمود فهمي حجازي والكتاب يعد مرجعا هاما فى البيليوغرافيا العربية وهذا هو الجزء الاول ، وقد صدر عن الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر فى 568 صفحة .

✽ توفي الفنان الكبير زكي رستم عن 75 سنة على اثر هبوط فى القلب قضى بسببه 30 يوما فى مستشفى دار الشفاء بالقاهرة . بدا زكي رستم حياته الفنية منذ 48 عاما فى مسرح جورج ابيض فى مسرحية « عاصفة فى بيت » لانطون يزبك وكانت بدايته فى السينما باول الافلام المصرية الصامتة

« زينب » وقد اشترك الفقيد في 30 فيلما و 12 مسرحية وقضى حياته وحيدا بلا زوجة .

* توفي الدكتور احمد عبد المنعم البهي الاستاذ بكلية الشريعة والقانون بجامعة الازهر ورئيس قسم الشريعة الاسلامية بكلية الحقوق بجامعة الكويت .

* صدر عن مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية « نزهة النفوس والابدان في تواريخ الزمان » لنور الدين بن الخطيب الجوهري المتوفي سنة 900 هـ . وهو بتحقيق الدكتور حسن حبشي الاستاذ بكلية التربية بالجامعة الليبية .

* صدر في القاهرة « القوافي وما اشتقت القابها منه » لابي العباس المبرد المتوفي سنة 285 هـ وقد حققه وقدم له الدكتور رمضان عبد التواب الاستاذ المساعد بجامعة عين شمس .

* يصدر قريبا في كتاب « زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والظاء » لابي البركات بن الانباري وهو بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب الاستاذ المساعد بكلية الآداب بجامعة عين شمس ونشر دار الامانة ببيروت .

* صدر عن وزارة الثقافة بالقاهرة كتاب « مؤلفات محمد تيمور » والجزء الاول الذى صدر في 416 صفحة حجم كبير عنوانه « وميض الروح » وقد قدم له عميد القصة محمد تيمور .

* صدر للاستاذ انور الجندي بالقاهرة كتابان: « الشبهات والاخطاء الشائعة » و « اصول الثقافة العربية » . وينجز الآن كتابا قيما في موضوع : « التفكير الاسلامي للفكر البشري » .

* صدر الجزء الثاني من كتاب السيل الجرار المتدفق على حدائق الازهار للشوكاني عن المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة بتحقيق قاسم أحمد غالب وآخرين .

* تقوم الادارة الثقافية بجامعة الدول العربية بالقاهرة باتمام ترجمة كتاب تاريخ الادب العربي للمستشرق بروكلمان بعناية الدكتور رمضان عبد التواب وغيرهم ، وسبق أن ترجم منه ثلاثة اجزاء ثم توقف لوفاة مترجمه الدكتور عبد الحليم النجار .

* كتاب الحيوان لارسطو ؛ يقوم بتحقيقه في مركز تحقيق التراث بالقاهرة محمد سليم سالم وآخرون عن نسخة مكتبة المتحف البريطاني .

* صدر بالقاهرة « الالفاظ اللغوية : خصائصها وانواعها لعبد الحميد حسن ويضم الكتاب المحاضرات التى القاها المؤلف بمعهد البحوث والدراسات العربية العليا بالقاهرة .

* صدر عن دار الحلبي بالقاهرة الجزء الرابع من كتاب المحكم لابن سيده بتحقيق الاستاذ عبد الستار فراج وكان معهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية قد كلف عددا من افاضل المحققين لتحقيق اجزاء هذا الكتاب القيم .

وقد تعهدت الدار باصدار الجزء الخامس قبل نهاية هذا العام وباصدار جزئين منه كل عام حتى يتم نشره كاملا .

* قدمت بكلية الشريعة بجامعة الازهر اطروحتان لنيل الدكتوراه . الاولى بعنوان : « الولاية على النفس » تقدم بها احمد فراج حسين . والثانية بعنوان : « ذو النون المصري » لاحمد خليل .

* (جهود علماء البلاغة في القرنين : 5 و 6)

* باشرت مطبعة دار الكتب المصرية ـ قسم التراث ـ بطبع كتاب تاريخ الاسلام الكبير للامام المؤرخ احمدبن قايماز الذهبي بتحقيق الدكتور عبد الهادي شعيرة ، ومن الجدير بالذكر ان هذا الكتاب كان قد باشر بطبعه منذ 25 سنة حسام الدين القدسي ونشر منه 6 مجلدات ولم يتمه ، ويقع الكتاب في حوالي 30 مجلدا علما بان دار الكتب قد حصلت على نسخ متنوعة من بينها اجزاء بخط الحافظ الذهبي نفسه .

* تم في القاهرة طبع المجلد الثاني من كتاب دمية القصر وعصرة اهل العصر للباخرزي باعتناء الاستاذ عبد الفتاح الحلو وسيتم بثلاثة مجلدات . والجدير بالذكر ان هذا الكتاب ينشر الآن ببغداد باعتناء دكتور سامي مكي العاني الذى انجز الجزء الاول منه والذى سينهيه كذلك في ثلاثة مجلدات مع الفهارس .

* فضائل القرآن لابي عبيد القاسم بن سلام ـ يقوم بتحقيقه دكتور رمضان عبد التواب .

* في العدد الاخير من مجلة « طبيبك الخاص » المصرية نشرت خلاصة لبحث جاء فيه :

اذا واظبت على الصلاة وعشت حياة نظيفة فانت تملك الضمان الكافي للحياة سنوات طويلة باذن الله .

انها خلاصة بحث علمي اجري لاكتشاف اسرار جديدة عن مرض القلب .

ويقول البحث العلمي ان هؤلاء الناس الذين يواظبون على الصلاة بانتظام تقل عندهم نسبة الاصابة بتصلب الشرايين وامراض القلب الاخرى . وقد تم فحص حالات الوفاة بأمراض القلب . وكانت المفاجاة ان هذه الحالات تنتشر بنسبة اكبر جدا بين الاشخاص الذين لا يؤدون الصلاة بانتظام .

واستكمالا للبحث بدات الدراسات على المجموعات التى تتردد على اماكن العبادة . وجاءت النتائج لتؤكد انخفاض نسبة الاصابة بتصلب الشرايين وامراض القلب بينهم ثم تم تتبع البحث بين هؤلاء الناس وتاكد للمرة الثانية ان امراض القلب لا تكون غالبا السبب فى وفاتهم .

وكان التفسير الذى وضعه الاطباء لهذه الظاهرة هو ان حياة التدين والاقتراب من الله توفر للانسان الراحة النفسية وتحد من الاضرار العضوية التى تصيبه والنتيجة امراض اقل .. وعمر مبارك باذن الله .

* صدر مؤخرا بعض كتب التراث العربي ، نذكر منها ما يلي :

1 ـ الجزء الثاني من السيل الجرار فى اصول الفقه للامام الشوكاني المتوفى سنة 1250 هـ بتحقيق الشيخ قاسم بن غالب وزملائه ، وقام بنشره المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، وكان الجزء الاول قد صدر منذ نحو عامين .

2 ـ الفرق بين المذكر والمؤنث ، لابي البركات ابن الانباري المتوفى سنة 577 هـ بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ؛ ومن نشر مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

3 ـ الجزء الثاني من الذيل والتكملة والصلة للامام الصاغاني المتوفى سنة 650 هـ بتحقيق الاستاذ ابراهيم الابياري ، وهو من منشورات مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

4 ـ يقوم الاستاذ محمد احمد عاشور بتحقيق كتاب : ضوء الساري فى خبر تميم الداري لتقي الدين المقريزي المتوفى سنة 845 هـ ، وسوف تنشره دار النصر للطباعة والنشر بالقاهرة .

5 ـ دفع الاستاذ الشاعر الكبير محمد عبد الغني حسن الى المطبعة بكتابه الجديد « جوانب مضيئة فى الشعر العربي » وهي دراسات لعيون الشعر من الجاهلية حتى العصر الحديث ، وسوف يصدر قريبا عن مكتبة الانجلو المصرية بالقاهرة .

6 ـ ناقش الاستاذ حسن محمد شلبي ، رسالته فى الماجستير بكلية الآداب فى جامعة الاسكندرية وكان موضوعها : ظاهرة اللحن فى العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، وكانت اللجنة مشكلة برئاسة الدكتور حسن ظاظا ، وعضوية الدكتورين رمضان عبد التواب والسيد خليل ، وبعد المناقشة منحته اللجنة الماجستير بدرجة الامتياز .

* الاستاذ جميل احمد الشرادفي ، المدرس والخطيب بوزارة الاوقاف بالقاهرة وهو يعد رسالة دكتوراه موضوعها : « الحافظ ابن حجر ومنهجه فى كتاب فتح الباري فى شرح صحيح البخاري » بكلية أصول الدين بجامعة الازهر ، باشراف الدكتور محمد محمد السماحي رئيس قسم الحديث بالكلية .

* انتهى المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة من طبع الجزء الاول من كتاب « لطائف الاشارات فى علم القراءات » للامام شهاب الدين القسطلاني المتوفى سنة 923 هـ ، وهو من تحقيق فضيلة الشيخ عامر السيد عثمان ، والدكتور عبد الصبور شاهين وسوف يصدر قريبا .

* رسالة فى فضل انشاء المساجد وعمارتها ، لنور الدين ابي الارشاد علي بن زين العابدين الاجهوري ، ومن تعليق حسنين محمد مخلوف .

* الاستاذ احمد امين عمار العيد بكلية اللغة العربية بجامعة الازهر ، وهو يعد رسالة لنيل درجة الدكتوراه فى قسم النحو بالكلية ، وقد اختار كتاب « المباحث الكاملية شرح المقدمة الجزولية » لابن الموفق الاندلسي المرسي المتوفى سنة 661 هـ ، وسجل فيها موضوعه تحت اشراف الدكتور احمد كحيل الاستاذ بالكلية.

* صدرت الطبعة الثانية لكتاب : القرى لقاصد ام القرى ، لمحب الدين ابي العباس الطبري المكي الحافظ ، بتحقيق الاستاذ مصطفى السقا ، ونشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة .

* صدر من موسوعة السنة التي يصدرها مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة ، خمسة اعداد من كتاب جمع الجوامع المعروف بالجامع الكبير للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى سنة 911 هـ .

* رسالة ابن المنجم فى الموسيقى وفك رموز كتاب الاغاني : كتاب جديد من تاليف الدكتور يوسف شوقي خبير الموسيقى بوزارة الثقافة والاعلام المصرية ، تناول فيه رسالة ابن المنجم – وهي أقدم رسالة علمية فى الموسيقى العربية – بالتحقيق والشرح ، وانتهى الى ان هذه الرسالة تحتوي ضمن ما تحتوي على مفتاح رموز كتاب الاغاني للاصفهاني على مذهب اسحاق بن ابراهيم الموصلى ، والكتاب باللغتين العربية والانجليزية .

* قررت وزارة الاوقاف وشؤون الازهر بالجمهورية العربية المتحدة انشاء مكتب لنشر الدعوة الاسلامية والعمل على تيسير وسائل البحث الديني فى الدول العربية .

وسيقوم المكتب بمتابعة ودراسة الكتب المتعلقة بالاسلام التى تنشر فى الداخل والخارج والرد على ما قد تنشره من أباطيل حول الدين الحنيف بالاضافة الى نشر ابحاث ومقالات العلماء المسلمين فى البلدان الاسلامية وسيقوم مجمع البحوث الاسلامية بالازهر بمعاونة هذا المكتب انشاء مكتبة علمية تابعة له تحوي المراجع وقوائم المخطوطات الاسلامية والكتب النادرة الموجودة بالمكتبات العالمية ونشر هذه القوائم ليسهل على المحققين الرجوع اليها فى أبحاثهم .

* يقوم الدكتور محمد الفحام شيخ الازهر بزيارة للجزائر خلال شهر يوليو القادم .

سيحضر خلال زيارته اجتماعات الملتقى الثقافي السادس الذى سيعقد بمدينة الجزائر فى الفترة من 15 الى 25 يوليو القادم ، والتى يحضرها عدد من قادة الفكر الاسلامي في العالم .

وتبحث فى هذه الاجتماعات المسائل الخاصة بالفكر الاسلامي .

لبنان :

اجتمع مسلمون من كل من اليابان واندونيسيا والفلبين واتفقوا على ضرورة زيادة التعاون بين المسلمين فى مختلف اقطار العالم .

هذا وقد اشترك فى هذا الاجتماع الذى عقد فى جاكارتا عاصمة اندونيسيا كل من السادة داتو سيلابادر رئيس الجمعية الاسلامية فى الفلبين والسيد ابو بكر موريموتو رئيس الجمعية الاسلامية فى اليابان والسيد انور جوكر واميتوتو والذى قام بتنظيم هذا الاجتماع .

* اذاع تجمع القوى والجمعيات البيروتية والهيئات التقدمية المؤمنة فى لبنان نص كتاب مفتوح توجهوا به الى رئيس الجمهورية اللبنانية تناولوا فيه بالنقد مواقف وسياسة بعض الاحزاب اليسارية فى لبنان والتى تعمل على بث الفوضى ومحاربة الاديان والقيم الاخلاقية .

والتجمع المذكور يضم مجلس العلماء وجمعية المحافظة على القرآن الكريم وجمعية رابطة العروة الوثقى الاسلامية وجمعية الاصلاح الاجتماعي .

وقد اتهم الكتاب المفتوح جنبلاط وحزبه بافتعال الفتنة الطائفية عن طريق التبني الكاذب لمطالب الفئات الشعبية من عمال وارباب عمل ومثقفين وطلاب ومزارعين عن طريق المناداة الخداعة بشعارات التقدمية والحرية .

واضاف الكتاب المفتوح – حينما سعى هؤلاء الهدامون لتجميع عناصر عقائدية ملحدة ذات ارتباطات ايديولوجية دولية معروفة وسعى لترؤس هذه العناصر والتكلم باسمها واستعمالها فى اغراضه الحزبية وغاياته الشخصية مستغلا بذلك مناخ الحرية الذى يوفره له النظام اللبناني .

* بمناسبة ذكرى مرور 56 سنة على نضال الزميل موسى كريم صاحب مجلة (الشرق) التى تصدر فى سان باولو بالبرازيل باللغتين البرتغالية والعربية تالفت لجنة لتكريمه يتولى امانة السر فيها شاكر الدبس ووفاء نسيم نصر وقد تقرر اقامة مأدبة عشاء فخمة تكريما له فى بهو النادي الحمصي بسان باولو وتلقى خلال المادبة كلمات وقصائد الادباء والشعراء وستقوم اللجنة بجميع ما يقال فى الحفلة وما يردها من الخارج فى كتاب تذكاري خاص يرسل الى جميع المساهمين فيه .

* (جبران فى آثاره الكتابية) للاديبة الباحثة روز غريب الاستاذة فى كلية بيروت للبنات يعد اوفى المراجع لدراسة آثار جبران خليل جبران . الكتاب

في 312 صفحة من منشورات دار المكشوف ببيروت .

* القى الدكتور صلاح الدين المنجد مدير دار الكتاب الجديد ببيروت محاضرة بقاعةمحاضرات جامعة الملك عبد العزيز بجدة عنوانها (تراثنا الاسلامي في اوروبا وامريكا ونوادره) .

* يعكف ميشيل اديب على اعداد رسالة بعنوان (صفي الدين الحلي حياته وشعره ونثره) بغية نيل شهادة الكفاءة الجامعية من كلية الآداب بالجامعة اللبنانية .

* الاديبة والشاعرة الفلسطينية السيدة أسمى طوبي ستصدر لها دار العودة ببيروت اول مجموعة شعرية لها عنوانها (حبي الكبير) وتضم مختارات لها تدور حول القضيةالفلسطينية . وللسيدة طوبي عدة مؤلفات معروفة .

* اصدرت دار الاندلس ببيروت كتاب مذاهب علم النفس المعاصر) في 450 صفحة للدكتور علي زيعور من كلية الآداب بالجامعة اللبنانية . ويتناول الكتاب شتى مدارس علم النفس وموضوع هذا العلم ومناهجه . كما يحتوي الكتاب بعض النصوص مثل ما هي الظواهرية لميرلو بونتي والرموز الجنسية في التحليل النفساني لفرويد وغير ذلك .

* بعد 16 عاما تخلت دار العلم للملايين في بيروت العدد في عهده الجديد في فبراير الماضي يحمل هذه الاسماء : صاحب المجلة أمين اقبال ؛ المدير المسؤول جودت هاشم ؛ رئيس التحرير بلند الحيدري وسكرتيرة التحرير عالية ممدوح ؛ وقد صدر العدد في اخراج انيق وطباعة ممتازة ويضم عدة بحوث علمية وفنية وادبية وريبورتاجات . ومما يذكر ان الشاعر بلند الحيدري قد استقال من رئاسة تحرير (مواقف) لتفرغ لمجلة (العلوم)

* اصدرت وزارة الداخلية اللبنانية قرارا بالموافقة على انشاء مجمع علمي في بيروت يدعى « المجمع العربي الاسلامي » غايته العمل على احياء التراث العلمي العربي الاسلامي عن طريق التدقيق وتحقيق المخطوطات التاريخية بالتعاون مع جامعة الدول العربية والمجامع العلمية والجمعيات والهيئات المعنية في جميع دول العالم . وكذلك انشاء اكاديمية للعلوم العربية والاسلامية تدرس فيها العلوم العربية والاسلامية دراسة تطبيقية عصرية على اعلى مستوى لتخريج جيل جديد من العلماء .

* ينتظر ان يصدر قريبا كتاب « البلغة في تاريخ ائمة اللغة » للفيروزابادي المتوفى سنة 817 هـ بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب ايضا عن دار الفكر العربي ببيروت .

* اعلنت الجامعة الامريكية في بيروت عن انشاء كرسي للدراسات الاسلامية ، فيها تحت اسم «كرسي الشيخ زايد بن سلطان للدراسات الاسلامية .

وقال بيان للجامعة أن تكاليف انشاء هذا الكرسي لمدة عشر سنوات تبلغ حوالي 150.000 دولار تبرع بها الشيخ زايد بن سلطان رئيس دولة الامارات العربية ، وامير ابو ظبي .

وقال الدكتور صموئيل كيركوود ، رئيس الجامعة الامريكية في بيروت ان الهدف من انشاء هذا الكرسي ينبثق من ايمان الجامعة باهمية الدين الاسلامي في تطور الحياة الاجتماعية والروحية في الشرق الاوسط .

وذكر بيان الجامعة ان البروفسور حسين جعفري استاذ الدراسات الاسلامية ، في الجامعة الامريكية هو المرشح الاول لشغل هذا الكرسي كما ان الجامعة اعلنت موافقتها على أن يكون من يشغل هذا الكرسي استاذا من العلماء المسلمين .

وقال البيان أن الدكتور كير كوود ونائبه الدكتور جورج حكيم واحد كبار موظفي الجامعة قاموا اخيرا بزيارة ابو ظبي حيث قدموا الشكر الى الشيخ زايد على منحته واهتمامه بانشاء هذا الكرسي .

سوريـــــــا :

* (اعيان القرن الثالث عشر في الفكر والسياسة والاجتماع) تاليف الفقيد خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق صدر في بيروت عن لجنة التراث العربي في 328 صفحة حجم كبير وقد قدم له وعلق حواشيه نجل الفقيد عدنان مردم بك .

* صدر بحمص عن المكتبة الاسلامية كتاب (فضل الله الصمد في توضيح الادب المفرد للبخاري) من تاليف العلامة فضل الله الجيلاني، بمجلدين .

❊ الاستاذ عبد اللطيف الخطيب، المدرس في الجمهورية العربية السورية، وهو يعد رسالة ماجستير موضوعها « دراسة منهج الزمخشري في كتابه المفصل في النحو » وذلك في كلية الآداب بجامعة عين شمس، تحت اشراف الدكتور رمضان عبد التواب، الاستاذ المساعد بالكلية .

❊ فقدت سوريا شاعرا وناقدا هو الكاتب الدكتور زكي المحاسني عن عمر حافل يبلغ الثالثة والستين امضاه في خدمة الكلمة العربية المهمة، شعرا ونثرا .

ولد زكي المحاسني في دمشق ونشا على حب الادب العربي ودراسته .

– تابع دراسته في سوريا ومصر وفرنسا وحصل على شهادة الدكتوراه في الادب العربي .

– عرف شاعرا وناقدا .. وقد اقام له مجمع اللغة العربية عام 1930 حفل تكريم مع رفاقه الشعراء الشباب : انور العطار، عبد الكريم الكرمي، جميل سلطان، وكان الداعي لهذه الحفلة الاستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي آنذاك .

– عمل الفقيد ملحقا ثقافيا في القاهرة، كما عمل في وزارة الثقافة والتدريس، وله عدة كتب مشهورة : منها كتاب عن ابي نواس واشهر كتبه (شعر الحرب عند العرب) وهو كتاب فريد في بابه.

العـــــراق :

❊ صدر ببغداد كتاب : « الزهاوي ومواقفه الفكرية والادبية » ، لعبد الرزاق الهلالي .

❊ « موسوعة الصحافة » كتاب جديد ظهر بالعراق لفائق بطي مؤلف « اعلام الصحافة في العراق » .

❊ كتابان جديدان لم يسبق نشرهما لفقيد الادب والصحافة العراقية رفائيل بطي احدهما عن الشاعر جميل صدقي الزهاوي وقد اخذ جايل العطية على عاتقه مهمة اعداده للنشر، والثاني عن الشاعر معروف الرصافي .

❊ « الطرماح بن حكيم الطائي الشاعر الخارجي » كتاب لعزمي الصالحي صدر في بغداد وهو رسالة نال بها مؤلفها الماجستير من جامعة بغداد .

❊ القاص العراقي ذو النون أيوب نزيل فيينا في النمسا صدرت له في بيروت رواية جديدة بعنوان « وعلى الدنيا السلام » في منشورات دار العودة وتقع في 120 صفحة وهو الكتاب الـ 20 للمؤلف.

❊ كتاب فني ادبي تاريخي جديد سيصدر قريبا يتحدث فيه مؤلفه السيد عواد نعمان عن اشهر المقاهي التي كانت تتخذ محلات الغناء والعزف والطرب ومنها قهوة (عزاوي) الشهيرة التي انشات اول الامر في منطقة (الصدرية) القديمة ثم انتقلت الى منطقة (الميدان) ، كما يتحدث عن مقهى (الاوبرا) وكيف كان يسمى (مقهى صالح) نسبة لاحد قراء المقام القدامى الذي لم تكتب له الشهرة مثل غيره من قراء هذا النوع من الغناء .

❊ اتم عصام عسيران ترجمة مسرحية « العارض » عن الفرنسية للشاعرة اللبنانية اندريه شديد المقيمة في باريس ووضع لها دراسة مستفيضة عن ادب اللبنانيين بالفرنسية وستصدر المسرحية في سلسلة المسرح العالمي عن وزارة الاعلام الكويتية كما ستصدر في نفس السلسلة ترجمات لبعض مسرحيات الكاتب اللبناني جورج شحادة .

❊ عاد الشاعر عبد الوهاب البياتي نهائيا الى بغداد بعد هجرة سنوات عديدة قضى معظمها في القاهرة . وقد عين مستشارا ثقافيا في وزارة الاعلام العراقية . وسيصدر في نهاية الشهر الجاري « الرحيل الى مدن العالم » وهي قصائد لعبد الوهاب البياتي اختارها وقدم لها الناقد المصري صبري حافظ ضمن المنشورات التي يصدرها اتحاد كتاب العرب في دمشق .

❊ من تاليف الدكتور ابراهيم السامرائي صدر هذا الكتاب الذي يشتمل على دراسات لغوية تتصل بعلم اللغة التاريخي، احتوى على 249 صفحة، وقد ساعدت جامعة بغداد على نشره .

❊ (الكندي فيلسوف العقول) كتاب من تاليف الناقد محمد مبارك وقد قدمه الى وزارة الاعلام العراقية لتعضيد نشره .

❊ سيصدر الجزء الثالث من كتاب الزهرة لابي بكر محمد بن داود الاصفهاني بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور نوري القيسي .

❊ انتهى المؤرخ عبد الكريم العزاوي من وضع اللمسات الاخيرة لكتابه الجديد « آداب الموائد في

ليالي رمضان العباسية » . ويصف المؤرخ العزاوي الملابس والاواني وطريقة السلوك ونوع القناديل التى كان « البغداديون » يستعملونهـا ومآدب الافطـار والاسمار خلال العهد العباسي . وانـواع المأكـولات الخاصة بهذه المآدب .

※ اصدرت مجلة كلية الآداب فى جامعة البصرة عددها الخامس وهو عن عام 1971 ويقـع فى 266 صفحة مع 80 صفحة باللغة الانجليزية ويضم العدد مختلف البحوث والدراسات العلمية القيمة .

※ صدر عن مطبعة الشعب فى بغداد « الرؤية الشعرية عند يوسف عز الدين » تاليف صاحب كمر وتقديم الدكتور داود سلوم فى 64 صفحة .

※ الدكتور حكمت الاوسي ـ الاستاذ فى قسم اللغة العربية بكلية الآداب اصدر كتابا جديدا تحت اسم : « فصول فى الادب الاندلسي فى القرنين الثاني والثالث للهجرة » اتبع فيه المنهج التاريخي ، وعالج فيه ما انتجته الاندلس من ادب خلال هذين القرنين ، وهي الفترة التى تكونت خلالهـا البـذور الاولى للشخصية الاندلسية .

ثم عرف المؤلف للموشح ، ورصد تطوره ، كما تضمن الفصل رايا جديدا فى موضوع نشاة هذا اللون الشعري .

ويختتم المؤلف كتابـه « بفصـل عن مظاهـر التأثير العربي فى الثقافة الاسبانيـة ، فى محاولـة لتوضيح ما تتمتع به الثقافة العربية من فاعلية وتاثير جعلاها تسهم اسهاما كبيرا فى العلوم المختلفة التـى عرفتها العصور الوسطى .

※ تنظم اليونسكو فى بغـداد ، بالتعاون مـع حكومة العراق ، اول دورة تخصص لاعداد وتدريب الفنيين ممن سيعهد اليهم مهمة حفـظ الممتلكـات الثقافية فى الدول العربية ، وذلـك فى الفتـرة من فبراير وحتى يونيو 1972 . وسيتلقى المشتركون فى هذه الدورة، وهم من مختلـف الـدول العربيـة ، محاضرات عن طرق ترميم وصيانة الآثار والروائع الفنية تحت اشـراف الخبـراء المكلفيـن من قبـل اليونسكو . ويحتوي البرنامج كذلك على موضوعات اخرى كتقنيات الحفريات الاثريـة وادارة المتاحـف ودور المهندس المعماري والمهندس المدني فى حفـظ الآثار والاماكن التاريخية .

وسيتكرر تنظيم مثل هذه الدورة فى العـام القادم ، والمنتظر ان تستمـر الدراسة بها على مدى ستة شهور . وتعتبر هذه المبادرة خطوة اولى نحو انشاء مركز اقليمي للدول العربية لصيانة الممتلكات الثقافية على شاكلة المراكـز التى تعمـل حاليـا فى المكسيك وفى جوس بنيجيريا بمساعدة اليونسكو .

※ من الكتب التي اصدرها الاستـاذ السيـد هادي كمال الديـن عميد المدرسـة الكمالية للعلوم الدينية بالحلة فى العراق ما يلي :

ا ـ فقهاء الفيحاء جزآن الاول والثاني .

ب ـ التخميس والتشطير فى اصحاب آيـة التطهير ، جزآن .

ج ـ وسيلة التفهم فى مسوغات التيمم .

ومن مؤلفاته التى تنتظر النشر :

ا ـ جغرافية القرآن الكريم ويشمل :

الرياضة والطبيعة ـ جزء اول

الحيوانية والنباتية ـ جزء ثاني

السياسية والعسكرية ـ جزء ثالث

ب ـ الامثال الشعبية فى البلاد العربية .

※ ديوان علي بن جبلة العكوك ، حققه الاستاذ زكي ذاكر العاني فى العراق وصدر عام 1971 بمقدمة للاستاذ الدكتور محسن غياض ، وقد ساعدت نقابة المعلمين العراقية على نشره

※ قام الاستاذ غازي النقاش بجمـع وتحقيـق شعر بكر بن النطاح وستصـدر هـذه الدراسة مـع الديوان فى بغداد قريبا .

※ قامت الآنسة الاستاذة ابتسام رشيد بجمع وتحقيق شعر منصور النمري ، وسيصدر الديـوان فى بغداد قريبا .

والمحققون الثلاثة مـن خريجـي كليـة الآداب بجامعة بغداد وقد حققوا هذه الآثار تحت اشراف الاستاذ الدكتور محسن غياض ، الذى يعمل الآن فى كلية الشريعة بمكة المكرمة .

الكويـــــت :

* الاديب الكويتي عبد الرزاق البصير عضو مجلس ادارة رابطة الآباء الكويتيين سافر الى القاهرة لحضور جلسات المجمع اللغوي .

* افتتح فى الكويت متحف العلوم والتاريخ الطبيعي الذى اقامته وزارة التربية . ويضم المتحف نماذج تمثل ارتياد الفضاء واستخراج النفط كما يضم قبة للنجوم وكواكب لمختلف الابراج وقسما للتاريخ الطبيعي .

* قررت حكومة الكويت تقديم 200 الف جنيه استرليني مساهمة منها فى انشاء مركز اسلامي فى لندن .

قطـــــر :

* انضمت دولتان جديدتان هما البحرين وقطر الى عضوية اليونسكو منذ يناير الماضي وبهذا يصبح عدد الدول الاعضاء بالمنظمة 127 دولة . ولقد اودع ممثل البحرين وثائق قبول حكومته فى يوم 18 يناير 1972 بوزارة الخارجية البريطانية فى لندن ، كما اودعها ممثل قطر فى يوم 27 يناير 1972 .

الاردن :

* اصدرت دائرة المطبوعات والنشر كتاب مجلس الامة الاردني فى خمسين عاما ، وهو يستعرض تطور المجالس التشريعية والنيابية فى الاردن فى الخمسين عاما الماضية .

* ذكرت مصادر دائرة الاحصاءات العامة الاردنية ان الدائرة فرغت من اعداد تعداد تقديري للسكان فى ضفتي الاردن .

وقالت ان عدد سكان الاردن التقديري الآن يبلغ نحو 2.418.000 نسمة منهم حوالي 700 الف نسمة يقيمون فى الضفة الغربية المحتلة .

واضافت تقول ان عدد سكان الاردن بلغ فى سنة 1961 نحو 1.706.000 نسمة فازداد خلال 11 سنة بنحو 700 الف نسمة .

وذكرت المصادر كذلك ان كثافة السكان ارتفعت من 18 نسمة للكيلومتر المربع الواحد الى 26 نسمة خلال الفترة ذاتها .

السعوديـــــة :

* صدر للدكتور محمد عبد المنعم الخفاجي كتاب « سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم » فى اربعة اجزاء ، وصدرت له ايضا ثلاثة كتب : « الخفاجون فى التاريخ » و « احلام السراب » و « قصص من الحياة » .

* وزارة المعارف السعودية ستتوسع فى برنامج تغذية طلاب المدارس الابتدائية وذلك بعد ان نجح وحقق الهدف المقصود منه عندما طبق فى مدارس بعض المناطق النائية هذا العام وكان قد خصص لذلك مبلغ ثلاثة ملايين و 500 الف ريال .

فى احصائية لادارة التعليم فى منطقة الرياض جاء فيها ان منطقة الرياض هي اكبر المناطق التعليمية بالسعودية وهي تخدم التعليم فى مساحة جغرافية تبلغ عشرة آلاف كيلومتر مربع وعدد المدارس بها 260 مدرسة نهارية وليلية وعدد الفصول فيها 2642 فصلا وعدد الطلاب 77.568 طالبا وعدد المدرسين 3.353 مدرسا وعدد الاداريين 1.833 وعدد الخدم 912 وعدد المباني الحكومية 43 وعدد المباني المستاجرة 133 .

* تدرس وزارة المعارف السعودية مشروع تدريس بعض المواد الدراسية بواسطة التلفزيون وتخصيص ساعات من الارسال التلفزيوني لهذا الغرض وسيقوم مدرسون مختصون بالقاء الدروس فى بعض المواد المقررة لافادة الطلاب وتمكينهم من متابعتها فى منازلهم .

تجري اتصالات الآن بين وزارة المعارف السعودية والجهات ذات العلاقات لمحو الامية وتعليم الكبار لتشكيل لجنة لدراسة الخطة الشاملة التى وضعتها ادارة الثقافة الشعبية بوزارة المعارف للقضاء على الامية نهائيا بالمملكة فى مدى عشرين عاما .

* مجلة (المنهل) الشهرية التى يصدرها فى جدة البحاثة عبد القدوس الانصاري اصدرت عددا ممتازا فى 114 صفحة يضم البحوث العلمية والادبية والفكرية باقلام نخبة من الادباء والكتاب والشعراء .

* اصدرت المديرية العامة للصحافة فى وزارة الاعلام السعودية عددا خاصا من النشرة الانجليزية التى تصدرها باسم (نيوز فورم سعودي ارابيا) وذلك تحت عنوان : (خطوات الارض المقدسة لتحقيق

التطور) جعلته سجلا لمجهودات شعب وحكومة المملكة لتحقيق حياة حضارية متكاملة ومباديء الدين الاسلامي .

* صرفت وزارة المعارف السعودية من ميزانيتها لهذا العام مبلغ 94 مليون ريال لانشاء مبان للمدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية ومعاهد المعلمين بما فى ذلك انشاء مدرسة ووحدة صحية فى راس الخيمة وثلاث مدارس فى امارات الخليج .

* وصل وفد من رجال التشريع والقانون الاوروبي الى الرياض مؤخرا فى زيارة للمملكة السعودية تستغرق 11 يوما وعقد الوفد اجتماعا مع عدد من علماء المملكة بغية توثيق معلومات الوفد الزائر عن الاسلام فى موضوع حقوق الانسان وشرح مباديء الاسلام واهدافه .

وكان الوفد قد اعد مشروع دراسة مقارنة بين وثيقة حقوق الانسان التى وضعتها منظمة الامم المتحدة وبين احكام الشريعة الاسلامية وقد اشاد مشروع هذه الدراسة بعظمة الشريعة الاسلامية فى اقرار حقوق الانسان ودعوتهما لاحترام هذه الحقوق. هذا وقد تم تشكيل الجانب السعودي فى هذه الاجتماعات برئاسة وزير العدل الشيخ محمد الحركان كما يراس الجانب الاوروبي وزير خارجية ايرلندة السابق. وقد اعدت وزارة العدل السعودية بحثا قيما عن حقوق الانسان على ضوء تعاليم الشريعة الاسلامية .

* عقد بجدة اجتماع خصص لدراسة تمهيدية لمشروع احداث وكالة انباء اسلامية، وصرح تنكو عبد الرحمن الامين العام للمؤتمر الاسلامي فى اعقاب الاجتماع الذى اشترك فيه ممثلون عن وزارتي الخارجية والاعلام بالحكومة السعودية انه تقرر اقامة المركز الرئيسي لوكالة الانباء الاسلامية فى بناية الامانة الاسلامية واعداد قسم للترجمة باللغات العربية والانجليزية والفرنسية واقرار تعاون بين الامانة الاسلامية ووكالة الانباء السعودية التى ستتكلف فى المرحلة الاولى بتقديم كافة المساعدات الضرورية لظهور وكالة الانباء الاسلامية الى حيز الوجود بالاضافة الى التماس هبة مالية من العاهل السعودي الملك فيصل لتغطية النفقات الاولية لوكالة الانباء الاسلامية .

وستوجه الدعوة الى اعضاء الجمعية العامة للمؤتمر الاسلامي للموافقة على هذه التوصيات وانتخاب مجلس تنفيذي من ستة اعضاء هدفه حث الدول الاعضاء ووكالات الانباء الوطنية بالدول الاسلامية على الانضمام الى وكالة الانباء الاسلامية .

* «بين التاريخ والآثار» : هذه هي الطبعة الثانية لهذا الكتاب النفيس الذى هو محصول دراسات متوالية للتاريخ والآثار استمرت امدا ينيف على ثلاثين عاما ، بداها المؤلف فى المدينة المنورة ، فى شوارعها ومنازلها ومساجدها وقصورها الاثرية وجبالها ووهادها واوديتها ، وبلغ بها السير الى مكة المكرمة وجدة والطائف والرياض والخرج والدرعية وتيماء فى المملكة العربية السعودية ، والبحرين والكويت والاردن وسوريا ولبنان فى خارج المملكة ، وقد عنى المؤلف بصهر دراساته هذه المتشعبة فى بوتقة دراسات هادفة وشاملة ، وقد صدر عام 1971 فى بيروت وجاء فى 374 صفحة .

والكتاب من تاليف المفكر العربي الاستاذ عبد القدوس الانصاري صاحب مجلة (المنهل) التى تصدر فى السعودية . وللمؤلف آثار اخرى هي :

آثار المدينة المنورة — اصلاحات فى لغة الكتابة والادب — بناة العلم فى الحجاز الحديث — الكتاب الفضي للمنهل — تاريخ مدينة جدة — تحقيق امكنة فى الحجاز وتهامة — رحلة الرياض — التحقيقات المعدة بحتمية ضم جدة — اربعة ايام مع شاعر العرب عبد المحسن الكاظمي — تاريخ العين العزيزية بجدة — التوامان — الانصاريات .

وهو يعمل الآن فى تاليف كتاب « تاريخ مكة المكرمة » ومن المنتظر ان يجيء فى اربع مجلدات .

* جدة — صدر الجزء الثاني من مجلة « المنهل » فى سنتها الثامنة والثلاثين والتى يراس تحريرها الاستاذ الكبير عبد القدوس الانصاري .

وكالعادة ، فقد احتوى العدد على مقالات وبحوث فى العلم والادب .. اضافة الى الابواب الثابتة ..

آسيـــا :

ايـــران :

* صدر العدد الثاني من مجلة «الهادي» التى تصدرها دار التبليغ بايران — قم .

ومجلة « الهادي » مجلة علمية اسلامية جامعة ناطقة بلغة الضاد لتقوم الى جانب اختها التى تصدر

باللغة الفارسية بواجب الدعوة لدين الله الحق ، والعمل فى سبيله ، والدفاع عنه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهي تحرص اشد الحرص على ان تكون لسانا ناطقا لدعوة الحق وترجمانا صادقا على قلوب أهل الايمان ، وبرهانا ساطعا على انهم امة فى العقيدة ، وما يدينون الله به .

ومجلة «الهادي» يقتصر فى اصدارها على اربعة أعداد فى العام فقط ، بأن تصدر عددا على راس كل ثلاثة اشهر حتى تتركز فى محيط أهل العلم والراى، ويتبين ان المصلحة تقضي بغير ذلك دون اعنات ولا ارهاق .

وقد اشتمل العدد الثاني من «الهادي» على المواضيع التالية :

اثبات الخالق ـ تنبوء القرآن ـ المهدي المنتظر ـ المدينة الاسلامية ـ ماذا يقول واعظ هذا العصر.. يا أرض اندلس .. الدنيا عند علي ـ وحركات التشيع فى المغرب للدكتور عبد اللطيف السعداني ، وقد جاء فى هذا البحث الاخير :

« بحلول شهر محرم من كل عام يتغير وجه الحياة فى المغرب حيث يدع الناس ايام الدعة والاستكانة الى الاهواء ويتبدلون بها عودة الى محاسبة النفس ، فيستيقظ الضمير فيهم ، وتعود الذكرى الى حياتهم الاسلامية لتسير فيهم واقعهم ، وما هم عليه ، وتحيي فى ايمانهم المعنى الخفي للحقيقة التى انتقلت من الوحي النبوي فى آل بيته ولآل عترته .. تلك هي ذكرى عاشوراء واستشهاد سيدنا الحسين.

ففي هذا الشهر ، يقول السعداني نرى الناس فى جميع مدن المغرب فى هرج ومرج لا يمكن ان يوصف الا بأن حدثا عظيما قد حل بهم ، وأي حدث اعظم من الفتنة الكبرى التى ادت الى انهيار ذلك الطود المعظيم حفيد رسول الله (ص) الخ ..

نتمنى للزميلة الراقية « الهادي » التى تعنى بنشر شتى الدراسات الفكرية النافعة بما يلتقي مع النهج الثقافي لدار التبليغ الاسلامي نجاحا وفلاحا فى محيط الدعوة الاسلامية ، ومجال الفكر الاسلامي الرصين حتى تسفر لبلادها « ايران » فى جميع ربوع العالم .. وتقدم صورة حية عن الحياة الفكرية وتقدمها فى ايران البلاد الاسلامية والتى تحرص المجلة على ان تكون مرآة صادقة تنعكس عليها مفاهيم الاسلام السامية ، وثقافته النادرة .

ماليزيا :

قال وزير الثقافة والشباب والرياضة الماليزي ان التعاليم الاسلامية تلعب دورا هاما فى صقل سلوك الشباب .

وحث الوزير الماليزي منظمات الشباب بأن تخصص فصولا دراسية لتدريب الشباب للتعاليم الاسلامية واعلن عن استعداد وزارته للمساهمة فى هذا الموضوع .

اليابان :

❊ بعد اربع سنوات من الدراسة والمناقشة، صدر اخيرا التقرير الضخم الخاص بتطوير التعليم فى اليابان بعد ان اعده المجلس المركزي للتعليم بها .

ويهدف هذا التقرير وما جاء به من اقتراحات الى اطالة مدة التعليم الالزامية وجعلها 14 سنة بدلا من 12 سنة بحيث يدخل الاطفال المدرسة فى سن الرابعة من عمرهم بدلا من السادسة ـ وهو النظام المطبق فى الوقت الحالي ـ على ان ينتهوا من دراساتهم فى المدرسة فى سن الثامنة عشر ، وذلك وفقا لدورة مرحلية تشكل على النحو التالي 4 ـ 4 ـ 6 (بدلا من 6 ـ 3 ـ 3)

ومن ضمن الاصلاحات المنشودة كذلك ، جاء التقرير بمشروع رفع مرتبات المدرسين بنسبة تتراوح بين 30 و 40 ٪ ، وزيادة حجم المساعدات الحكومية التي تمنح للجامعات الخاصة (وهي تستوعب ثلاثة ارباع طلبة المرحلة الاولى) ، وكذلك وضع لائحة مستقلة للمدارس العليا المنظمة فى الوقت الحالي للجامعات .

وسيوضع هذا المشروع موضع التنفيذ ، وذلك فى حالة اقراره ، مع حلول عام 1970 .

❊ انتحر الكاتب الياباني الشهير كاواباتا اخيرا بالفاز دون ان يترك اية رسالة تفسر السبب الذى دفعه الى الانتحار وقد عثر على جثة الكاتب الياباني وانبوب الفاز فى فمه بمنزله الموجود بضواحي طوكيو ، وقد سبق له ان احرز سنة 1968 على جائزة نوبل للآداب .

وصرح احد الكتاب اليابانيين المقربين لكاواباتا ان هذا الاخير كان يقول دائما انه لا يريد أن يموت شيخا وقارن بين موت كاواباتا وموت الكاتب الياباني المعروف مشيما الذى انتحر على طريقة هاراكيري بعد

ان فشل في حث احدى التكتلات العسكرية على التمرد .

ويعتبر كاوباتا البالغ من العمر 73 عاما من ابرز الكتاب واكثرهم تأثيرا على الكتاب الشبان اليابانيين .

الهنـــــد :

❊ صدر في حيدر آباد الدكن في الهند عن دائرة المعارف العثمانية المجلد الثالث والعشرين من (الحاوي في الطب) للرازي .

❊ مدارس - توفي هنا محمد محمد اسماعيل رئيس الرابطة الاسلامية في مدارس في الاسبوع الماضي

وكان السيد اسماعيل عضوا في البرلمان الهندي وظل رئيسا للرابطة طوال الـ 24 عاما الماضية حيث كان احد المقربين من الزعيم الباكستاني الراحل محمد علي جناح ولكنه ظل في الهند بعد استقلال باكستان وكرس جهوده لاعمال الرابطة من اجل رعاية شؤون المسلمين .

أوروبـــــا :

لنـــــدن :

❊ القى البروفسور جونستون في المجلس الثقافي البريطاني في عمان محاضرة حول مدى تقدم الدراسات العربية في بريطانيا .

❊ توفي في بريطانيا المستشرق الكبير السير هاملتون جب وللفقيد عدة مؤلفات مشهورة عن الادب العربي ، وكان المرض قد اقعده في ايامه الاخيرة منذ بضع سنوات .

❊ (قصة الحضارة) لوول ديورانت صدر منه المجلد الرابع والعشرين .

فـرنســا :

❊ حذر موريس شومان وزير الخارجية الفرنسي اسرائيل من مغبة ضم الاراضي العربية المحتلة .

كماعاد شومان تأكيد موقف فرنسا ازاء هذه القضية ، وهو الموقف القائم على تأييد قرار مجلس الامن الدولي الخاص بحل أزمة الشرق الاوسط وعدم شرعية ضم اراضي الغير بالقوة .

واعرب شومان عن اعتقاده الوثيق بأن ذلك اليوم الذي ستندم فيه اسرائيل على رفضها قرار مجلس الامن الدولي لا شك آت .

❊ اشتكى رجال الاعلام في بريطانيا وفي فرنسا من ان المسؤولين العرب لا يزورون البلدين كما يفعل الاسرائيليون الذين يكثرون من زيارتها وقالوا ان كثيرا من المسئولين العرب اذا زاروا تلك البلاد فانهم يمتنعون عن الادلاء باية احاديث صحفية او تليفزيونية لشرح القضية العربية العادلة بينما يتسابق الاسرائيليون في الظهور على شاشات التلفزيون لشرح الموقف الاسرائيلي بقصد تضليل الراي العام !

❊ قامت رابطة الطلاب المسلمين في فرنسا بنشاط مرموق خلال الاشهر الماضية فقد قدمت الرابطة فيمدينة « كلير مونت فران » محاضرة قيمة للاستاذ محمد حميد الله بعنوان (المراة في الاسلام وفي الاديان الاخرى) حضرها عدد غفير من الطلاب المسلمين وغير المسلمين والعمال وكتبت الصحف المحلية معلقة على عمق هذه المحاضرة .

اليـــونــــان :

❊ دعت اليونان فنانين من كل قطر عربي لزيارة اليونان ، والعمل هناك ، وذلك تمهيدا لاقامة معرض عربي تشكيلي عن انطباعات الفنانين العرب .

وسينقل المعرض بعد اقامته في اثينا الى عواصم الدول العربية المشتركة فيه بشكل دوري او ستقوم اليونان بطبع دليل عن المعرض .

ايطــاليــا :

❊ ظهر في ايطاليا في اوائل هذا العام جزء من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للادريسي الذي يعنى بنشره المعهد الايطالي لتاريخ الآداب الشرقية الادني والاقصى .

النـمســا :

❊ أعيدت مجموعة هامة من التحف الفنية المتعلقة بالفن الفلورنسي الى قواعدها بعاصمة مقاطعة توسكانيا ، بعد ان امضت خمس سنوات في فينا بالنمسا تم خلالها ترميما مما اصابها من تلف نتيجة الفيضانات التى اجتاحت فلورنسا في نوفمبر عام 1966 . وتتكون هذه المجموعة من 300 كتاب ومؤلف من القرنين السادس عشر والسابع عشر ، و 700 قطعة من الاسلحة القديمة كانت موجودة بمتحف

« برجيللو » . وقد تم ترميم هذه التحف ضمن برنامج المعونة الدولية المقدمة لفلورنسا . وتجدر الاشارة كذلك الى انه بالاضافة الى ذلك ، فقد شارك عدد من الاخصائيين النمساويين فى ترميم اللوحات والفريسكات وخاصة الموجودة منها بكنيسة « سانتا كروتشا » بفلورنسا نفسها . وبذا وصلت المعونة المقدمة من النمسا من اجل ترميم تحف فلورنسا الى حوالي 5ر3 مليون شلن نمساوي .

وارســــو :

✻ ستنعقد فى وارسو ندوة دولية موضوعها « المسرح والتلفزيون » وذلك خلال شهر اكتوبر 1972 تحت اشراف اليونسكو .

وتقوم هيئة الاذاعة والتلفزيون البولندية بتنظيم هذه الندوة بالاشتراك مع الرابطة الدولية للنقاد المسرحيين. وستدور مناقشاتها حول الاوجه المختلفة للانتاج والاخراج للتلفزيون ، وحول تأثير التقنيات الحديثة واللون ، وحول النواحي الاجتماعية للمسرح التلفزيوني ودوره فى التنمية الثقافية .

المــانيــا :

✻ اصدرت مجلة « المحتوى والشكل » التى يصدرها اتحاد الكتاب الالمان عددا خاصا عن الادب العربي . وقد نشرت فى هذا العدد قصيدتان للشاعرين العراقيين محمد مهدي الجواهري وعبد الوهاب البياتي .

✻ صدر فى المانيا الديمقراطية كتاب مهم عن بابل ، وسيقوم بترجمته الى اللغة العربية الاديب العراقي زهدي الداودي . وسيجري نشر دراسة مطولة عن هذا الكتاب فى مجلة المثقف العربي .

✻ يصدر قريبا فى المانيا الديموقراطية كتاب (تاريخ العرب) عن دار (اكاديمي) للنشر . ويشتمل هذا الكتاب على مجلدين يعطيان صورة مفصلة عن ماضي الشعب العربي وحاضره . وتقوم باعداد الكتاب مجموعة من الخبراء العاملين فى فرع (الدول العربية) بقسم علوم افريقيا والشرق الاوسط فى جامعة كارل ماركس بمدينة لايبزغ براسها البروفسور راتمان .

هذا ويتناول المجلد الاول الذى يصدر هذا العام التاريخ العربي حتى تدهور الامبراطورية العثمانية .

✻ اعيد طبع كتاب الكامل للمبرد عن النسخة التى حققها المستشرق العلامة وليم رايت فى ليبسك والمطبوعة سنة 1263 م فى مجلدين مع الفهارس . وهي الطبعة الوحيدة التى حققت تحقيقا علميا ، اذ ان المحقق قد قضى فى عمله هذا ثلاثين سنة حتى اتمه ، وستباع النسخة بـ 45 باون استرليني .

هولانــــدة :

✻ المعجم المفصل باسماء الملابس عند العرب للمستشرق الهولاندي دوزي وترجمة الدكتور اكرم فاضل ، انجزت طبعه مطبعة الحكومة وقد صمم الغلاف الفنان ماجد النجار .

✻ الاستاذ فريد ديونج الهولندي ، وهو يعد رسالة دكتوراه فى التصوف بجامعة ليدن فى هولندا، وقد حضر الى القاهرة فى منحة لزيارة جامعاتها ومكتباتها، وزار المعهد وطلب بعض المخطوطات التى اختارها .

الســويــــد :

✻ اعيد طبع كتاب عجائب المقدور فى اخبار تيمور تأليف ابن عربشاه وذلك على النسخة التى نشرها فى أوبسالا ــ السويد المستشرق منجر سنة 1767 م .

اسبــانيــــا :

✻ علمان الباحث الاسباني مانويل نيتوكو ميليدو اكتشف فى قرطبة مخطوطات عربية دينية قيمة ، وقد احيلت هذه الوثائق التى يرجع تاريخها الى القرن الخامس عشر وما قبله على احد المتضلعين الاسبان فى تاريخ اللغة العربية قصد دراستها وتحليلها .

وسيمكن بفضل هذا الاكتشاف تسليط الاضواء على بعض خبايا تاريخ الاندلس .

الاتحــاد السوفيـــاتي :

وضع معهد الاستشراق فى تبليس بالاتحاد السوفياتي قاموسا عربيا جورجيا فى عشرة مجلدات .

وقد صرف علماء المعهد خمس سنوات فى وضع هذا القاموس الذى يحتوي على 200 الف كلمة ، ويشمل القاموس مفردات اللغة العربية الادبية الكلاسيكية والمعاصرة .

ومعهد الاستشراق في جورجيا هو مركز كبير لدراسة اللهجات العربية .

وقد كشف ودرس العلماء الجيورجيون بعض اللهجات العربية في آسيا الوسطى ويدرس في المعهد ايضا تاريخ وثقافة ولغة الشعوب العربية من العصور القديمة حتى يومنا هذا .

※ اعلنت الاكاديمية السويدية ان امينها الدائم الدكتور كارل ريشار جياروف سافر الى موسكو يوم الاحد 9 ابريل الماضي ليسلم ميدالية جائزة نوبل للآداب الى الكاتب السوفياتي الكسندر سولجينيتسين التي حصل عليها في اكتوبر 1970 .

وسوف تسلم الجائزة في مسكن صديق الكاتب بناء على رسالته التي بعث بها سولجينستين يوم 24 ديسمبر الى الدكتور جياروف .

※ اصدرت اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي - معهد الاستشراق - هذا الكتاب الحديث من تأليف المستشرق والمؤرخ السوفيتي لوتسكي ويشمل هذا الكتاب التاريخ الحديث للاقطار العربية مصر ، فلسطين ، سوريا ، العراق ، الجزيرة العربية ، السودان ، واقطار شمال افريقيا.

※ اعترف بوريس شوميلين نائب وزير الداخلية السوفيتي بالهجرة اليهودية الواسعة من الاتحاد السوفيتي الى فلسطين المحتلة وقال ان ما مجموعه 21 الفا منهم قد غادروا الاتحاد السوفيتي منذ الحرب العالمية الثانية .

واضاف قائلا ان عشرة آلاف يهودي غادروا الاتحاد السوفيتي في العام الماضي .

وقال ان السلطات السوفياتية تدرس الآن 285 طلبا وفي لينينغراد 50 طلبا ، وكييف 119 ، ومولدافيا 124 من اليهود للهجرة .

※ صدر عن دار النشر السوفياتية « علوم » دراسة ذات اهمية رئيسية للاكاديمي اغافانغيل كريمسكي (1871 - 1942) المستشرق السوفياتي الكبير وهي تحمل عنوان « تاريخ الادب العربي الحديث » وقد صدرت في وقت واحد مع الذكرى المائوية لميلاد المؤلف .

وهذا المؤلف يسجل تاريخ ميلاد وتطور الادب العربي الحديث ويسلط الضوء على اسباب انحطاط الادب العربي التقليدي ، ويحلل اعمال ناصف اليازجي وبطرس البستاني ، وميخائيل مشاق ونشاط الاخوين نقاش ، وحسن ديجاني ، وكتاب آخرين كبار ، ويخصص جزءا كبيرا من الدراسة لتاريخ المطبعة والصحافة والمسرح والتعليم . وهناك فصل خاص عن النشاط الادبي لممثلي المدارس المهجرية العربية .

وخلال بحث الاكاديمي كريمسكي للحياة الادبية للاقطار العربية في نهاية القصل الثامن عشر حتى بداية القرن العشرين ، نجده يتقيد بترتيب زمني ويتبع خطة وصفية . ويتضمن كتابه مختارات من الاعمال الادبية وتفاصيل عن الحياة الثقافية لعرب القرن التاسع عشر ومعلومات بيوغرافية .

امريكا :

※ غادر حلب الاب اغوسطين زهيراتي الى فنزويلا ليتسلم هناك امور الجالية العربية . وقد اهتم منذ وصوله باصدار مجلة « الفداء » وهي مجلة اجتماعية علمية ادبية تصدر باللغة العربية .

※ نشرت احدى المجلات المسيحية حديثا على لسان طبيب امريكي قالت فيه :

ان الممثل الهزلي يتقاضى مليونا من الدولارات في السنة بينما يتقاضى المدرس في مدرسة عالية الفين من الدولارات بلغ عدد القتلى في حرب فيتنام في مدة التسع سنوات 43.000 قتيل ولكن السائق المخمور في بلادنا قتل في طرقات امريكا في هذه المدة عينها 24.000 قتيل وقد كشفت الاحصاءات الاخيرة عن ان 20.000 شخص على الاقل يقتلون سنويا باطلاق النار عليهم .. يضاف الى هذا جرائم هتك العرض والفساد والاباحية التي تهدد نظامنا الاجتماعي كله ثم ينبغي ان نعترف في الم واسى ان الرجل الاسود في بلادنا لم يحظ بكامل حريته انما هو (نصف عبد) بالامس اصدرت محكمتنا العليا قرارا يصم بغير الدستورية اي تعليم ديني يقدم للاطفال في مدارسنا وانه مما يناقض روح الدستور ان تدمج في برنامج التعليم اية معرفة عن الله وانك لترى اليوم 85.000.000 من الامريكيين او 63 ٪ من السكان لا ينتمون لاية كنيسة بصفة اسمية وبالامس اصدرت احدى الولايات قرارا بتحريم اعطاء موانع الحمل للفتيات غير المتزوجات وطالبات الجامعة وعلى اثر ذلك انعقدت المحكمة العليا بالولاية واصدرت حكما بعدم شرعية الحاكم ومخالفته لروح الدستور .

تمثل صورة الغلاف صومعة المسجد العتيق بالدار البيضاء الذي أسس في عهد السلطان المقدس سيدي محمد بن عبد الله عام 1201 هـ وزاد في رحابه مولاي الحسن 1308 هـ ، وفي خامس شوال عام 1377 هـ عندما ادى فريضة الجمعة صاحب الجلالة محمد الخامس قدس الله روحه لاحظ انه يضيق بالمصلين فأمر بالزيادة فيه وأصبحت مساحته 3866 .

مطبعة فضالة

